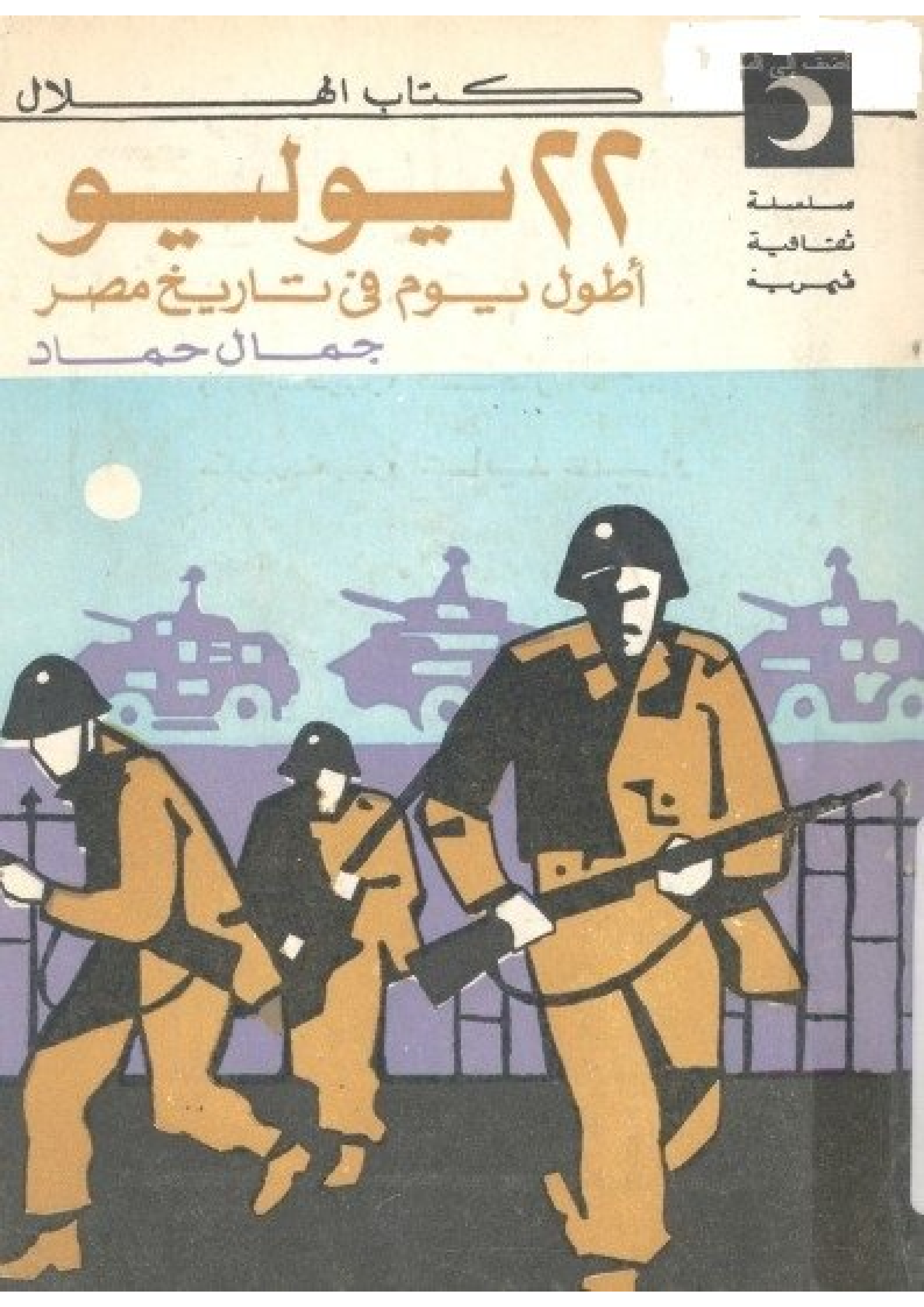


كتاب الهلال
سلسلة
ثقافية
شهرية
٢٢ يوليو
أطول يوم فى تاريخ مصر
جمال حماد

تقديم

هناك سؤال يطرح نفسه على الدوام منذ أن عرف الانسان الكتابة وتعلم تدوين الاحداث والوقائع التى تهمه وهو من الذى يكتب التاريخ ؟ هل يصلح معاصرو الحدث الكبير لكتابة تاريخه ؟ أم لأنهم عاصروه ونشأت بينهم وبينه علاقات وتكونت لهم بحكم ذلك آراء وميول وأهواء لا يصلحون لكتابة تاريخه بصورة محايدة وموضوعية ؟

على الناحية الاخرى فلو تركنا تاريخ الاحداث الهامة فترة طويلة من الزمن وتركنا مهمة تدوينها وتسجيلها للأجيال القادمة التى لم تعاصرها فلابد أن تتوه كثير من التفصيلات والمواقف الصغيرة كما أن مهمة المؤرخين والمحللين للشخصيات التاريخية سوف تزداد صعوبة فلا يستطيعون تقدير مدى تأثير الطبائع والنزعات الشخصية لهؤلاء على تصرفاتهم العامة وقراراتهم المصيرية بسبب الفترة الزمنية البعيدة التى تفصل بينهم وبين أصحاب هذه الشخصيات .

هذا ولم يحظ حدث تاريخى فى تاريخنا المعاصر بمثل ما حظيت به ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من اهتمامات الكتاب والمؤرخين والمحللين ولكن الامر الذى يؤسف له ان كثيرا مما سجل عن هذه الثورة بعيد عن الموضوعية والروح الحيادية بسبب انعكاس الميول والاهواء الشخصية والانتماءات المذهبية والعقائدية الى بعض ما نشر عن هذه الثورة فبينما حرص بعض الكتاب على نفاق الحكام من أبناء هذه الثورة الى الحد الذى جعلهم يعتبرون ان تاريخ مصر

وكفاح شعبها من أجل حريته انما يبدأ فجر ٢٣ يوليو ٥٢
متناسين ماضى مصر المجيد وملحمة الكفاح الرائعة
لأبنائها عبر السنين نجد ان البعض الآخر من هؤلاء
حرصوا على التركيز على سلبيات هذه الثورة
بكل عنف وضراوة على قادتها وقراراتهم الثورية
ايجابياتها وما حققته لمصر والأمة العربية من مكاسب
عظيمة وانجازات رائعة .

نعود بعد ذلك الى الموضوع الذى يهمنا فى هذا الكتاب وهو تسجيل حقيقة ما جرى ليلة ٢٣ يوليو ٥٢ اذ أن هذا الحدث التاريخى الخطير لم يتم تدوينه بعد بالدقة الكافية والأمانة الواجبة رغم مئات الكتب التى نشرت عن الثورة ويرجع السبب فى ذلك الى وجود بعض أبناء هذه الثورة فى مقاعد الحكم وانفرادهم طوال الثلاثين عاما الماضية بمراكز القوة والسلطة مما لم يتح الفرصة بالطبع للكتاب والمؤرخين لتسجيل الأحداث والوقائع بأمانة وتجرد وحياد . ولقد وجدت أن الفرصة قد تهيأت أمامى الآن لتسجيل وتحليل أحداث تلك الليلة الخالدة بصفتى احد الذين أسهموا فى صنع بعض وقائعها وباعتبارى شاهدا من شهود عيان دون أن أخشى أن أتهم بالتحيز والممالأة لحاكم أو صاحب سلطة أو أن أتعرض لبطشه وانتقامه ولذا فان هدفى من هذه الدراسة التحليلية الموضوعية لن يكون سوى ذكر الحقائق والوصول الى أدق الأسرار اذ أن حقيقة ما جرى ليلة ٢٣ يوليو لا يهم مصر وحدها بل يهم الأمة العربية بأسرها . وأرجو أن يكون الله قد وفقنى فى تحقيق غرضى وهدانى الى ما أبتغيه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

جمال حماد

الوضع السياسى فى مصر
صباح ٢٢ يوليو

ماذا قالت الصحف ؟

كان يوما عاديا لا يكاد يختلف عن غيره من أيام شهر يوليو الحارة ولو أن درجة حرارة القاهرة لم تتجاوز معدلها الطبيعى وهو ٣٥ درجة ـ ولم تكن حرارة الجو هى السبب فيما كان يعانيه أبناء مصر وقتئذ من ضيق فى الصدور وتثاقل فى الانفاس بل كان مرجعه هو ذلك الغضب الجارف الذى اجتاح نفوس الشعب من فرط ما يراه من عبث واستهتار بمقاديره فأضحت النفوس مثل بركان مكبوت لا تنتظر الا الاشارة لكى تنطلق الحمم من أعماقها محطمة فى طريقها كل من تسبب فى اذلال الشعب وهوانه . واستقبل المصريون صحف الصباح ببرود وقلة اكتراث رغم ما كانت تزين به صدر صفحاتها من عناوين عريضة حمراء حفلت بعبارات التشويق والاثارة فان أنباء تغيير الوزارة التى كانت الى عهد قريب مجالا لاثارة الاهتمام ومدعاة لاحتدام النقاش بين المواطنين وسببا فى ارتفاع معدلات توزيع الصحف أصبحت اليوم أمرا لا يثير غير الحسرة والخوف من المستقبل بعد أن تعاقبت على الحكم ثلاث حكومات فى أقل من ستة أشهر وأدرك الناس أن لعبة تغيير الوزارات باتت هواية جديدة

لمليكهم العابث لا تدانيها سوى هوايته المعـروفة فى لعب القمار التى ينكب عليها كل ليلة حتى الصباح .

وكانت المؤامرة قـد بدأت بأحداث حريق القـاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ التى أدت الى اقالة الحكومة الوفدية التى كانت قد ألغت معـاهدة ١٩٣٦ وشجعت حركة الـكفاح المسلح ضد جيش الاحتـلال فى منطقة قنـاة السويس .

واسندت الوزارة عقب ذلك الى على ماهر باشا الذى لم تعمر حكومته سوى ثلاثة وثلاثين يوما وخلفتها وزارة أحمد نجيب الهلالى باشا التى لم تستطع الاستمرار فى الحكم سوى أربعة أشهر . وأخيرا شـكل حسين سرى باشا وزارته التى طالع المصريون فى اليوم السـابق نبأ تقديم استقالتها بعد ثمانية عشر يوما فقط من توليهـا الحكم . وقرأ الشعب فى استغراب الامر الملكى بقبول استقالة حسين سرى باشا فقد كان جافا عنيفا فيه اتهام لحسين سرى بأنه هرب من الموقف ولم يـكن الشعب يدرى أن الملك كان قد أعد أمرا غير ذلك الامر الملكى الذى نشر يحـوى شتائم صريحـة الى رئيس الوزراء المستقيل لولا رجاء مدير الادارة العامة بالقصر الـذى شاركه فيه حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان الملكى . ولم تثر صورة احمد نجيب الهلالى باشا التى توسطت الصفحات الاولى من الصحف تحت عناوين بارزة بتكليفه بتأليف الوزارة الجديدة .. لم تثر أى اهتمام فى نفوس القراء كذلك لم يعبأوا كثيرا بأسماء الوزراء المرشحين للوزارة والذين نشرت صورهم حول صورة رئيس الوزراء الجديد وكان أغلبهم من اعضاء وزارته السابقة .

وعلى العكس كان الانطباع لدى الرأى العام هو الدهشة والاستنكار اذ كيف يقبل الهلالى تأليف وزارة جديدة ولم يمض سوى عشرين يوما على تقديم استقالته ؟ لقد قادته سياسته التى أعلنها وهى اتخاذ التطهير طريقا للتحرير الى طريق مسدود اثر اصطدامه بالحاشية الفاسدة التى قاومت سياسة التطهير التى تهدد كيانها فى الوقت الذى وصلت فيه الحالة السياسية والاقتصادية الى أحط درجاتها . وكان رئيس الوزراء يعتمد على تدعيم رئيس الديوان لوزارته لدى الملك ليمكنه الوقوف أمام دسائس الحاشية واذا به يكتشف ان رئيس الديوان لم يقابل الملك اكثر من مرتين خلال ثلاثة أشهر وان الحلقة الوحيدة للاتصال بالملك هى الشماشرجى محمد حسن . وانكشفت الوزارة أمام الشعب كوزارة معادية للدستور باصدارها قرارا بحل مجلس النواب الوفدى فى ٢٤ مارس ٥٢ ثم بتأجيل الانتخابات الى أجل غير مسمى أملا فى وهم كالسراب بذل الهلالى فيه جهده ولكنه فشل فى تحقيقه فشلا ذريعا وهو أن يتمكن من تشكيل حزب جديد يضم اليه العناصر الوفدية الصالحة .

وذاعت فى ذلك الوقت شائعة ـ ثبت فيما بعد عدم صحتها ـ ولكنها وقتئذ زلزلت الثقة التى كانت لا تزال فى النفوس وهى قصة المليون جنيه التى دفعها المليونير أحمد عبود للملك فاروق عن طريق بعض رجال الحاشية ثمنا للتخلص من وزارة الهلالى .

وأخذ الناس يتساءلون فى صباح ٢٢ وهم فى حيرة .. ما الذى جد على تلك الاوضاع التى أرغمت الهلالى

على تقديم استقالته منذ أقل من ثلاثة اسابيع ؟ هل تغير الملك العابث او تغيرت نزواته الماجنة وحاشيته الفاسدة ؟

اذا كانت الاوضاع والامور هى هى فكيف يقبل الهلالى ان يهبط الى هذا الدرك الوخيم فى مقابل حكم فقد هيبته وهان شأنه على الناس ؟

ونشرت الصحف فى أمكنة بارزة اول تصريح أدلى به رئيس الوزراء الجديد للصحفيين فى صالون منزله الخاص بالمندرة بالاسكندرية فى منتصف الليل وقد ذكر لهم فيه تكليف الملك له بتأليف الوزارة وانه قد بدأ العمل للنزول على الارادة الملكية الكريمة وعبر الهلالى للصحفيين عن أمله فى اتمام تأليفه الوزارة اليوم « الثلاثاء » .

كما نشرت الصحف تحت تصريح رئيس الوزراء بيانا من رئاسة الديوان الملكى بتحديد بعد ظهر الثلاثاء ٢٢ يوليو موعدا لتشرف دولة الهلالى باشا وأصحاب المعالى وزرائه لرفع فريضة الشكر على اسناد مناصبهم اليهم ولحلف يمين الولاء والاخلاص لجلالة الملك والوطن .

ولم يكن ذكر الولاء للملك قبل الوطن يثير اى استغراب فى مصر وقتئذ فهذا ما جرى عليه العرف وما كان يحتمه البروتوكول لدى مختلف الطوائف والهيئات بالدولة وهذا ما كانت تعلنه الشعارات المرفوعة وفى مقدمتها شعار الجيش « الله . الملك . الوطن » الذى يرجع سبب تحويره بهذا الشكل وتقديم الملك على الوطن الى الفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى الاربعينات كوسيلة لنيل الحظوة والتزلف للملك .

وكانت أهم الانباء الخارجية التى نشرتها صحف ذلك اليوم هى قرب وصـــول الوفد السودانى برئاســة عبد الرحمن المهدى باشا لاجراء مباحثات مع الحكومة المصرية لايجاد حل مصرى سودانى لمشكلة السودان التى كانت العقبة الكأداء فى كل المفاوضات المصرية البريطانية .

وكان المهدى قد أرسل وفده الى القاهرة من قبل بناء على دعوة من نجيب الهلالى أثناء وزارته الاولى وأجرى الوفد السودانى مباحثاته مع الهلالى دون التوصل الى نتيجة مرضية وبعد استقالة الهلالى تم الاتفاق بين المهدى ورئيس الوزراء الذى خلفـــه وهو حسين سرى على الحضور الى القاهرة لاستئناف المباحثات ولما تحـدد موعد قدوم المهدى باشا على رأس وفده كان حسين سرى قد ذهب وتقررت عودة الهلالى ... وعندما حل الموعد لم يجد وفد المهدى لا حسين سرى ولا الهلالى ... هكذا كان عمر جميع وزارات الاحتضار مثل عمر الزهور .

واحتلت أنباء افتتـــاح الدورة الاوليمبية الخامسة عشرة فى هلسنكى بفنلندا جانبا من اهتمام الصحف اذ كانت مصر تشترك فيها ببعض الفرق الرياضية ويبدو ان المحسوبية كان لها دخل فى اختيار اللاعبين والاداريين مما حدا بمجلة روز اليوسف الى ابراز النبأ التالى .

« تكية هلسنكى ـ ان الرياضة فى مصر تماثل تماما السياسة فقد سافر الى هلسنكى وفى الطـــريق اليها أفواج أخــرى .. الاداريون مبســوطون واللاعبــون فى انشراح كامل وسر هذا الانبساط هو أن تكية هلسنكى ضمنت لهم جميعا صيفية مباركة ـ أما البركة فانها لن تحل أبدا بهذا البلد » .

ونشرت الصحف نبأ قيـام حركة ارهابية فى المانيا الشرقية تمهيدا لتحويلهـا الى دولة سوفييتية تابعة لروسيا ـ وكان أحد الانباء التى استرعت الالتفات هو مطالبة الغرب حكومة اسرائيل باعادة وزارة خارجيتها من القدس التى تل أبيب ـ ويبدو ان هذه المطالبة سوف تبقى أبد الدهر .

ولم يكن فى الانباء الداخلية ما يستحق الاهتمام سوى الاعلان عن افتتاح سنترال باب اللوق فى أول أغسطس واعلان حكمدارية بوليس الاسكندرية حالة الطـوارىء بالمدينة وكذا اجتماع الهيئة السعدية برئاسة ابراهيم عبد الهادى باشا وبحثهـا الموقف السياسى الداخلى والخارجى ثم أنباء المحاكمات وعن مثول بعض المتهمين فى حريق ٢٦ يناير أمام المحكمة العسكرية العليا المشكلة من ثلاثة من المستشارين واثنين من كبار ضباط الجيش وأخيرا بعض التفاصيل عن حادث سقوط قطار دمياط بالقرب من طنطا .

اصطياف الزعماء والكبراء

أثار نبأ صغير نشرته جريدة المصرى صباح ٢٢ يوليو لمراسلها فى باريس كوامن الشجون فى نفوس القراء فقد قرأوا أن رفعة حسين سرى باشا وسعادة الدكتور محمد هاشم باشا (زوج أبنته ووزير الداخلية فى وزارته) قد حجزا لنفسيهما شقتين منذ أيام فى أحد الفنـادق الكبرى فى اكس ليبان . وكان سر الاسف هو أن معظم زعماء مصر ورجالاتها قد تركوها فى تلك الآونة العصيبة

للاصطياف بالخارج والترويح عن النفس فقد نشرت مجلة المصور خبرا تحت عنوان « الوفد يسافر » جاء فيه « سافر ثلاثة من أقطاب الوفد الى أوربا خلال اسبوع واحد الرئيس مصطفى النحاس باشا والسكرتير العام للوفد فؤاد سراج الدين باشا والسكرتير المساعد محمود سليمان غنام باشا .. وقبل ذلك سافر الى لبنان اقطاب الوفد عبد الفتاح الطويل باشا ومحمد الوكيل باشا والدكتور محمد صلاح الدين باشا وكأنما الوفد كله يعيش فى الخارج .. خارج مصر » .

وكان القراء قد طالعوا فى اليوم السابق نبأ قيام محمد حسين هيكل باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين برحلة الى الخارج مع استعداده للعودة فى أى وقت يتطلب عودته .

وفى مجلة الجيل الجديد طالع القراء نبأ سفر الباخرة الايطالية اسبريا من ميناء الاسكندرية فى طريقها الى فينيسيا بايطاليا وعلى ظهرها عدد كبير ـ ذكرت المجلة اسماءهم ـ وكانوا من ألمع شخصيات المجتمع ترافقهم عائلاتهم وسياراتهم .

وكان باقى الزعماء والسياسيين الذين لم تسعدهم ظروفهم بالسفر الى الخارج يمضون الصيف فى الاسكندرية بعيدا عن حر القاهرة اللافح وكانوا ينزلون عادة فى فندق سيسيل أو سان استفانو حيث يجلسون فى شرفة الفندق المطلة على البحر فى حلقات للنقاش والسمر ويتناولون الوضع السياسى المتردى فى البلاد بتعليقاتهم الساخرة وكانت أشهر تلك الحلقات تعقد فى

فندق سيسيل بمحطة الرمل ويتصدرها فيلسوف الجيل أحمد لطفى السيد باشا .

هكذا كانت الاسكندرية تتركز فى أرجائها مظـــاهر الحركة والنشاط السياسى يوم ٢٢ يوليو فالملك فاروق وأسرته وحاشيته ينعمون باقــامة هنيئة وعيشة رغدة ما بين بلاج قصر المنتزة الساحر وابهائه الفخمة وغرفه الوثيرة التى تزينهـــا أجمل الثريات والتحف وما بين حدائقه المنبسطة الخضراء التى تكاد تحسبها قطعة من الجنة ـــ وانى للملك الفارق فى لهوه أن يعلم انه بعد ايام قلائل فقط سوف يطرد من هذا النعيم !!

وكانت المكاتب بقصر المنتزه تموج بالحركة استعدادا لقدوم رئيس الوزراء الجديد ووزرائه الذين تحددت لهم الساعة الرابعة موعدا لحلف يمين الولاء لصاحب العرش بينما كان الاستاذ محمد ثابت سكرتير عام مجلس الوزراء والاستاذ صلاح الشـــــاهد تشريفاتى رئاسة الوزراء منهمكين فى اجراء الاتصالات التى يطلبها رئيس الوزراء وفى اعداد دار الوزارة ببولكى لاستقبال الرئيس والوزراء عقب أداء اليمين الدستورية ليحتلوا مكاتبهم ويبدأوا فى تصريف أمور البلاد .

وعلى العكس كانت القــاهرة عاصمة البــلاد يظللهـــا الهدوء وتخيم عليها السكينة فقد ابتعدت عنهــا الاضواء ونأت عنها مظاهر الحركة والنشاط فالقصور الملكية مغلقة لا يسمع فيها الا صوت الحراس على الابواب الخارجية البعيدة ودور الوزارات شبه خاوية فالوكلاء وكبـــــار الموظفين من المحظوظين يحتلون مكاتبهم فى دار الوزارة ببولكى ويتمتعون بقضـــــاء الصيف بالاسكندرية على

حساب الدولة ويتقاضون بدل سفر مجزيا يكفل لهم تمضية فترة ممتعة فى الصيف مع أسرهم .

والقيادة العامة للقوات المسلحة التى تقع فى ثكنات قصر النيل (مكان فندق الهيلتون والجامعة العربية حاليا) كانت هى الاخرى تشكو فراغها وعزلتها فان انتقال الفريق محمد حيدر باشا الى الاسكندرية كان يعنى اصابتها بالشلل فى الوقت الذى تدب فيه الحياة والنشاط فى مكتب القائد العام داخل ثكنات مصطفى باشا الذى تملؤه بمجرد وصوله هيئة مكتبه والسكرتارية الخاصة به .

وبسبب اصطياف الملك وحكومته بالاسكندرية خلت القاهرة يوم ٢٢ من أى مسئول ذى سلطان من رجالات الدولة كان فى امكانه اتخاذ القرار ولديه الصلاحيات لاصدار التعليمات الفورية لمواجهة أى موقف طارىء .. اذ أن مركز السلطة بكل ثقله فى الاسكندرية ولا توجد وسيلة لمعرفة حقيقة ما يجرى بالعاصمة واصدار التعليمات بشأنها للمرءوسين الا عن طريق التليفون . وكانت وسيلة عقيما أثبتت فشلها خاصة وان شخصية المتحدث اليهم لم يكن بالامكان التأكد منها مما أدى الى وقوع عدة مواقف هزلية .. وهكذا اثبتت الوقائع ان وجود الملك والحكومة بالاسكندرية كان عاملا هاما فى نجاح الحركة فان بعدهم عن مسرح الاحداث أدى الى انفلات زمام الموقف من أيديهم عندما حانت الساعة الحاسمة .

ولم يكن بالقاهرة فى هذا اليوم من يمكن لجوء السلطة اليه سوى رجلين تركزت خلالهما جميع

الاتصالات بين الاسكندرية والقـاهرة بحكم منصبيهما وكان الاول هو الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش الذى يقع مكتبه بالدور الثانى بمبنى رئاسة الاركان بكوبرى القبة (مقر وزارة الدفاع حاليا) — وكان الرجل الثانى هو اللواء أحمد طلعت حكمدار بوليس القاهرة والذى يقع مكتبه بديوان المحافظة القديم بباب الخلق .

وكان منصب حكمدار القاهرة وقتئذ من الاهمية الى حد انه كان المنصب التالى مباشرة لوزير الداخلية وكان يتبع الحكمدار جميع قوات البوليس بالقاهرة علاوة على فرقة الامن المدرعة وهى الفرقة التى تشكلت بعد حريق القاهرة من رجال أشداء مسلحين جيدا لقمع أى شغب مهما بلغت قـوته أو شـــدته وكانت تعد وقتئذ القـوة الضاربة الوحيدة لدى البوليس .

الرجل والبطل

فى صباح يوم ٢٢ يوليو طالع القراء فى اهتمام شديد الكلمة التى نشرتها جريدة الاخبار بقلم الكاتب الكبير كامل الشناوى فى عموده اليومى « وجهة نظر » والذى كان يقع بالصفحة الاولى للجريدة على مسافة شديدة القرب من صور الهلالى ووزرائه . أثارت كلمة كامل الشناوى الكثير من التعليقات وتساءل بعض الضباط الاحرار هل نما الى علم الكاتب الكبير شىء عن ذلك السر الخطير الذى يطوونه بين صدورهم ؟ وكان عنوان الكلمة مثيرا وملفتا للانظار فقد كان « أين الرجل » ؟ وكان اهم ما تضمنته .

تروى الاساطير أن « ديوجنيس » حكيم اليونان خرج من داره يوما وفى يده مصباح وظل يطوف بشوارع أثينا باحثا عن شىء على ضـوء مصباحه ودهش أهل أثينا عندما رأوا حكيمهم يحمل مصباحا فى ضوء النهـار والشمس مشرقة وسألوه ماذا تصنع يا ديوجنيس ؟ فقال ابحث عن رجل !! وكان سائلوه من الرجال ومع ذلك فهو يبحث عن رجل .

وما أشبه مصر اليوم بديوجنيس ... فهى تحمـل مصباحها فى يدها ليل نهار تنقب عن رجل ... لـكن المصباح سينضب زيته وتحترق ذبالته وينطفىء قبل أن تجد مصر هذا الرجل فانها تبحث عنه بين طائفة من الساسة تجاوزوا مرحلة الرجولة وعبثا تحاول أن تعيدهم الى هذه المرحلة ..

لتدع مصر مصباحها ولتبحث بلا مصباح فى صفوف الشعب عن الرجل الذى تنشده » .

ولم يكن هناك وصف لما كانت تنشـده مصر فى ذلك اليوم أصدق ممـا حوته تلك الـكلمة القصيرة المعبرة ولا شك أن كامل الشناوى كان يعبر يومهـا عن نبض الشعب فلم تكن مصر فى حاجة الى رجل فى تاريخهـا الطويل أشد من حاجتها اليه فى ذلك اليوم وكان الكاتب فى أعلى درجات الحكمة والصـدق حينما دعا مصر الا تبحث عن رجلها المنشود بين طائفة الساسة وانما بين صفوف الشعب ومن عجب أن الرجل المنشود كان موجودا بالفعل بل وكان متأهبا للعمـل فى نفس اليوم . كان الرجل الذى تبحث عنه مصر شابا فى الرابعة والثلاثين من عمره أسمر اللون بارز الملامح معتدل القـوام قوى

العزيمة ولم يكن من رجال السياسة او محترفيها فقد كان يرتدى الملابس الكاكيه اللون التى تدل على انتمائه للجيش ــ ولم يكن ثريا كمعظم السياسيين فلم يكن يملك سوى مرتبه البسيط الذى يتقاضاه من الجيش . ولم يكن يملك جاها أو نفوذا فرتبته العسكرية لا تؤهله لذلك وكان يعيش عيشة متواضعة بعيدة كل البعد عن حياة الرفاهية ولم يكن يستطيع أن يصطاف مع أسرته ولو بالاسكندرية فقد كان ذلك ترفا لا تتحمله موارده المحدودة ولم يكن منتميا لحزب من الاحزاب ولا لهيئة من الهيئات اذ كان ولاؤه مكرسا للقضية التى عاش طوال عمره من أجلها ... قضية تحرير الوطن ولم تكن عليه سيطرة أو وصاية من أحد سواء من داخل مصر أو خارجها .

ورغم ضعف شأنه ورقة حاله كان قلبه عامرا بالامل فى مستقبل مشرق لوطنه مليئا بايمان راسخ بأنه الرجل الذى اصطفته العنـــــاية الالهية لتغيير تلك الاوضـــاع الكريهة التى كانت ترزح مصر وقتئذ تحت وطأتها وانه مع ذلك النفر القليل من زملائه سوف يتمكنون بفضل ايمانهم من حمل الامانة واداء الرسالة وانقاذ مصر من محنتها .. كان الرجل المنشود هو المقدم أ . ح جمال عبد الناصر الذى لم يكن أحد من الشعب فى صباح ذلك اليوم يعرفه أو سمع عنه ولم يكن هو وحده الرجل الذى عناه كامل الشناوى فى كلمته ولكنه كان فقط تجسيدا حيا لما كان يعنيه فقد كان كل فرد من الضباط والجنود الاحرار فى ذلك اليوم هو الرجل بل هو البطل .

وكان عبد الناصر وزملاؤه على موعد مع القدر فى تلك الليلة ... كانوا يعلمون انهم امل مصر الوحيد فى نيل

حريتها فان كل السبل الاخرى قد اغلقت فى وجهها .. ان أبناء مصر قد سجلوا بدمائهم اسطورة كفاح خالدة منذ ثبت المستعمر اقدامه فى وطنهم وشهد عام ١٩١٩ ذروة كفاحهم فى سبيل حريتهم ولكن الثورة انتكست ولم تحقق النتائج المنتظرة منها .. وادرك ابناء مصر ان خطورة المستعمر لا تكمن فى جيوشه الحـــاشدة او حرابه المشرعة وانما فى اولئك العملاء الذين ارتبطت مصالحهم ببقائه وعلى رأسهم ذلك الملك العميل الذى أصبح عرشه مستقرا بحمايتهم منذ عهد الخديو الخائن توفيق .

واضحى طريق الكفاح الشعبى ميئوسا منه فقد كان الجيش هو أداة البطش والارهاب فى يد الملك يقمع بها كل محاولة لتغيير الاوضاع أو المطالبة بالحريات ..

وكانت خطة عبد الناصر وزملائه فى ذلك اليوم ان ينزعوا عن الجيش ولاءه للملك ليصبح عن جدارة جيش الشعب وكان تعبير عبد الناصر اصدق وصف لما حدث حين قال : « كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية أحلام الشعب وقد آن لهذا الشبح أن يتحول الى الطاغية فيبدد أحلامه هو » .

كان عبد الناصر يمثل جيل الضباط الوطنيين الذين تخرجوا فى الكلية الحربية فى نهاية الثلاثينات وبداية الاربعينات وكانوا يوم ٢٢ يوليو فى رتبة المقدم أو الرائد وكان معظم شباب هذا الجيل من الضباط قد علقوا آمالهم فى بادىء الامر على حزب الوفد باعتباره الحزب الذى قاد حركة الكفاح الشعبى ضد الاحتلال البريطانى والذى وقف فى صـلابة وحزم ضد تسلط الملك وعبثه

بالدستور . لكن ذلك الامل لم يلبث ان خبا عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى حاصر فيه الانجليز قصر عابدين بدباباتهم وأرغم فيه السفير البريطانى الملك على تكليف زعيم الوفد مصطفى النحاس بتشكيل وزارة وفدية . لقد ادت مظاهرة السفير البريطانى العسكرية ودعايات أحزاب الاقلية الى الاساءة للوفد وأصبح حادث ٤ فبراير نقطة سوداء فى تاريخه يطعنه عن طريقها أعداؤه ويلطخون بها صفحة كفاحه الناصعة . وترك حادث ٤ فبراير فى الجيش تأثيرات بعيدة المدى أدت الى التفاف ضباط الجيش حول الملك الذى نجح وقتئذ فى الظهور بصورة البطل المناضل الذى جابه وحده سطوة الاستعمار علاوة على ما احس به الضباط من شعور بالمهانة بعد ذلك الحادث الذى احسوا انه عدوان على شرفهم العسكرى ولذا كانت النتيجة الحتمية هى ابتعاد ضباط الجيش عن الوفد .

غير ان حقيقة الملك لم تلبث ان انكشفت بعد قليل عن مخلوق ماجن استباح الاموال والاعراض وغرق فى بحر من شهواته ونزواته الطائشة ولم يتورع فى سبيل الاحتفاظ بعرشه وسلطانه من أن يبيع نفسه وبلاده للشيطان . وكان هذا الشيطان انجليزيا أحمر الوجه يحكم مصر من مقر السفارة البريطانية بقصر الدوبارة ويدعمه أكثر من ثمانين ألف جندى بريطانى يحتلون منطقة قناة السويس . ووقع الضباط الشبان فى حيرة بالغة فالامل الذى كانوا يعلقونه على انتصار الالمان فى الصحراء الغربية ودخولهم مصر وطرد الانجليز منها لم يلبث ان زال بعد هزائم الالمان وانسحابهم من شمال

افريقيا .. والامل فى التحرير عن طريق الملك والاحزاب السياسية القائمة سرعان ما تبين للضباط انه ضرب من الوهم والخيال فالــكل يتناحر ويتصارع لا فى سبيل التحرير ولكن فى سبيل الوصول الى الحكم والسلطان .

أخذ الضباط بعد هذا اليأس المرير يبحثون عن ملجأ يمارسون فيه نشاطهم الوطنى فلم يجدوا أمامهم سوى الجماعات الجديدة التى بدات تظهر على مسرح السياسة المصرية والتى كانت تحاول وقتئــذ اجتذاب الجماهير بمبادئها المتطرفة سواء اليمينية أو اليسارية .

الجيش بين اليمين واليسار

كانت أشد الدعوات نجاحا فى اجتذاب الضباط هى جماعة الاخوان المسلمين فانها بتنظيمها الهــرمى الذى يقف المرشد العام على قمته وبجناحها العسكرى الذى يضم العسكريين وبجهازها السرى للقيــــام بالعمليات الخاصة وبجماعاتها المسلحة من الفدائيين — كل هذا وجد فيه الضباط شيئا غير بعيد عن النظام العسكرى الذى اعتادوه .. وعلاوة على ذلك كان للمرشد العام الشيخ حسن البنا مقدرة فائقة على اجتذاب الجماهير وعلى ضم الضباط الى الجماعة من خلال أحاديثه عن علاقة الدين بالوطن ورسالة الاخوان المسلمين فى توعية الناس بدينهم ومحاربة الفساد والانحلال الخلقى وحاجة الوطن الى المواطن القوى المؤمن .

وكان من الطبيعى أن ينضم الى صفوف الجماعة نخبة كبيرة من ضباط الجيش كان فى مقدمتهم ثمانية من

أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار وهم جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وعبد اللطيف البغـدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وصلاح سالم ـ وبعضهم عقد البيعة مع الاخوان بالصورة العادية والبعض الآخر ومنهم عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين عقدوا البيعة مع عبد الرحمن السندى المسئول عن الجهاز السرى فى غرفة مظلمة بالصليبة بحى طولون حيث أقسموا على المصحف والمسدس على طاعة الله والالتزام بقيادة الجماعة فيما لا معصية فيه .

ويعترف خالد محيى الدين بهذه الحقيقة رغم انضمامه بعد ذلك الى اليسار فيقول : « كنت ضمن المجموعة التى انضمت للجهاز السرى للاخوان برئاسة عضو مكتبهم عبد الرحمن السندى والتى كانت مكونة من جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ومنى ، وقد حلفنا على المصحف والمسدس ليلا » وازدادت اواصر الصلات بين عبد الناصر والاخوان المسلمين وخاصة بعد تعرفه الوثيق بالرائد محمود لبيب عام ١٩٤٤ وهو أحد العسكريين السابقين الذى تشرب بالخبرة العسكرية الالمانية عندما هاجر الى المانيا فى شبابه وكان المرشد العام قد كلفه بالاشراف على الجناح العسكرى بالجماعة فأصبحت اتصالات الضباط بالجماعة تتم كلها عن طريقه.
وأسهم عبد الناصر فى تدريب أفراد الجماعة على استخدام السلاح وخاصة اثناء الاعداد لحرب فلسطين عام ١٩٤٨ وازدادت صلاته بالجماعة الى الحد الذى حمل ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء الى استدعائه الى

مكتبه برفقة الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة اركان حرب الجيش فى ٢٥ مايو ١٩٤٩ عقب العودة من حرب فلسطين لتحذيره من نشاطه مع جماعة الاخوان المسلمين . وكان انضمام عبد الناصر الى جماعة الاخوان المسلمين مجرد مرحلة مؤقتة من مراحل كفاحه المرسوم لتحقيق الامل الذى يراوده والذى كرس حياته من أجل تحقيقه فلم يلبث أن نجح فى اجتذاب مجموعة من ضباط الجيش المنضمين مثله الى صفوف الاخوان وشكل منهم فى سبتمبر ١٩٤٩ نواة التنظيم الذى عرف فيما بعد باسم تنظيم الضباط الاحرار والذى انفصل منذ ذلك التاريخ عن صفوف الاخوان ولم تعد للجماعة عليهم اية وصاية أو توجيه .

وعندما أصبح انضمام الضباط الى تنظيم الاحرار لا علاقة له بمبادىء الاخوان المسلمين انضم اليه الكثيرون من مدارس فكرية ومذاهب مختلفة تباينت من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، ورغم هذا الاختلاف العقائدى فقد كانت تجمعهم وحدة الهدف الوطنى الذى تمثل فى المبادىء الستة التى أعلنت فى منشورات الضباط الاحرار .

وكان اصرار عبد الناصر وأعضاء لجنة القيادة التى سميت باللجنة التأسيسية على عدم خضوع التنظيم لوصاية أو توجيه احد من خارج الجيش سببا فى اسقاط عضوية المقدم عبد المنعم عبد الرءوف العضو الثانى بعد عبد الناصر من المؤسسين للتنظيم وذلك قبل قيام حركة الجيش بثلاثة اشهر لالتزامه وارتباطه بجماعة الاخوان المسلمين ومحاولته نقل ولاء بعض الضباط

الاحرار . ورغم اخراج المقدم عبد المنعم عبد الرءوف من قيادة التنظيم حرص عبد الناصر على الاحتفاظ بصلات وثيقة وصداقات شخصية مع بعض أقطاب الاخوان المسلمين كما حرص على أن يظل التعاون قائما بينهما أملا فى مؤازرة جماعة الاخوان المسلمين لحركة الجيش عند قيامها وكان ذلك هو السبب الذى دفعه للاتصال بالاخوان لاخطارهم بموعد الحركة قبل أيام من قيامها طلبا لتأييدهم كما سيرد بالتفصيل فيما بعد وكانت جماعة الاخوان هى الهيئة المدنية الوحيدة التى أخطرت بموعد الحركة عن طريق عبد الناصر شخصيا .

وعلى الرغم من اتصالات عبد الناصر الوثيقة باليمين ممثلا فى جماعة الاخوان المسلمين فقد حرص فى نفس الوقت على تدعيم صلته باليسار عن طريق خالد محيى الدين زميله فى لجنة القيادة — وكان خالد محيى الدين قد ترك جماعة الاخوان المسلمين وانضم عام ١٩٤٧ الى منظمة اسكرا اليسارية بعد قراءته بعض الكتب الماركسية ... وفى عام ١٩٥٠ انضم عن طريق أحمد فؤاد (رئيس مجلس ادارة بنك مصر فيما بعد) الى منظمة يسارية أخرى هى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وقدم خالد محيى الدين زميله أحمد فؤاد الى جمال عبد الناصر الذى عقد معه صلة شخصية وثيقة .

وكان لمنظمة (حدتو) قسم خاص بالجيش تديره لجنة مكونة من احمد فؤاد المسئول الثقافى والرائد أحمد حمروش المسئول السياسى وشوقى فهمى حسين

المسئول التنظيمي ـ ووافقت لجنة الجيش بالمنظمة على عقد صلة تنظيمية مع الضباط الاحرار واصبح احمد فؤاد هو المسئول عن ذلك .

وكان قسم الجيش في (حدتو) يشترك مع عبد الناصر في كتابة منشورات الضباط الاحرار وكما ذكر احمد فؤاد : « اصبحت (حدتو) بعد حريق القاهرة في ٢٦ يناير هي الجهة التي تقوم بطبع وتوزيع المنشورات واذكر انني قدمت لجمال عبد الناصر الاهداف الستة بناء على طلبه ونزل بها منشور » وكان قسم الجيش بحدتو يضم بعض الضباط الاحرار الذين اشتركوا في حركة الجيش مثل المقدم يوسف صديق والملازم أول آمال المرصفي والنقيب المهندس أحمد جمال علام .

هذا ولم يحدث خلاف بين لجنة القيادة بتنظيم الضباط الاحرار وبين خالد محيي الدين قبل قيام الحركة بسبب اتصالاته اليسارية مثل ما وقع مع عبد المنعم عبد الرءوف بسبب صلاته بالاخوان .. ذلك الخلاف الذي انتهى باخراجه من اللجنة قبل ثلاثة اشهر فقط من قيام الحركة .

ولا يرجع ذلك الى التعليل الذي حاول أحمد حمروش أن يقنعنا به وهو ان منظمة حدتو كانت تجند الضباط أولا لتنظيم الضباط الاحرار فاذا استكملوا مواصفات الدخول لتنظيم (حدتو) عرض عليهم الانضمام لقسم الجيش بحدتو ولذا لم يحدث تناقض بين الضباط الاحرار والضباط الشيوعيين ... هذا التعليل يخالف المنطق ويجافي الواقع ، ومن مذكرات يوسف صديق وخالد محيي الدين يتضح انهما انضما الى التنظيمات

اليسارية اولا قبل انضمامهما الى الضباط الاحرار كما انه من غير المعقول أن يسخر التنظيم اليسارى امكانياته لتجنيد الضباط لحساب تنظيم الاحرار بدلا من تجنيدهم مباشرة فى قسم الجيش بالمنظمة وهو الامر الطبيعى . لكن السبب الحقيقى فى موقف خالد محيى الدين هو ان المجال لم يكن مهيئا أمامه لاغراء الضباط الاحرار بتحويل ولائهم الى المنظمة اليسارية فلم يكن احد من هؤلاء الضباط وقتئذ يقبل أو يهضم الفكر الشيوعى ولذا لم تجد لجنة قيادة الاحرار أية خطورة على التنظيم من نشاط خالد محيى الدين اليسارى اما فى حالة عبد المنعم عبد الرءوف فقد كانت الخطورة محققة فان دعوة الاخوان وقتئذ كان لها بريقها وجاذبيتها بالنسبة للضباط وكان عدد لا يستهان به من الضباط الاحرار من أصل اخوانى مما كان يسهل معه تحويل ولائهم مرة أخرى الى الجماعة . وقد بذل عبد المنعم عبد الرءوف محاولات عديدة لاقناع زملائه اعضاء لجنة القيادة بضرورة ربط التنظيم بجماعة الاخوان المسلمين ولكن اعضاء اللجنة لم يقتنعوا بالمبررات التى قدمها زميلهم لتنفيذ هذا الاقتراح الذى كان كفيلا بوضع التنظيم تحت وصاية الاخوان المسلمين .

ولذا لم تجد لجنة القيادة بدا من ابعاده اتقاء لخطره.

لكن مجريات الحوادث أثبتت ان علاقة عبد الناصر بالاخوان كانت أقوى وأشد ارتباطا وان اعتماده على مؤازرتهم كان يفوق كثيرا اعتماده على (حدتو) فلم يهتم بابلاغ المنظمة اليسارية بموعد الحركة او طلب تأييدها مثل ما فعل مع الاخوان المسلمين ـ رغم علاقته الوثيقة (بحدتو) واشتراكها معه فى كتابة وطبع المنشورات ـ

ولولا قيام احمد حمروش باخطار المنظمة بموعد الحركة بمبادرة شخصية منه وبلا تكليف من عبد الناصر لما علمت (حدتو) بأية معلومات عن حركة الجيش قبل قيامها .

لقاءات نجيب الهلالى

فى صباح ٢٢ يوليو شهد منزل نجيب الهلالى باشا بالمندرة بالاسكندرية نشـــاطا غير عادى ونزل صاحب الدولة من غرفة نومه مرتديا بدلة بيضـــــاء انيقة الى صالونه الخاص بالدور الاول فى العاشرة صباحا . وكان كتلة من النشاط ويبدو على أساريره المرح والانشراح وهو فى طريقه لمقابلة أعضاء وزارته الذين كلف الاستاذ صلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة فى مساء اليوم الســـابق بالاتصال بهم ودعوتهم الى الحضور لمقابلته وكان ذلك عقب تكليفه بتأليف الوزارة .

ولم يفاجأ صلاح الشاهد بهذا النبأ بل واخبر رئيسه انه قد عرف الامر من قريبته اصيلة هانم والدة الملكة ناريمان عندما قالت له أن الرجل النظيف آت الى الوزارة وذكر انه قال لها ان شروط الهلالى للخروج من صومعته وقبول الوزارة هى تطهير الحاشية من المفسدين فردت بأن الملك قد قبل ذلك . ولم يلبث المنزل الهـادىء ان تحول الى خلية نحل فقد أخذ الوزراء يتوافدون على البيت فى الوقت الـذى علت فيه أصوات الصحفيين بالخارج وهم يحتجون على جنود الحراسة الذين كانوا يحاولون منعهم من الدخول .

واستقبل الهلالى باشا من اعضـــــاء وزارته الاولى الباشوات عبد الخالق حسونة ومرتضى المراغى ومحمد

كامل مرسى وطراف على وزكى عبد المتعال ومحمد المفتى الجزايرلى وراضى ابو سيف راضي ومحمد رفعت وفريد زعلوك وطه السباعى وتم الاتفـــاق معهم على دخـــولهم الوزارة الجديدة .

وكان الهلالى قد استدعى جميع أعضاء وزارته الاولى للاشتراك معه فى تشـــكيل الوزارة ما عـــدا محمود غزالى وصليب سامى كما استبعد نجيب ابراهيم الذى اشترك فى وزارة حسين سرى باشا قائلا انه لن يتعاون مع وزير جلس الى جوار كريم ثابت فى مجلس الوزراء .

واستقبل الهلالى بعد ذلك الوزراء الجدد وهم حسن كامل الشيشينى المرشح وزيرا للزراعة والدكتور سيد شكرى المرشح وزيرا للصحة وكان الهلالى قد بحث فى اليوم السابق عن اسمى وزيرين قبطيين ليدخلا الوزارة فرشح المحيطون به المهندس يوسف سعد لوزارة الاشغال والاستاذ مريت غالى لوزارة الشئون البلدية والقـــروية ورحب الهلالى بالترشيح واستقبل الوزيرين القبطيين .

وكانت تعليمـــات رئيس الوزراء لاعضـــاء وزارته ان يلتقوا جميعا قبل الساعة الرابعة فى صالون قصر المنتزه لحلف اليمين امام الملك .

ودعى الهلالى بضع مرات الى التليفون ليتحدث الى حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى وكانت المكالمات تتسم بروح الود والصداقة فان الهـــلالى كان شديد الاطمئنان الى تعاون حافظ عفيفى معه كمـــــا كان بالغ الثقة فى كفاءته ونزاهته وحسن نواياه .

وعندما زاره حافظ عفيفى فى منزله فى اليوم السابق وأبلغه أن الملك يكلفه بتأليف الوزارة الجـــديدة وحاول الهلالى الاعتذار محتجا بأن المؤمن لا يلدغ من جحر واحد

مرتين رد حافظ عفيفى : « لقد تغيرت الاوضاع ووعد الملك بأن يلتزم حدوده والا يمكن غير المسئولين من شئون الحكم » .

وهكذا كان الهلالى فى ذلك الصباح كما وصفه من شاهدوه أسعد ما يكون الانسان .

وفى الوقت الذى كان فيه الهلالى مشغولا بلقاءاته مع وزرائه فى منزله بالاسكندرية كان العمل فى قيادات الجيش ووحداته بالقاهرة يسير سيره المعتاد دون أن يبدو فى الافق اى نذير لشىء غير متوقع فالفريق حسين فريد أقبل الى مكتبه بكوبرى القبة سبكرا نشطا كعادته كل صباح ومضى يصرف الامور بصرامته المعروفة بينما أخذ مدير مكتبه العقيد أ . ح عبد العزيز فتحى فى عرض الاوراق والمذكرات الهامة عليه وهو يذيلها بعد قراءتها بتأشيراته الموجزة الدقيقة .

وقبل أن ينصرف مدير المكتب أمره رئيس الاركان باستدعاء اللواء محمد نجيب لمقابلته على الفور . وكان محمد نجيب وقتئذ مديرا لسلاح المشاة ورئيسا لمجلس ادارة نادى الضباط الذى صدر القرار بحله يوم ١٦ يوليو ٥٢ بناء على ضغط الملك على الفريق محمد حيدر القائد العام .. وعاد عبد العزيز فتحى بعد قليل لينبىء رئيسه بأن اللواء محمد نجيب قد حجز بكشف المرضى فى منزله منذ أيام وسأله ان كان يود أن يطلبه له على التليفون فهز الفريق حسين فريد رأسه وأخبره فى اقتضاب أنه يريده شخصيا فان التليفون لا يصلح فيما يريده من أجله وأشار الفريق بيده فبادر مدير مكتبه بالانصراف .

ماذا كان يريد حسين فريد يا ترى من اللواء محمد

نجيب فى ذلك اليوم .. هل كان يريد أن يخطره بأن يهيىء نفسه للسفر الى الصعيد فان قرار تعبينه قائدا للمنطقة الجنوبية بمنقباد على وشـــك الصدور ... هل كان يريد أن يسأله عن سر مقـــابلته للدكتـــور محمد هاشم وزير الداخليـــة فى حكومة حسين سرى باشـــا المستقيلة يوم ١٨ يوليو فى شقته بالزمالك بعد منتصف الليل والتى رصدها رجال المباحث ... أم كان يريد أن ينصحه بدافع من الزمالة أن يقلل من نشاطه واتصالاته لانه موضوع تحت رقابة المباحث ؟ ..

الواقع ان سبب هذا اللقاء الذى لم يتم سيظل سرا مجهولا الى الابد .

وكانت الحركة فى معســـكرات الجيش بهاكستيب والعباسية والماظة تجرى على منوال العمـــــل اليومى فالجنـــود فى طوابيرهم خلف مدافعهم وأسلحتهم تحت اشراف ضباطهم وقد علت الاصوات ونشطت الحركات وتتابعت النداءات . أما القادة ومديرو الاسلحة والادارات فقد ظلوا فى ذلك اليوم فى مكاتبهم يقـــابلون زوارهم ويردون على المكالمات التليفونية ويوقعــون على الاوراق الهامة التى قدمهـــا لهم ضباط أركان حربهم والبعض منهم اخذوا يمرون على وحداتهم ويلقون على مرؤوسيهم من الضـــباط أوامرهم وتعليماتهم وكان بعضها يتعلق بموضوعات هامة واجراءات يريدون منهم تنفيـــذها فى اليوم التالى .. ولكن من كان من هؤلاء القادة يتخيل ان شمس اليوم التالى لن تطلع عليـــه الا وهو رهين الاعتقال ؟ من كان يظن أن هذا الهـــدوء الشامل فى معسكرات الجيش سوف تعقبه العاصفة التى ستقتلع كل هذه الاوضاع والمفاهيم البالية .

أسباب التعجيل بموعد قيام حركة الجيش

شائعتان تعجلان بموعد قيـــام حـركة الجيش

كانت النية معقودة لدى لجنة القيادة فى الضباط الاحرار على القيام بالحركة عام ١٩٥٥ - وذلك ما صرح به جمال عبد الناصر بنفسه بعد الثورة - وقد قدرت هذه المدة على أساس مرور ست سنوات على بدء تشكيل التنظيم لتكون الفرصة قد تهيأت لاستكمال بنائه فان عملية انشاء تنظيم سرى بالجيش تمتد خلاياه داخل مختلف الاسلحة والوحدات لم تكن أمرا هينا فى وجود أجهزة متعددة للأمن مثل المخابرات الحربية والبوليس السياسى وأجهزة الملك الخاصة بالامن كما ان أجهزة المخابرات الانجليزية والامريكية لم تكف عن نشاطها فى الآونة الاخيرة بحثا عن الضباط الاحرار .

وفوجىء التنظيم وهو ما زال هشا غير متكامل بأحداث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير التى انتهت بنزول الجيش الى الشوارع لاعادة الامن والاستقرار الى العاصمة - وضاعت من التنظيم فرصة ذهبية باستغلال انتشار قوات الجيش فى أرجاء العاصمة للاستيلاء على السلطة بضربة واحدة ودون مغامرة أو جهد . وانقسم الرأى بين أعضاء لجنة القيادة .. فريق يرى ضرورة استغلال

فرصة وجود الجيش فى قلب العاصمة وظروف منع التجول ليلا للقيام بالحركة على الرغم من عدم استكمال التنظيم قوته اذ انه من المستبعد أن تسنح فرصة مماثلة فى المستقبل اما الفريق الآخر ومن بينه عبد الناصر فقد كان يؤثر عدم التحرك فى هذه الآونة لان التنظيم اضعف من ان يقوم بالضربة المنتظرة . وحسم عبد الناصر الامر بعد اللقاء الذى أجراه مع اللواء محمد نجيب فى مكتبه برئاسة المشاة الذى حضره معه اثنان من أعضاء اللجنة هما عبد الحكيم عامر وصلاح سالم كما حضره أحد ضباط التنظيم وهو الرائد أ . ح جمال حماد أركان حرب سلاح المشاة وقتئذ ـ وفى هذا اللقاء حذر محمد نجيب من عواقب القيام بأى تحرك فى هذه الفترة التى يتربص فيها الاستعمار بالوطن بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ واقالة الحكومة الوفدية فقد يستغل الفرصة ويزحف بقواته الى القاهرة بحجة المحافظة على الامن وحماية أرواح الاجانب وهى الحجة التى يتذرع بها على الدوام لتنفيذ مآربه . واتجه تفكير لجنة القيادة بعد ذلك الى التعجيل بموعد الحركة الذى تحدد عام ١٩٥٥ ليأتى مبكرا ثلاث سنوات عن ميعاده واختير شهر نوفمبر ١٩٥٢ موعدا للقيام بالحركة وكان السر فى ذلك ان البرلمان الوفدى كان من المفروض اجتماعه فى هذا الشهر بقوة الدستور فى حالة عدم دعوته من قبل الملك . فاذا حدثت مخالفة دستورية كما كان منتظرا فان حركة الجيش عندئذ تكون لحماية الدستور وبذا تضمن تأييد الشعب . وكانت هناك ثلاثة عامل أدت الى زلزلة الوضع السياسى وتحطيم صورة الملك أمام الشعب تحطيما لا يمكن جبره مما شجع لجنة القيادة على اتخاذ قرار التبكير

بالحركة ثلاث سنوات .. أولها قضية الاسلحة الفاسدة فقد أثبتت أن الملك يسرق هو وحاشيته ولو على جثث الضحايا وثانيها كانت مأساة زواج أخته فتحية من رياض غالى وتجريدها هى وأمها نازلى من لقبيهما وبذا انكشف للشعب جو الانحلال الذى تعيش فيه الاسرة المالكة اما ثالثها فكانت مؤامرته الاخيرة مع الانجليز باحراق القاهرة واقالة الحكومة الوفدية فقد كانت طعنة دامية للكفاح الوطنى ضد الانجليز ودمغته أمام الشعب بالخيانة وأجبرته على تأليف وزارات متعاقبة لا عمر لها ولا سند لها من الشعب أو الدستور عرفت باسم وزارات الاحتضار وأدى ذلك كله الى ضياع ثقة الشعب فى حكومته وأصبح الوضع فى الداخل أشبه بأوراق الخريف لا يحتاج الا الى هزة بسيطة يسقط بعدها هشيما تذروه الرياح .

وعجل فاروق باشعال المعركة بينه وبين الضباط مبكرة أربعة أشهر عن موعدها فقد أصدر الفريق محمد حيدر ارضاء له قرارا بحل مجلس ادارة نادى الضباط فى ١٦ يوليو عقابا رادعا للضباط على جرأتهم وتطاولهم على قائدهم الاعلى خلال اجتماع الجمعية العمومية بناديهم بالزمالك وكان الفارق الزمنى بين اجتماع النادى وقرار الحل شهرا واحدا بالضبط .

وبادرت اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار الى التقاط القفاز الذى قذف به الملك فى وجه ضباط الجيش واجتمعت يوم ١٧ يوليو للنظر فى الموقف وحضر الاجتماع عبد اللطيف البغدادى لاول مرة بعد انقطاع دام

ستة اشهر احتجاجا على قـرار اللجنة السابق بعـدم التحرك عقب أحداث حريق القاهرة .

ولقد ثبت ان اللجنة قـد اجتمعت ثلاث مرات خلال ايام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ يوليو وحضر اجتماعاتهـا جميع اعضائها الموجودين بالقاهرة ومعهم عبد الحكيم عامر الذى كان يعمل برئاسة الفرقة الاولى برفح ويمضى بالقاهرة اجازة ميدان كما ثبت ان التفكير اتجه أولا الى اختيار يوم ٥ أغسطس موعدا لقيام الحـــركة وبرر خالد محيى الدين ذلك الاختيار بسببين أولهما خشية امتناع البنوك عن صرف مرتبات الضباط والجنود وثانيهما ــ وهو الاهم ــ انتظار وصول القوة الاساسية لكتيبة مدافع الماكينة الاولى من العريش والتى كانت مقدمتهـا قـد وصلت هاكستيب يوم ١٣ يوليو بقيادة المقدم يوسف منصور صديق قائد ثانى الكتيبة .

وكان مقررا أن تلعب هذه الكتيبة الدور الاول بين وحدات المشاة لما تتمتع به من قوة نيران كثيفة .

لكن هذا الموعد ٥ أغسطس تم تقديمه كما نعلم الى ليلة ٢٣ يوليو واذا رجعنا الى المذكرات والاقـوال التى نشرت لمعرفة متى حدث على وجه التحديد هذا التغيير الذى عجل بموعد قيام الحركة نحو أسبوعين لوجدنا كثيرا من التضارب فالبغدادى يروى ان ذلك تم خلال اجتماع لجنة القيـــادة يوم ١٨ يوليو واللواء محمد نجيب يروى أن ذلك تم خلال مقابلته لعبد النـــاصر وعبد الحكيم عامر فى غرفة الطعام بمنزله صباح يوم ١٩ يوليو بعد أن أخذهما اليها من الصالون الذى كان يجلس فيه الصحفى المعروف محمد حسنين هيكل والمقدم جلال

ندا عندما ادرك انهما يريدان ان يسرا اليه بشيء خاص — وعندما أخبراه بأن الموعد هو ٥ اغسطس وبررا له ذلك بالسببين السابق ذكرهما ضغط على عبد الناصر للتعجيل بموعد الحركة لان الجهات المسئولة عرفت اعضاء اللجنة وقد علم محمد نجيب بذلك من الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية عندما استدعاه الى منزله بالزمالك يوم ١٨ يوليو ودامت المقابلة الى ساعة متأخرة من الليل .

اما خالد محيى الدين فيروى ان موعد الحركة لم يتحدد بالضبط الا خلال الاجتماع الذى عقد بمنزله ظهر يوم ٢٢ يوليو وحضره أعضاء مجلس القيادة .

ومن تضارب هذه الاقوال تتضح لنا الصعوبة فى تحديد الوقت الذى تقرر فيه العدول عن قيام الحركة فى ٥ أغسطس والتعجيل بها لتكون ليلة ٢٣ يوليو .

واذا ضربنا صفحا عن الاقوال التى اوردناها والتى قد يكون الخطأ قد شاب بعضها بسبب طول المدة واحتمال النسيان واعتمدنا على تحليل الاحداث والوقائع تحليلا منطقيا لامكننا فى النهاية أن نصل الى أقرب ما يمكن الى الصواب من ناحية تسلسل الاحداث .

ان صدور القرار بحل مجلس ادارة نادى الضباط يوم ١٦ يوليو كان ناقوس الخطر الذى أيقظ اعضاء لجنة القيادة فبادروا الى الاجتماع يوم ١٧ يوليو بعد أن أحضروا زميلهم الغائب عبد اللطيف البغدادي ليكتمل عقدهم وانضم اليهم عبد الحكيم عامر الذى كان بالقاهرة فى أجازة ميدان .

وعقدت اللجنة ثلاثة اجتماعات متوالية فى أيام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ يوليو جرت فيها مناقشة الاقتراحات المعروضة

امام اللجنة للرد على قرار حل مجلس ادارة النادى ، وكان الاقتراح الاول هو القيام بعملية اغتيالات واسعة النطاق لثلاثين شخصا من السياسيين المصريين على أن يتم ذلك فى يوم واحد . ثم عدل عن هذا الاقتراح الدموى وتم الاخذ بالاقتراح الثانى وهو القيام بحركة عسكرية ليكون تغيير الاوضاع جذريا ولتكون للتضحية ثمارها . وخلال هذه الاجتماعات وكانت أعصاب أعضاء اللجنة لا تزال هادئة نوقش قرار حل مجلس الادارة الذى كان يعنى فى الواقع أن الملك وقائده العام محمد حيدر قد قررا انتهاج سياسة أكثر تشددا وحزما ازاء الضباط الاحرار الذين يثيرون المتاعب فى الجيش كما يعنى بوضوح ان الملك قد بدأ المعركة . وازاء هذا الموقف وعلى ضوء مناقشة العوامل المؤثرة قررت اللجنة تحديد يوم ٥ أغسطس موعدا لقيام الحركة . ولا يمكن من الوجهة المنطقية أن نتصور ان تعدل اللجنة عن قرارها وتسارع بالتعجيل بالحركة نحو خمسة عشر يوما الا اذا كانت هناك أسباب جوهرية قد جدت على الموقف أو ان هناك قوة ضاغطة قد طرأت فجأة فاضطرت اللجنة الى هذا التعجيل مضحية فى سبيل ذلك بالفترة التى كانت خصصتها لاتمام الاستعدادات داخل الاسلحة واخطار أكبر عدد من الضباط الاحرار ليعود من قام منهم بالاجازة وأخيرا وهو الاهم أن تكون القوة الضاربة من المشاة وهى الكتيبة الاولى مدافع ماكينة والمسلحة بستة وأربعين مدفع ماكينة فيكرز قد وصلت من العريش . فاذا أمعنا التفكير فى العوامل التى طرأت على الموقف بعد يوم ١٩ يوليو لخرجنا بالحقائق التالية :

أولا — قدم حسين سرى رئيس الوزراء اســـتقالته يوم ٢٠ يوليو — وكان معروفا أن حسين سرى يعلم بحالة السخط الموجودة بالجيش ومن أجل ذلك رشح اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية ولكن فاروق رفض ذلك واستمرت سياسة حسين سرى فى محاولة التهدئة فدعا الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية اللواء محمد نجيب الى مقابلته فى منزله بالزمالك يوم ١٨ يوليـــو ودامت المقابلة الى ساعة متأخرة من الليل ، وكان الغرض منها معرفة اسباب تذمر رجال الجيش وما هى مطـالبهم — وباستقالة وزارة حسين سرى تكون الســـياسة التى اتبعها فى محاولة استرضاء الجيش قد فشلت لانها لم تجد استجابة من الملك .

ثانيا — بمجرد تقديم حسين سرى استقالة وزارته علمت المصادر المطلعـة ان نية الملك متجهة الى قبولهـا وتكليف نجيب الهلالى بتشكيل وزارة جديدة — ولم يكن شخص نجيب الهلالى فى ذاته يشكل اية خطـورة على الضباط فقد كانت رغبته واضحة هو الآخر فى محاولة استرضاء ضباط الجيش عنـدما عقد النية فى وزارته الاولى على اسناد وزارة الحربية الى محمد نجيب وتم الحصول على موافقته فعلا لولا رفض الملك للتعامل مع عرابى رقم ٢ على حد قوله .

ثالثا — كان النبأ الذى أدى الى انزعاج الضـــباط الاحرار والذى اثار ثائرتهم هو انتظار تقلد اللواء حسين سرى عامر مدير الحدود وخصم الضباط الاحرار اللدود منصب وزير الحربية ولم يكن ذلك يعنى سوى تحدى الملك للضباط وبدء سياسة انتقامية .

رابعا ــ اقترن نبـــأ قرب تعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية بنبأ آخر أثار القلق فى نفوس أعضاء لجنة القيادة على وجه الخصوص وهو ان أجهزة الملك الخاصة بالامن تمكنت من كشف أسماء ١٢ ضابطا من بينهم معظم أعضاء لجنة القيادة نفسها ــ وان الفـــرض من تعيين حسين سرى عامر هو التنكيل بهؤلاء الضــباط بشتى الوسائل من طرد من الخدمة أو اعتقال أو تشريد .

هكذا دب الاضطراب والقلق فى نفوس أعضاء لجنة القيادة فالخطـــر الذى كان فى دائرة الاحتمال أصبح وشيكا داهما وأحسوا بأنهم هم أنفسهم معرضون فى أية لحظة للاجراءات الانتقامية من الخصم العنيد ــ وغدا الامر بمثابة صراع مع الزمن أو سباق الموت بين لجنــة القيادة وغريمها حسين سرى عامر .

وكان السؤال الذى يدور فى ذهن أعضاء اللجنة هل سيتمكنون من الفــداء به قبل أن يتعشى بهم ــ ولم تكن هناك اجابة لهذا السؤال سوى التعجيل بقدر ما يستطاع بسرعة الحركة ولذا عدل بالطبع عن الموعد الاصلى وهو ٥ أغسطس وجرت محاولة لتكون الحركة ليلة ٢٢ يوليو ليتم تحطيم الوزارة الجديدة بما فيها وزير الحربية قبل أداء اليمين الدستورية ولما تعذر ذلك تحددت ليلة ٢٣ يوليو أى بعد ســاعات قلائل من أداء الوزارة اليمين الدستورية حتى لا تتاح أية فرصة لوزير الحربية لاصدار اى تعليمات أو أوامر يسبق بها ضربة الضباط الاحرار التى كانت تعد وتتئد فى عناية وكتمان لتهوى على راس الافعى فتسحقها سحقا .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن بعد أن استعرضنا

العوامل السابقة هو ان نصل الى المصدر الذى استقت منه لجنة القيادة المعلومات الخطيرة التى بدلت تقديراتها وكذا وقت توصلها لهذه المعلومات كي يمكننا استقصاء أمر هذه الانباء والحكم بعد مناقشتها وتحليلها عما اذا كانت أنباء صحيحة أم كانت مجرد شائعات ؟ لقد ثبت ان اول تبليغ وصل الى لجنة القيادة كان عن طريق اللواء محمد نجيب حينما زاره عبد الناصر وعبد الحكيم فى منزله صباح يوم ١٩ يوليو فقد أخبرهما بنبأ اكتشاف السلطات المسئولة أسماء اللجنة التى تتكون من اثنى عشر اسما وكان مصدر النبأ موثوقا به فقد جاء عن طريق وزير الداخلية نفسه خلال زيارة محمد نجيب له فى منزله فى الليلة السابقة مباشرة .

وكان التبليغ الثانى الذى أثار الاعصاب بلا شك وادى الى تصميم عبد الناصر على التعجيل بالحركة بأقرب وقت ممكن هو تلك المحادثة التليفونية التى تمت يوم ٢٠ يوليو بين الصحفى المعروف أحمد ابو الفتح رئيس تحرير المصرى من الاسكندرية وبين شقيق زوجته الرائد ثروت عكاشة أحد الضباط الاحرار البارزين بسلاح الفرسان فى منزله بالقاهرة وكان يتناول الغداء عنده وقتئذ المقدم حسين الشافعى زميله فى السلاح والتنظيم . وعن طريق هذه المحادثة علم ثروت عكاشة ان حكومة حسين سرى قد قدمت استقالتها وان نجيب الهلالى قد كلف بتشكيل الجديدة وان اللواء حسين سرى عامر سوف اليه وزارة الحربية وان اثنى عشر ضابطا ينتظرهم لسجن والتشريد وكانت تلميحات أحمد أبو الفتح توحى التحرك السريع لان الموقف لا يحتمل التأخير .

ولم يعد هناك مجال للبحث أو النقاش فان الاحداث هى التى فرضت نفسها بعد أن أصبح الموضوع مسألة حياة أو موت بالنسبة للتنظيم فما كاد ثروت عكاشة وزميله يبلغان تلك الأنباء الى عبد الناصر اللذين توجها اليه مباشرة عقب الحديث التليفونى حتى أصدر التعليمات لهما باعداد قوة سلاح الفرسان الضاربة على الفور حتى تصدر لهم أوامر التحرك . والتزم ضباط سلاح الفرسان الاحرار ثكناتهم يوم ٢١ يوليو لم يغادروها منذ ذلك اليوم كما صدرت التعليمات الى الضباط الاحرار فى باقى الاسلحة بعدم مغادرة بيوتهم يوميا بعد الساعة الثالثة ظهرا الى حين أن تصدر لهم الاوامر النهائية .

وهكذا ووفقا لتسلسل الاحداث لابد أن نعتبر ان المعلومات التى أوصلها ثروت عكاشة الى جمال عبد الناصر نقلا عن أحمد أبو الفتح يوم ٢٠ يوليو كانت هى العامل الاساسى فى التعجيل بقيام الحركة وفى تغيير الموعد السابق تحديده بمعرفة لجنة القيادة وبدأ عبد الناصر منذ هذه اللحظة يمسك بزمام المبادرة بنفسه ويتخذ القرارات المصيرية كموعد القيام بالحركة ليلة ٢٢ يوليو ثم تأجيله بعد ذلك ٢٤ ساعة ليصبح ليلة ٢٣ يوليو فان الوقت لم يعد يسمح باجتماع اللجنة القيادية والاستماع الى مناقشاتها الطويلة والموقف أصبح فى حاجة الى قائد واحد فقط يحسم الامور ويصدر التعليمات ولذا لم تعقد اللجنة اجتماعا آخر عقب يوم ١٩ يوليو وانفرد عبد الناصر منذ ذلك الحين بالقيادة والتوجيه وحينما اجتمعت اللجنة ظهر يوم ٢٢ يوليو بمنزل خالد محيى الدين كان اجتماعها لمجرد تلقى الاوامر التنفيذية للتحرك والتى القاها المقدم

زكريا محيى الدين ولم يكن وقتئذ من أعضاء اللجنة كما شاركهم الاجتماع من خارج اللجنة ابراهيم الطحاوى وعبد المنعم أمين وحسين الشافعى - ولا يعنى انفراد عبد الناصر بالقيادة والتوجيه ان صلاته بأعضاء لجنة القيادة قد انقطعت فى الايام الاخيرة فقد كان دائما على اتصال وثيق بهم ويخبرهم بالموقف أولا بأول ولكن ذلك كان يتم معهم فرادى أو مجموعات صغيرة بقصد التشاور ولكن المقصود ان اللجنة مكتملة العدد وباختصاصاتها لم تنعقد بعد يوم ١٩ يوليو حتى نجاح الحركة اذ ان اجتماع يوم ٢٢ يوليو بمنزل خالد محيى الدين لا يعتبر اجتماعا خاصا باللجنة فقد حضره أربعة من خارجها ويمكن اعتبار الحاضرين فى هذا الاجتماع بمثابة مجموعة الاوامر وقد قدموا لتلقى تعليمات التحرك من القائد كما هو المتبع فى فن التكتيك الحربى .

والحقيقة ان أسلوب جمال عبد الناصر الذى اتبعه خلال تلك الفترة فى تحمل المسئولية والانفراد باصدار القرارات كان يتمشى تماما مع طبيعة شخصيته وفى حبه للرئاسة رغم ما كان يكلفه ذلك من عناء .. وقد كان طبيعيا بعد أن شعر عبد الناصر بأنه يمارس فعلا سلطاته كرئيس للجنة القيادة أن يحس بالقلق عندما أخذ زكريا محيى الدين - وهو أقدم منه فى الرتبة - يقرأ خطة العمليات على الحاضرين فى اجتماع يوم ٢٢ يوليو بمنزل خالد محيى الدين قبل ساعات من قيام الثورة فعلى اثر انتهاء زكريا من قراءة الخطة قال : كويس على بركة الله ثم وضع الورقة التى كان يقرأ منها الخطة

فى جيبه وانصرف وهنا التفت عبد الناصر الى بعض زملائه الموجودين وقال معلقا على تصرف زكريا :

ـ الحكاية مش أقدمية .

هل كانت هناك فعلا قائمة بأسماء ١٢ ضابطا ؟

ان أول مرة تردد فيها ان الملك لديه قائمة بأسماء ١٢ ضابطا من الاحرار كان يوم ٥ يوليو فقد ذكر الاستاذ موسى صبرى ان حافظ عفيفى رئيس الديوان حضر الى مكتب حسين سرى رئيس الوزراء وهو ممسك بورقة صغيرة فى يده واخبره ان الملك له طلبات عنده أولها ابعاد ١٢ ضابطا من الجيش وثانيها حل مجلس ادارة نادى الضباط ... ولما سأله حسين سرى عن اسماء هؤلاء الضباط أجاب حافظ عفيفى بأنه لا يعرفهم وانه سمع ان حيدر باشا يعرفهم جيدا ـ ولما استفسر حسين سرى من رئيس الديوان عن صاحب الخط الذى كتبت به مطالب الملك فى الورقة التى يمسكها لانه ليس خط الملك أجابه بأنه خط الشماشرجى عزيز . وعلى اثر هذا اللقاء حضر الفريق حيدر الى مكتب حسين سرى وكان من الطبيعى أن يسأله عن أسماء الضباط الذين يطلب الملك ابعادهم وكانت المفاجأة ان حيدر باشا نفى علمه بهذه الاسماء .

لقد ظل موضوع هذه القائمة بأسماء الضباط يتردد منذ ثلاثين عاما حتى رسخ فى الاذهان كقضية مسلمة دون أن يحاول أحد مناقشته أو يبحث عن مدى صحته . . لقد كان المفترض أن يكون أول شخص لديه هذه الاسماء

هو الفريق حيدر لانه القائد العام الذى ستوكل اليه مهمة ابعاد هؤلاء الضباط ولكن الفريق حيدر كما رأينا أنكر أمام رئيس الوزراء معرفته بهذه الاسماء ولا يمكن بالطبع ان نتخيل ان الفريق حيدر كان ضـــــالعا مع الضباط الاحرار وانه أخفى هذه الاسماء فانه أول من يعلم ان هذه القائمة لو كانت وصلته حقا فان أجهزة الامن لديهـا عدة صور أخرى تحتفظ بها لنفسها كما ان نسخة منها لابد أن تكون قد أرسلت الى السراى اظهارا لنشاط هذه الاجهزة ومدى ولائها واخلاصها للملك .

وينبغى الا يغيب عن بالنا مدى ما كان يعانيه الفريق محمد حيدر فى هذه الفترة من ضعف مركزه وتقلص سلطاته بسبب غضب الملك عليه لعجزه عن كبح جماح الضباط الذين يثيرون المتاعب فى الجيش ووصل غضب الملك عليه الى الحد الذى جعله يبادر حسين سرى رئيس الوزراء فى أول لقـاء معه بعد أن حلفت وزارته اليمين الدستورية يوم ٢ يوليو ويطلب منه أن يعتبر حيدر غير موجود بالجيش اى مفصولا ـ واستمهله حسين سرى بعض الوقت ليبحث موضوعه ، وفى يوم ٥ يوليو قابل الفريق حيدر رئيس الورزاء حسين سرى فى مكتبه عقب زيارة حافظ عفيفى ونقل رئيس الوزراء الى حيدر بالطبع مطلبى الملك فى ابعاد الضباط وحل مجلس ادارة النادى اللذين قرأهما عليه رئيس الديوان أثناء مقابلته له .

وحينما اتصل الفريق حيدر بالسراى يوم ١٠ يوليـو امهلوه خمسة أيام لتنفيذ مطالب الملك والا اعتبر نفسه مستقيلا ـ وبادر الفريق حيدر قبل انتهاء المهلة باصدار

القرار بحل مجلس ادارة النادى استرضاء للملك واملا فى استعادة مركزه ونفوذه السابقين .

والسؤال الآن هو اذا كان لدى الفريق حيدر حقا قائمة بأسماء الضباط المطلوب ابعادهم فلماذا لم يبادر بتنفيذ مطلب الملك فى ابعادهم وهو يعلم ان ذلك المطلب جاء فى الاهمية الاولى وفقا لترتيب الطلبات فى الورقة التى كان يمسك بها حافظ عفيفى فى الوقت الذى سارع فيه بتنفيذ المطلب ذى الاهمية الثانية وهو حل مجلس ادارة نادى الضباط .. وكان حيدر يعلم بلا شك ان أمله فى استعادة مكانته لدى الملك رهين بتنفيذ مطالبه والاستجابة الى رغباته .. لا شك ان نتيجة هذه المناقشة لابد أن تصل بنا الى حقيقة لا مجال لنكرانها وهى ان قائمة أسماء الضباط لم يكن لها وجود حقيقى .

بقيت نقطة أخرى هامة وهى انه اذا صدقنا حقا انه كانت هناك قائمة تضم أسماء الضباط كما ذكر واذا صدقنا ان الاسماء المدونة بها ظلت سرا مجهولا الى حين قيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ٥٢ فما هى أسباب عدم عثور أى انسان على دليل واحد يؤيد وجود هذه القائمة بعد قيام الحركة ؟ لقد وضعت الثورة يدها على جميع المستندات والوثائق والتقارير فى مختلف أجهزة الدولة بما فيها أجهزة الامن ولقد نشرت عشرات الكتب والمذكرات عن العهد الماضى بكل دقائقه وأسراره ولقد مثل عشرات من السياسيين من مختلف رجال الاحزاب وكبار المسئولين فى العهد الماضى أمام محاكم الثورة سواء أكانوا شهودا أم كانوا فى قفص الاتهام وأدلوا باعترافات خطيرة وأسرار مثيرة عن كل ما يتعلق بالعهد

الماضي وكل هؤلاء وأولئك لم يتطرق واحد منهم الى ذكر قائمة أسماء الضباط الذين قرر الملك التنكيل بهم رغم ان هذا الموضوع أصبح ينشر فى الكتب والمراجع كحقيقة مؤكدة دون أن يحاول أحد مناقشته أو تمحيصه . ورأيت أن أستقصي هذا الامر بنفسي علنى أصل الى هدفى وهو مجرد معرفة الحقيقة فذهبت الى واحد من الذين كان لديهم المقدرة على ازالة الغموض والكشف عن الاسرار وهو السيد زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية السابق فقد كان بحكم وضعه كعضو فى مجلس قيادة الثورة ثم برئاسته لجهاز المخابرات العامة خير من كانت لديه الفرصة للاطلاع على قائمة الاسماء التى تردد ذكرها كثيرا - ان كان لها وجود حقيقى - ولقد أسعدنى ان التحليل المنطقى الذى سردته اتفق فى نتيجته تماما مع ما انبأنى به السيد زكريا محيي الدين وهو انه لم يعثر على أثر لمثل هذه القائمة ولم تصله أية معلومات بصحة هذه الواقعة .

منصب وزير الحربية فى وزارة الهلالى

ان الشائعة الثانية التى كان لها أثر خطير فى التعجيل بقيام الحركة كانت ذلك النبأ المثير عن أنتظار اسناد وزارة الحربية الى اللواء حسين سرى عامر وانه سيعين، خصيصا لتصفية موضوع الضباط الاحرار بالجيش والقضاء على شوكة أولئك الضباط الذين تحدوه جهارا فى انتخابات نادى الضباط .

واذا ناقشنا حقيقة هذا النبأ الذى ذاع وملأ الاسماع

قبل الحركة وكان له دوى هائل لاتضح لنا انه كان مجرد شائعة لا سند لها من الواقع فلقد ثبت بما لا يقبل الشك أن نجيب الهلالى لم يدر فى خلده مطلقا سواء فى وزارته الاولى أو الثانية اسناد منصب وزير الحربية الى حسين سرى عامر ولم يتردد هذا الاسم بتاتا فى محيط المقربين الى الهلالى والـذين كانوا يعاونونه فى ترشيح الوزراء وعلى العكس فان الضـابط الوحيد الذى رشحه نجيب الهلالى فى وزارته الاولى ليكون وزيرا للحربية كان اللواء محمد نجيب وقد كلف الاستاذ صلاح الشاهد بالاتصال به لمعرفة رأيه وعندما وافق محمد نجيب على الاشتراك فى الوزارة اتصل الهلالى برئيس الديوان الذى لم يلبث أن أبلغـه برفض الملك الذى وصف اللواء محمد نجيب بأنه عرابى رقم ٢ وكان ذلك هو سر اسناد وزارة الحربية الى مرتضى المراغى بالاضافة الى وزارة الداخلية .

وعندما بدأ نجيب الهـلالى فى تأليف وزارته الثانية بالاسكندرية مساء يوم ٢١ يوليو اثر تكليفه بذلك وضع أمامه على منضدة صغيرة كشفا بأسماء الذين رشحهم لدخول الوزارة وكان يجرى الاتصـال التليفونى بهم عن طريق الاستاذ صلاح الشاهد لمعرفة رأيهم ــ وكان يضع علامة (صح) بجوار اسم الوزير الذى تم الاتفاق معه على الاشتراك فى الوزارة ــ وقد تمكن المصور الخـاص بمجلة المصور بفضل براعته من أن يســجل بعدسته صورة هـذا الـكشف الذى كان يعـد من أسرار رئيس الوزراء وقتئذ ــ ونشر هذا الكشف بمجلة المصور يوم ٢٥ يوليو ٥٢ بعد قيام حركة الجيش تحت عنوان « شهدنا مولد الوزارة الجديدة » والذى يهمنا فى هذا المقام انه

بمراجعة الكشف المنشور بالمصور نجد ان مرتضى المراغى كان موضوعا أمام اسمه (وزير الداخلية والحربية) .

وهذا الكشف هو بلا شك وثيقة دامغة اذ انه أول ما دونه نجيب الهــلالى كمشروع لتأليف وزارته بمجرد تكليفه بذلك ولا نجد لاسم حسين سرى عامر أثرا فى ذلك الكشف مما يدل بوضوح على ان اسمه لم يخطر على بال نجيب الهلالى ولم يكن قط من المرشحين للوزارة .

حقيقة حدث تغيير فى اللحظة الاخيرة قضى باسناد وزارة الحربية الى العقيد اسماعيل شيرين زوج الأميرة فوزية أخت الملك وأن يكون مرتضى المراغى وزيرا للداخلية فقط ، وكان هذا التغيير بناء على رغبة الملك وكاد ذلك يؤدى الى عدول الهلالى عن تأليف الوزارة فى اللحظة الاخيرة ـ ولكن تحت الحاح من كانوا وقتئذ حول نجيب الهلالى قبل رغبة الملك على مضض ـ ولكن ما علاقة ذلك كله بموضوع حسين سرى عامر ؟

الصراع الخفى بين الفريق حيدر وحسين سرى عامر

اغفل المؤرخون ذلك الصراع الخفى الذى اشــــتدت حدته فى العام الاخير قبل حركة الجيش والذى كان يدور بلا هوادة بين الفريق محمد حيدر القائد العــام واللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود والذى يفسر بلا شك كثيرا من الاسرار ويجيب عن عديد من التساؤلات وعلامات الاســتفهام التى كانت تثير الحيرة فى ذلك الوقت .

كان حسين سرى عامر رجلا طمــوحا لا حــد لآماله

ومطامعه وقد استطاع بعد عودته الى سلاح الحدود فى منصب وكيل عام السلاح عام ١٩٥١ بعد أن برأه القضاء فى قضية الاسلحة الفاسدة أن يزيح مدير السلاح اللواء محمد نجيب بعد فترة قصيرة وأن يتولى هو رئاسة سلاح الحدود .

وكانت وسيلته لتحقيق طموحه هى صداقته الشخصية لاثنين من أقرب المقربين الى الملك وهما حلمى حسين سائقه الخاص ومحمد حسن خادمه الخاص . وكان الثلاثة يمضون سهراتهم بفندق الكونتيننتال فى جو من البذخ وكان حسين سرى عامر حريصا على اغراق صديقيه بهداياه الثمينة التى كان يجلبها من مختلف المناطق الصحراوية التى كان يعتبرها مملكته الخاصة . وكان لاحدى هذه الهدايا تأثير خاص لا على الصديقين فقط بل على الملك نفسه وهى صندوق كبير ملىء بذلك النوع من الاحياء المائية « الاستاكوزا » كان يصل بطائرة خاصة من الغردقة كل يوم أربعاء مع الحرص على ان تظل الاستاكوزا عائمة فى كمية كافية من المياه المالحة لتصل الى القاهرة وهى على قيد الحياة . وكان سر شغف فاروق بهذه الهدية ما كان يعتقده فى تأثيرها على تقوية وتنشيط رجولته . وعن طريق الاستاكوزا عرف حسين سرى عامر كيف يحصل على الرضاء الملكى السامى الى الحد الذى جعل الملك يمنحه الترقية لرتبة اللواء ويعينه مديرا لسلاح الحدود ويبعد اللواء محمد نجيب عن منصبه ليفسح له مكانه مما كاد يحمل محمد نجيب على تقديم استقالته ، وامتد طموح حسين سرى عامر الى ذلك المنصب المرموق الذى يتولاه الفريق حيدر فقدزهدبعد

قليل فى منصب مدير الحـدود الذى ضاق عن أطماعه ووعده صديقاه بأنهمـــا عن قريب سيزيحان له الفريق حيدر كما أزاحا من قبل محمد نجيب ليتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة .

وبدأت الحملات العنيفة ضد الفريق حيدر تنبعث لاول مرة من داخل السراى ولم يكف السائق الخاص والخادم الخاص اللذان كانا يقابلان الملك كل يوم تقريبا عن نقد تصرفات حيدر واتهامه بالعجز والضعف أمام الضباط وانه شاخ وهرم وأصبح مظهره الصارم وتكشيرته الحادة لا يخيفان طفلا صغيرا وان المنصب فى حاجة الى قائد ملىء بالحيوية والشباب من طراز حسين سرى عامر .

وانعكست هذه الحملة بالطبع على مشاعر فاروق تجاه حيدر فبدأت معاملته له تتغير وأبعده عن دائرة المقربين اليه ، وشعر الفريق حيدر بتغير المعاملة وفكر جديا فى الاستقالة ولكن بريق المنصب والحـاح المحيطين به أثنياه عن عزمه وبدأ حيدر يشكو سوء ما يعـانيه الى المقربين منه وغير المقربين الى الحد الذى دعاه الى مصارحة اللواء محمد نجيب بما يعانيه ولم يكن محمـد نجيب صديقا أو مقربا له ولكنه كان نوعا من التنفيس عما يطويه فى صدره من هموم فقال له فى مرارة عنـدما جاءه محتجا على تنحيته عن منصب مدير الحدود ليحل مكانه حسين سرى عامر :

ـ انت لا تعرف صلة حسين سرى عامر بالملك .. ده أقرب له منى .. انا مضى على ثلاثة أسابيع لا أستطيع فيها مقابلة الملك .

وجاءت انتخابات نادى الضباط وسط ذلك الجو من الشقاء الذى كان يعيش فيه حيدر وكانت الاحداث التى وقعت بمثابة نجدة من السماء جاءت لحيدر على غير انتظار ففى الوقت الذى قررت فيه الجمعية العمومية للضباط اسناد منصب الرئاسة الشرفية للنادى الى الفريق حيدر رفضت باصرار وعناد الموافقة على ضم مندوب سلاح الحدود الى مجلس ادارة النادى .

وكان حيدر محبوبا من الضباط وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها فقد كان دائما يلبى مطالبهم ويحاول أن يحصل لهم على ما يستطيع من امتيازات لرفع مستواهم المادى . واشتدت ثورة الملك على حيدر التى كان يذكيها حلمى حسين ومحمد حسن وضغط على حيدر بضرورة تمثيل سلاح الحدود فى مجلس الادارة فقد خرج الموضوع عن اطاره الطبيعى وأصبح بمثابة اهانة شخصية لحسين سرى عامر .

وضغط حيدر بدوره على محمد نجيب ومجلس الادارة ولكن ذلك لم يكن من سلطة المجلس فدعيت الجمعية العمومية للانعقاد لعرض الامر عليها .

وبسبب أحداث حريق القاهرة لم يعقد الاجتماع الا يوم ١٦ يونيو فى حديقة نادى الضباط بالزمالك وكان اجتماعا مشهودا اعتبره بعض المؤرخين أخطر اجتماع عسكرى منذ الثورة العرابية فان ما قيل وما حدث فى هذا الاجتماع أفصح بما لا يدع مجالا للشك أن الملك فقد سيطرته على الجيش وان الجيش أسقط ولاءه للملك وان

الثورة العارمة ضد الملك قد خرجت من اطار السرية الى حيز العلنية .

هكذا جرت منذ البداية أحداث نادى الضباط التى كان الفريق حيدر يظهر علانية امتعاضه منها وتبرمه بها فى الوقت الذى كان فيه باطنه يهتز طربا وارتياحا لهذه الاهانات والتحديات المتتالية التى يكيلها الضباط لمنافسه وغريمه حسين سرى عامر والتى كان يأمل أن يكتشف الملك بعدها حقيقة أمره ومدى عداء الضباط له ولكن الاحداث لم تلبث ان تفاقمت بصورة لم تكن يتوقعها حيدر ولم يكن يريدها فقد انفلت زمام الموقف وانتقل الضباط من مرحلة تحدى حسين سرى عامر الى مرحلة تحدى الملك نفسه وشعر حيدر بأن الارض بدأت تميد تحت قدميه فقد توقع اشتداد الحملة ضده داخل السراى بعد هذه الاهانات الجارحة التى لحقت بالملك : وكان شعور حيدر فى محله فقد اشتد سخط الملك عليه الى الحد الذى جعله يطلب من رئيس وزرائه حسين سرى فى أول لقاء معه يوم ٢ يوليو أن يعتبر حيدر مفصولا من الجيش . وتلقى حيدر طلبات الملك الخاصة بالجيش يوم ٥ يوليو عن طريق حسين سرى رئيس الوزراء وليس عن طريق الملك مباشرة كما كان الحال دائما بقصد الامعان فى اذلاله وعندما اتصل حيدر بالسراى يوم ١٠ يوليو (وأغلب الظن ان اتصاله كان مع حافظ عفيفى رئيس الديوان) أعطى مهلة خمسة أيام فقط لتنفيذ مطالب الملك والا اعتبر نفسه مستقيلا .

وكان حلمى حسين ومحمد حسن قد استغلا الظروف

الاخيرة احسن استغلال فزادا من ضغطهما على الملك لتنحية حيدر وتعيين الرجل القوى حسين سرى عامر ليعيد الانضباط والنظام الى الجيش وكاد هذا الضغط يؤتى ثماره فعلا فقد كانت المهلة المعطاة لحيدر تنتهى فى منتصف يوليو وكان اعتقاد رجال السراى أن حيدر لا يمكن أن يغامر بفقد مكانته بين الضباط ويقدم على حل مجلس ادارة النادى وانه ازاء ذلك اما أن يقدم استقالته أو تنتهى المهلة بلا نتيجة فيحيله الملك الى المعاش .

وتأهب حسين سرى عامر ليحتل المنصب الخطير الذى تاقت اليه نفسه منذ زمن وراودته أحلامه فى كيفية الانتقام من هذا النفر من الضباط الذين أمعنوا فى اهانته وتحديه فى انتخابات النادى وفى اجتماع الجمعية العمومية وعلى رأسهم غريمه السابق اللواء محمد نجيب ... وكان اطمئنانه كاملا فى أن تعيينه وحلفه اليمن أمام الملك ليست الا مسألة ايام قلائل ولذا أجرى اتصالا تليفونيا من الاسكندرية مع أركان حرب الحدود بالقاهرة المقدم فؤاد الدجوى (صاحب محاكمات الدجوى الشهيرة فيما بعد) وكان من المقربين اليه وأمره أن يرسل له على وجه السرعة بزته العسكرية الجديدة الموجودة بمنزله مع مبلغ مائتى جنيه من المصروفات السرية وتأهب المقربون اليه لتهنئة القائد العام الجديد. لكن الفريق محمد حيدر خيب آمال الذين ائتمروا به وضغطوا عليه بموضوع حل مجلس ادارة النادى كوسيلة لارغامه على الاستقالة فلقد بادر حيدر تحت تأثير ما وقع عليه من ضغوط الى اصدار قراره بحل مجلس ادارة النادى فى آخر يوم من المهلة

وهو يوم ١٦ يوليو رغم ما يعلمه من سوء وقعه على الضباط وما سوف يؤدى اليه من فقده لمكانته بينهم بعد ما بذله من جهد للحصول على حبهم ولكن الرجل كان مغلوبا على أمره وسيف التهديد بطرده وشماتة أعدائه به كانا مسلطين على رأسه .

وادى قرار حل مجلس ادارة النادى الى عكس ما كان يتخيله المتآمرون على الفريق حيدر فقد كان من المستحيل أن يصدر قرار الحل ثم يحيله الملك الى التقاعد فى اليوم التالى أو حتى بعد فترة زمنية قصيرة اذ أن ذلك سوف يكون معناه أن حيدر يعاقب على الخطأ الذى ارتكبه باصدار قرار حل مجلس الادارة مما سوف يدفع الضباط الى المطالبة بتصحيح الاوضاع وعودة مجلس ادارة النادى المنحل .

واسقط فى يد حلمى حسين ومحمد حسن بعد ان فشلت خطتهما فشلا ذريعا وماذا ينتظر من عقلية سائق وخادم مهما علا شأنهما .

وجاءت استقالة حسين سرى وتكليف نجيب الهلالى بتأليف الوزارة وظن حلمى حسين ومحمد حسن ان فرصة تعويض رجلهما قد حانت بعد أن طار منه منصب القائد العام فى اللحظة الاخيرة فأخذا يهمسان فى أروقة السراى بالامنية التى يتوقان لتحقيقها وهى اسناد وزارة الحربية الى حسين سرى عامر واعتقد ان هذا هو سر الشائعة التى انتشرت بدون أساس عن انتظاره تقلده الوزارة .

ولا يستبعد أن يكون الرجلان قد فاتحا الملك نفسه فى

هذا الترشيح أو فاتحا حافظ عفيفي فقد كان لرجال الحاشية دالة عليه وما واقعـــة حمله ورقـة بخط الشماشرجي عزيز ليبلغها لرئيس الوزراء حسين سرى بصفتها مطالب للملك الا دليـــلا على ضعفه واستكانته لرجال الحاشية .

ولكن الظروف لم تكن مواتية على الاطلاق فلم يجرؤ الملك او حافظ عفيفي على مفاتحة الهلالى بهذا الامر فان نجيب الهلالى كان قد قدم هذه المرة وهو يستعرض عضـلاته ويفرض شروطه مقدما بعد أن أيقن بعد لجوء الملك اليه لتأليف الوزارة عقب عشرين يوما فقط من تقديم استقالته ان الملك قد غدا في غاية الضعف والهوان وان هذه هى فرصته الوحيدة لفرض شروطه ومحاولة اكتساب شعبية بين الجماهير فلم يسمح للملك ان يتدخل فى تشكيل وزارته كما اعتاد أن يفعل مع رؤساء الوزارات ورفض اجابة طلب الملك الوحيد باسناد وزارة الحربية الى زوج اخته اسماعيل شيرين وكاد يعدل عن تأليف الوزارة لولا الحاج رئيس الديوان وتوسلاته له ، واشترط الهـلالى اخراج أفراد الحاشية الفاسدين واضطر الملك الى مجاراته ووعده بتلبية مطلبه فى المستقبل ولم يكن بالطبع جادا وانما كانت مناورة منه ريثما تتألف الوزارة فلقد تردت الاوضاع السياسية والاقتصــادية بالبلاد ووصلت الى احط درجاتها وكان فاروق يظن ان وزارة الهلالى قـد تكون حلقة النجاة لانقاذه من تلك الامواج الثائرة التى تحدق به من كل جانب ولكن فرصة الانقاذ كانت قد ولت

وكانت عجلة القدر تدور بأسرع مما قدر الملك أو توقع الهلالى .

اوضاع القوات بالقاهرة

كان معسكر هاكستيب الذى يقع أقصى شمالى القاهرة يضم رئاسة الفرقة الثانية المشاه ــ وكانت الفرقة المشاه وقتئذ تعد أقوى تشكيل مقاتل بالجيش المصرى ولم تكن مصر تملك وقتئذ الا فرقتى مشاه احداهما الفرقة الاولى التى تقع رئاستها فى رفح وتتمركز قواتهـا فى شمالى سيناء فى مواجهة اسرائيل ويقودها اللواء أ . ح محمد ابراهيم سيف الدين ــ وكانت الفـــرقة الثانية بالقاهرة تحت قيادة اللواء عبد الرحمن مكى وكانت تضم ثلاثة الوية من المشاة بالاضافة الى الاسلحة المعاونة . وكان اللواء الاول المشاه يرابط فى معسكر هاكستيب منذ قدومه من الاسكندرية فى مايو ١٩٥٢ . وكان اللواء السابع تحت قيادة العميد أ . ح رشدان محمد رشدان بعسكر بكتائبه الثلاث فى ثكنات العباسية القريبة من رئاسة الجيش بكوبرى القبة أما اللواء السادس المشاة تحت قيادة العميـد أ . ح محمود حمزة فـكانت كتائبه فى بادىء الامر متمركزة فى منطقتى حديقة الازبكية والمعـــرض الزراعى أى فى قلب العاصمة منذ صدور الاوامر اليه بالنزول الى شوارع القاهرة مساء يوم ٢٦ يناير ٥٢ عقب حريق القاهرة لاعادة الامن والهدوء اليها وتوزعت سراياه وفصائله منذ ذلك اليوم فى الشـــوارع لحراسة البنوك والسفارات والمرافق العامة .

وفى أوائل مارس ٥٢ وبعد استتباب الامن وعودة النظام عادت معظم وحدات اللواء الى معسكراتها بألماظة. وفى ١١ يوليو ٥٢ تم عودة جميع وحدات اللواء الى ثكناتها فى منطقة الماظة وهى الثكنات التى كان يشغلها من قبل لواء الاساس .

ومن واقع تحرك الوحدات ليلة ٢٣ يوليو يتضح لنا أن الوية هذه الفرقة الثلاثة لم تشترك منها اى وحدة فى حركة الجيش أى انه لم يكن ضمن ضباط هذه القوة الضاربة الضخمة أى ضابط ينتمى للضباط الاحرار بل ان أحد هذه الالوية وهو اللواء السابع المشاه بمعسكر العباسية كاد قائده ينجح فى تجميعه تمهيدا للتحرك به للقضاء على الحركة تنفيذا لتعليمات الفريق حسين فريد لولا تدخل الرائد أ . ح جمال حماد أحد الضباط الاحرار وأركان حرب سلاح المشاة وقتئذ. كما سيرد فيمابعد.. والعمل الوحيد الذى جرى لصالح الحركة من جهة هذه الفرقة قام به الرائد عبد القادر مهنا من رئاسة اللواء الاول بهاكستيب واقتصر على اعداد عدد من عربات نقل الجند تحركت من هاكستيب خالية بدون جنود ضمن قوة المقدم يوسف منصور صديق مع بعض أعمال محدودة للسيطرة على المعسكر عاونه فيها الملازم أول فؤاد المهداوى .

ومن المفارقات التى تدعو الى التأمل أن قوات المشاه التى اشتركت فى الحركة كانت كلها وحدات قدمت من العريش ووصلت القاهرة خلال شهر يوليو فقط ولعب الحظ دورا كبيرا فى وجودها واشتراكها . فالكتيبة ١٣

لم تصل الى معسكرها بالعباسية الا فى أوائل يوليو ٥٢ وكانت الكتيبة فى طريقهـا الى السودان بعد أن تركت جميع أسـلحتها الثقيلة وعرباتها بالعريش حيث كان معسكرها ووصل أفرادها بأسلحتهم الشخصية فقط فقد صدرت التعليمات بسبب عجز الميزانية ورغبة فى توفير أجور الشحن والنقـل ان تترك كل من كتيبة العريش والسودان الاسلحة الثقيلة والعربات فى مكانها على أن يتم تبادلها عند وصول كل منهما الى معسكر الكتيبة الاخرى وكان مقدرا ألا تبقى الكتيبة ١٣ بالقاهرة الا لفترة محدودة ريثما يتم تجهيزها واعـدادها للسفر بالمظهر اللائق الى الخرطوم .

أما وحدة المشاة الثانية التى اشتركت فى الحـركة فقد كانت مقدمة الكتيبة الاولى مدافع ماكينة التى لم تصل من العـريش الى معسكرها بهاكستيب الا قبل الحركة بعشرة أيام فقط ــ وكانت مهمة هذه المقدمة هى اعداد المعسكر لباقى الكتيبة من النواحى الادارية وكان ينتظر وصول القـوة الاساسية للـكتيبة يوم ٢٦ يوليو وهى وحدة تتميز بقوة نيران عالية فهى مسلحة بعدد ٤٦ مدفع ماكينة متوسط (فيكرز) ولم تكن مقـدمة كتيبة مدافع الماكينة التى كان يتولى قيادتها المقدم يوسف صديق بقوة مناسبة للاشتراك فى حركة الجيش فهى قوة ادارية لا يتجاوز عدد أفرادها ستين جنديا مسلحين بالبنادق فقط ويتكون معظم جنـودها من الحرفيين كالطباخين والنجارين والخبازين ولذا لم يـكن جمـال عبد الناصر يعلق عليها أهمية تذكر بل كان يتطلع فى أمل

الى وصول باقى الـكتيبة من العريش ولم يكن قد بقى سوى أيام قلائل على ذلك وهذا هو السبب فى انه كان يريد تأجيل القيام بالحركة حتى ٥ أغسطس لولا ان الاحداث أرغمته على التعجيل بالقيام بها دون انتظـار وصول هذه القوة المرهوبة الجانب .. ولذلك لم يخصص لمقدمة الكتيبة الضعيفة القوة والتسليح سوى دور ثانوى فى خطة العمليات وهو أن تـكون قـوة احتياطية للقـوة المخصصة للاســتيلاء على مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة ـ وشاء الله أن يضع سره فى أضعف خلقه فقامت القوة الصغيرة بدور خطير كان يفوق قدرتها وتسليحها وعوضت الشجاعة والاقدام نقص القوة والتسليح كمـا سيرد فيما بعد .

واذا كان تنظيم الضبـاط الاحرار لم ينجح فى ضم عناصر مؤثرة من وحدات الفرقة المشاة المتمركزة بالقاهرة فانه قد لاقى النجاح فى ضم عدد لا يستهان به من ضباط المشاة الذين لا ينتمون لتشكيلات الفرقة وقد قام هؤلاء بأدوار هامة ساعدت الحركة على النجاح .

وكان الوضع فى سلاح الفرســـان يدعو الى الثقة والاطمئنان فقد نجح التنظيم فى ضم عدد كاف من ضباط سلاح الفرسان الى الحد الذى جعل حسين الشـافعى وثروت عكاسة يبثان الطمأنينة فى نفس عبد الناصر عند لقائهما به يوم ٢٠ يوليـو ـ اثر مكالمة أحمد أبو الفتح التليفونية لثروت عكاشة ، ويؤكد ان له ان القوة الضاربة لسلاح الفرسان على أهبة الاستعداد لتنفيذ خطـة التحرك .. وكانت هذه القوة تتشكل من الآلاى المدرع

الاول (٤٨ دبابة) وآلاى السيارات المدرعة (٤٨ سيارة مدرعة) علاوة على الكتيبة الميكانيكية التى كانت تحت سيطرة خالد محيى الدين وهى تتكون من وحدات مشاة تحملها عربات نصف جنزير .

وكان سلاح المدفعية يضم بدوره عددا كبيرا من الضباط الاحرار انتشروا فى مختلف وحدات مدفعية الميدان والمدفعية المضادة للطائرات والمضادة للدبابات ومدفعية الفرقة المدرعة ومدرسة المدفعية ومركز تدريب المدفعية، وكان الفضل فى نجاح التنظيم فى تجنيد هذا العدد من الضباط الاحرار بالمدفعية يرجع الى جهود الرائد كمال الدين حسين عضو اللجنة التأسيسية والمدرس وقتئذ بكلية أركان الحرب . أما سلاح الفرسان فيعود الفضل فى وفرة عدد الضباط الاحرار فى وحداته الى جهود ثالوث القيادة وكان يتكون من حسين الشافعى وثروت عكاشة وخالد محيى الدين .

واذا كان التنظيم لم يصادف نفس القدر من النجاح مع ضباط الالوية المشاة الثلاثة بالقاهرة فان هذا يرجع الى عوامل تتعلق بطبيعة توزيع وحدات المشاه وعدم تجمعها فى معسكرات واحدة مثل وحدات المدفعية والفرسان كما يعود الى طبيعة الخدمة بالقاهرة التى لا تبيح للضباط فرصة الاقامة الدائمة بالميسات مثل ما يجرى عليه الحال بالمناطق الخارجية مما يساعد على توثيق روابط الصداقة بين الضباط ويهيىء لهم الفرصة للمصارحة بالافكار وتبادل الاسرار ولهذا السبب فشل التنظيم تقريبا فى تجنيد عناصر فعالة من ضباط الفرقة الثانية المشاة بالقاهرة بمختلف تشكيلاتها رغم ضخامة عددهم الذى لم يكن يقل عن

اربعمائة ضابط فى الوقت الذى نجح فيه نجاحا ملحوظا فى تجنيد ضباط المشاة فى الوحدات التى تخدم خارج القاهرة مثل الكتيبة ١٣ مشاه والكتيبة الاولى مدافع ماكينة اللتين كانتا تخدمان بمنطقة العريش واللتين شاءت ارادة الله أن تصل معظم عناصرهما الى القاهرة فى أنسب الاوقات .

وقد أحس عبد الناصر بذلك النقص الخطير الذى يعانيه التنظيم بين وحدات الفرقة الثانية المشاه فحاول سد ذلك الفراغ فى اللحظة الاخيرة وعهد الى صديقه عبد الحكيم عامر يوم ٢٢ يوليو بجس نبض العقيد عبد الواحد عمار قائد الكتيبة ١٨ من اللواء السادس ومحاولة ضمه ليتولى قيادة هذا اللواء ليلة الحركة . وكان الرجل صادقا مع التنظيم ومع نفسه فرغم وطنيته المعروفة وشخصيته الانضباطية القوية اعترف لعبد الحكيم أن المغامرة أقوى مما تتحلمها أعصابه ولكنه أبدى استعداده لقيادة اللواء السادس وضمه الى الحركة صباح يوم ٢٣ يوليو فى حالة نجاح خطة الحركة واتمام السيطرة على رئاسة الجيش والمنطقة العسكرية وقد تم الاتصال به فعلا بعد النجاح وتولى الرجل قيادة اللواء السادس فى الصباح وضمه الى القوات المشتركة فى الحركة بعد أن نحى العميد أ . ح محمود حمزة عن قيادة اللواء .

هذا ولم يقتصر نشاط التنظيم على تجنيد ضباط الاسلحة المقاتلة فحسب فقد حاول مد نشاط الى الاسلحة الادارية الاخرى ولكن نجاحه كان محدودا وكاد يقتصر

على ضباط سلاح خدمة الجيش الذين كانت الحركة فى أشد الحاجة اليهم لاعداد اللوارى وعربات النقل وتزويد المركبات بالوقود مما ساعد القـــوات على التحرك الى الاماكن المخصصة لها . وكان للرواد مجـــدى حسنين وابراهيم الطحاوى ومعروف الحضرى دور كبير فى نجاح حركة التنظيم داخل سلاح خدمة الجيش .

الوضع فى الطيران والبحرية

كان سلاح الطيران أحـــد الاسلحة الرئيسية بالقوات المســـلحة وكان مندوبوه باللجنة التأسيسية للضباط الاحرار ثلاثة هم قائد الجناح جمال سالم وكان يتولى قيادة مطار العريش وقائد الجناح عبد اللطيف البغدادى وقائد الاسرا ب حسن ابراهيم . ولم يكن هؤلاء يعتمدون على الاعداد للثورة داخل سلاحهم على انشاء الخـــلايا الرئيسية أو الفرعية وانما كان اعتمادهم على الاتصالات الشخصية التى كانت تربط بينهم وبين ضباط الطيران وكان من أبرز هؤلاء الطيارين المقدمون وجيه أباظة وعمر الجمال ومحمد شوكت والرائد محمد صادق القرموطى. وكانت هذه الصلات تكفى كما قدروا لتنفيذ الطيـــارين للواجبـــات التى سوف توكل اليهم عقب نجـــاح الحركة خاصة وان عمل الطيـــارين لن يبدأ قبل طلوع الصباح وستكون الصورة أمامهم قد وضحت والحركة قد صادفها النجاح .

هذا ولم يكن لتنظيم الضباط الاحرار أى مندوبين أو ممثلين داخل السلاح البحرى ويرجع السبب فى ذلك

الى عدم وجود زمالة السلاح بين ضباط الجيش وضباط البحرية فقد كا نالضباط البحريون يتخرجون فى الكلية البحرية بالاسكندرية ويمضون مدة خدمتهم فى القاعدة البحرية بالاسكندرية أو على ظهر القطع البحرية مما لم يتح الفرصة أمامهم لانشاء صداقات بينهم وبين ضباط الجيش على عكس الحال بالنسبة لضباط الطيران فقد كانوا يتخرجون فى بادىء الامر فى الكلية الحربية ثم ينضمون بعد ذلك الى سلاح الطيران لاستكمال تدريبهم كطيارين مما أتاح الفرصة لايجاد رابطة الزمالة فى السلاح بينهم وبين ضباط الجيش .

وعلاوة على ما ذكر لم يكن هناك داع يستوجب تجنيد أحد من ضباط البحرية فى تنظيم الضباط الاحرار اذ لم يكن هناك فى خطة العمليات أى دور يتعلق بالسلاح البحرى وكان المنتظر أن ينضم ضباط البحرية الى الحركة بمجرد نجاحها وان يأتمروا بأوامرها وقد تم ذلك فعلا .

هل سيطيع الجنود ضباطهم ؟

كانت النقطة الوحيدة التى تثير القلق قبل قيام الحركة هى مدى نجاح الضباط الاحرار فى السيطرة على جنودهم المحدودى الثقافة والمدارك وقتئذ والذين ليس لديهم أية فكرة عن تنظيم الضباط الاحرار عندما يطلبون منهم التحرك تحت قيادتهم ساعة الصفر للاشتراك فى حركة مسلحة ضد رؤسائهم من كبار قادة الجيش

بل واقتحـــام مبنى رئاسة أركان حرب الجيش واعتقال من يصادفونه من أصحاب الكابات الحمراء الذين تعودوا أن يروهم في سياراتهم الفارهة التى تخفق على مقدمتها أعلام القيادة بينما تزين صدورهم صفوف من الاوسمة المتعددة الالوان واعتادوا الا يسمعوهم الا وهم يرعدون بأصواتهم العالية عندما يلقون عليهم التعليمات والاوامر فى حدة وصرامة أو وهم يوقعون الجزاءات القاسية عليهم بمجرد أقل هفوة يرتكبونهـــا .. ألا يكفى هـــذا لترويع هؤلاء الجنود وبث الخوف فى نفوسهم ؟ ولم يكن أشد الناس تفاؤلا يتخيل ان يستجيب الصف ضباط والجنود الى ضباطهم الاصاغر عندما أيقظوهم من رقادهم عنـــد منتصف الليل للقيام بالتحرك بهذه الصورة التى فاقت كل تقدير .

لقد اثبت الواقع ان الضباط الاصاغر الشبان تمكنوا من السيطرة على وحداتهم وتحـــريكها بسهولة تامة وان جنودهم كانوا شعلة من الحماس والوطنية عندما أدركوا أن تحـــــــركهم هذه المرة لا لضرب الشعب وقمع ارادته لحساب الحكام كما كان الحال من قبل بل لضرب جلاديه وجلاديهم على الســـواء فان الجيش جزء لا يتجزأ من الشعب .

كانت الاستجابة مذهلة واتضح ان الضباط الاصاغر بحكم اتصالهم المباشر بالجنود كانوا أقدر على النفاد الى قلوبهم واكتساب ثقتهم ومحبتهم مما سهل عليهم مهمة عدادهم للتحرك ثم قيادتهم لتنفيذ الواجبات المكلفين بها

بعكس الحال تجاه القادة المتعجرفين الذين ثبت أنهم لا يكنون لهم أى روح ودية فلمـــا حانت لحظة الحسم انحاز الجنود بلا تردد الى جانب قادتهم الشبان الذين يشاركونهم آمالهم وآلامهم ولم يترددوا فى شهر سلاحهم فى وجه القادة الكبار البعيـــدين عن عواطفهم ولم يكن عجيبا بعد هذه الحقيقة أن نرى الجنود وهم يقتحمون ببنادقهم وسونكياتهم مكتب الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش أو أن نرى اللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة الثـانية وهو واقع فى الاسر فى حراسة جندى بسيط من فرقته .

اتصالات عبد الناصر السرية بالإخوان المسلمين

ثبت بمــــا لا يقبل الشك انه لم يكن لدى أحد من الاحزاب السياسية أو التنظيمات الوطنيــة علم مسبق بموعد حركة الجيش المنتظرة سوى قيادة جماعة الاخوان المسلمين فلقد حرص عبد الناصر على اجراء عدة اتصالات مع بعض قادة الجماعة وأنبأهم بموعد الحركة وطلب منهم مؤازرة الجماعة ومساعدتها .

ويروى صلاح شادى ضابط الشرطة السابق واحـد أقطاب الاخوان تفاصيل المقابلات التى جرت بهذا الشأن قبيل أيام من قيام حركة الجيش وقد تمت كلها فى منزل عبد القادر حلمى احد كبار الجماعة والذى يذكر صلاح شادى هذه التفاصيل نقلا عن مذكراته .

كانت المقابلة الاولى يوم ١٨ يوليــــو بناء على طلب عبد الناصر وقد تمت فى الحـــادية عشرة مساء وحضرها معه كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وحضرها من الاخوان عبد القـــادر حلمى وحسن العشماوى وصالح أبو رقيق وأخبرهم عبد الناصر أن أمورا خطيرة قد حدثت اذ أن أسماء قيادة الضباط الاحرار قد عرفها البوليس

السياسى ولذلك فقد تقرر الاسراع فى القيام بالحركة وسيكون ذلك خلال عشرة يام وسأل عما اذا كان الاخوان موافقين ومستعدين للقيام بدورهم الذى سبق الاتفاق عليه وتحمل المسئوليات بعد اتمام الحركة وطلب ردا سريعا ولكن أعضاء الاخوان أفهموه انه لابد من اخذ رأى المرشد العام المستشار حسن الهضيبى فهو صاحب الكلمة ونظرا لانه فى الاسكندرية فان الرد يحتاج الى ٤٨ ساعة للسفر لاستطلاع رأى المرشد ـ وانصرف جمال عبد الناصر وزميلاه على موعد جديد بعد عودة الذين سيسافرون للقاء المرشد بالاسكندرية .

وسافر أربعة من قادة الاخوان للقاء المرشد لهذا الفرض وهم عبد القادر حلمى وصالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وحسن العشماوى واتفق على بقاء صلاح شادى فى القاهرة لانتظار عبد الناصر فى الميعاد المحدد فى حالة تأخر الاخوان الاربعة عن العودة من الاسكندرية .

وعندما حضر عبد الناصر للمرة الثانية فى الموعد وهو ٢٠ يوليو قابل صلاح شادى وحده وتأجل اللقاء الى يوم ٢١ يوليو حتى يعود الذين سافروا للقاء المرشد .

ويستأنف صلاح شادى روايته نقلا عن مذكرات عبد القادر حلمى فيقول ان الاخوة الاربعة عرضوا الموضوع على المرشد العام فوجه اليهم عدة استفسارات أهمها مدى تمسك هؤلاء الضباط بالاسلام ومد ىاخلاصهم فى قولهم بالعمل على تطبيق احكام الشريعة الاسلامية وهل تم الاتفاق فى وضوح وصراحة على هذا الامر ؟ وهل

اتفق على المشاركة الكاملة بين الاخوان والضباط الاحرار فى الانقلاب والمسئولية ازاءه والتعاون فى تنفيذه بعد نجاحه ؟ وفى النهاية أعطاهم المرشد موافقته المشروطة بالامرين السابقين كما أعطاهم الحق فى الاتصال بالاخوان لتنفيذ التعليمات التى تترتب على قيام الانقـــلاب فى الوقت المناسب والمشاركة فيه بمن فيهم ضباط الاخوان فى الجيش لتنفيـــذ ما يصدر اليهم من تعليمـات من قيادتهم . وعندما عاد الاخوة الاربعة من الاسكندرية عرفوا الموعد الجديد الذى حدده صلاح شادى للقاء عبد الناصر يوم ٢١ يوليو .

وحضر عبد الناصر وحده مبكرا بعد ظهر يوم ٢١ يوليو والسرية والاحتياط نقلت سيارته الاوستن من أمام منزل عبد القادر حلمى الى شارع خلفى كما نقل عبد الناصر نفسه الى غرفة داخلية ليتمكن صلاح شادى من حضور اجتماع عقد بصفة عاجلة فى صالون المنزل بناء على طلب المقدم عبد المنعم عبد الرءوف والرائد أبو المكارم عبد الحى اللذين حضرا بصحبة حسين كمال الدين مسئول الاخوان عن منطقة القاهرة وعبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى للاخوان . وفى هذا الاجتماع ذكر الضابطان أنهما قد شعرا بتحركات غير عادية للضباط الاحرار داخـل الجيش ولما سألا الدكتور حسين كمال الدين وعبد الرحمن السندى لم يجدا عندهما معلومات بهذا الشأن ولذا جاءا للاستفهام من صلاح شادى عن هذا الموضوع وانصرفا دون أن يدريا أن عبد النـــاصر بالداخل على بعد أمتار قليلة منهما .

وكان صلاح شادى بالاتفاق مع اخوانه الاربعة الذين سـافروا الى الاسكندرية قد اتفقوا على انه ليس من المصلحة الكشف فى هذه الآونة عما جرى من اتصالات بين عبد الناصر والاخوان ولذا حرص صلاح على عدم الادلاء بأية معلومات للضـابطين بالرغم من ان المقدم عبد المنعم عبد الرءوف كان حتى ثلاثة اشهر فقط عضوا باللجنة التأسيسية للضباط الاحرار .

وعندما تكامل عدد الاخوان الاربعـة عقد اجتماعهم بعبد الناصر وشرح له عبد القادر حلمى وجهة نظر المرشد العام بالتفصيل وقد صدق عبد النـاصر على جميع تحفظات المرشد وأكد قبولها وانه سبق الاتفاق عليها بينه وبينهم وذكر لهم انه تأكد له اليوم أن اسمه قد عرف لدى البوليس السياسى لذلك فقد اتفق على قيام الحركة فى خلال يومين على الاكثر وانه سيعرف الاخوان بالموعد . وقبل انصراف عبد الناصر استأذن صلاح شادى من الاخوة الموجودين لينفرد به وتم ذلك لفترة قصيرة انصرف بعدها عبد الناصر ـ وابلغ صلاح زملاءه أنهما تذاكرا فى هذا اللقاء عهدهما السابق على المبـادىء والاهداف التى بايعا الله عليها قبل الاقدام على هذه الخطوة المصيرية وأشهدا الله على هذا العهد بقراءة الفاتحة .

وليست لدينا اية أسباب تدعونا الى الشك فى صحة هذه الواقعة التى رواها صلاح شـادى فان الدلائل والبراهين كلها تؤيد صدقها .. حقيقة هنـاك بعض اختلافات بين ما رواه وبين ما ورد فى مذكرات بعض

الذين كتبوا عن واقعة اتصال الضباط الاحرار بالاخوان المسلمين لطلب تأييدهم لحركة الجيش سواء كان هؤلاء الكتاب من الضباط الاحرار أو من الاخوان المسلمين ولكن هذه الاختلافات تقتصر على الشكل فقط دون المضمون كأسماء الاشخاص الذين جرى معهم الاتصال أو توقيت اللقاءات اما جوهر الواقعة نفسه فلم يقدم أحد على انكاره .

لقد اعترف معظم أعضاء اللجنة التأسيسية للأحرار بحدوث الاتصال بين التنظيم والاخوان المسلمين عقب اجتماع اللجنة يوم ١٨ يوليو والذى استقر فيه الرأى على ضرورة الاسراع بالحركة ــ وكان الدافع للاتصال هو التأكد من مؤازرة الاخوان للحركة ولكى يسهم متطوعو الاخوان مع قوات الجيش للسيطرة على طريق السويس والتصدى للقوات البريطانية اذا ما حاولت الزحف الى القاهرة لاخماد الحركة . وقد ثبت ان القيام بالمؤازرة وتدعيم الحركة قد تما فعلا بدليل اشتراك عدد من الاخوان المسلمين بعد قيام الحركة فى حراسة بعض المنشآت العامة والسفارات وأماكن العبادة خشية اندساس عناصر من العملاء بين الجماهير التى غمرتها الفرحة لارتكاب أعمال تخريبية على غرار حرائق يوم ٢٦ يناير ٥٢ مما قد يتيح الفرصة للقوات البريطانية للتدخل بحجة حماية الاجانب واعادة الامن والاستقرار وهى الذريعة التى تذرعت بها بريطانيا منذ سبعين عاما لاخماد الثورة العرابية . وما دام هذا التعاون قد تم بهذه الصورة فلا يمكن عقلا ان يحدث دون تنسيق مسبق وبدون الحصول

على موافقة المرشد العـام شخصيا وكان فى تلك الفتر موجودا بالاسكندرية لان جماعة الاخوان المسلمين اهم ما يميزها وقتئذ الانضباط التام بين افرادها وعد الخروج على تعليمات القيادة .

وهناك نقطة أخرى تؤيد صدق رواية صلاح عن اجتماع يوم ٢١ يوليو بعد الظهر بين عبد الناصر الاخوان بمنزل عبد القادر حلمى وهو اننى بعد دقيقة لاقـــوال ومذكرات جميع الضباط الاحرار نشرت بمن فيهم أعضاء اللجنة التأسيسية اتضح لى احدا منهم لم يشر الى اى لقاء قد تم بين عبد وبين واحد منهم فى الفترة التى ذكر صلاح شادى المقابلة قد جرت خلالها ، أما ما ذكره كمال الدين فى مذكراته بمجلة المصور فى عددها الصادر يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ عن واقعة ذهابه مع عبد الناصر يوم ٢٢ يوليو الى السيد صالح أبو رقيق والتى قال فيها بالنص « واخطرناه حسب اتفاقنا المسبق بموعد الثور بهدف كسب تأييدهم لثورتنا كما اتفقنا معه على أن تقوم قوات من متطوعى الاخوان بالمعاونة مع وحدات الجيش للسيطرة على طريق السويس لصد اى هجوم انجليزى محتمل أن يتحرك نحو القاهرة صباح يوم الثورة » .

فان هذه الاقوال التى لا يتطرق الينا الشـــك فى صحتها تؤيد تماما كل ما ذكره صلاح شادى فان الاخطار بموعد الثورة حسب الاتفاق المسبق يعنى حدوث اتصالات ولقاءات سابقة قد جرت وتم فيها الاتفاق على ضرورة أخطار الاخوان بموعد الثورة كما ان طلب التأييد من

الاخوان لحركة الجيش والاتفـــــاق على قيام متطوعى الاخوان بالتعاون مع وحـدات الجيش لصد أى هجـوم انجليزى محتمل لا يمكن من الوجهة المنطقية ان يوجـه الى الاخوان قبل ساعات معدودة من قيام الثورة والا كيف يتصور أحد أن يتمكن الاخـــوان من تجميع المتطوعين واعدادهم بما يلزمهم من سلاح وذخيرة لمقـاومة الجيش الانجليزى واصدار التعليمات الخـــــاصة بهذه العملية المصيرية التى تتطلب الكثير من الجهد والاعداد فى مثل هذا الوقت القصير ؟ وهل يملك صالح أبو رقيق ــ مهما كان وضعه فى الاخوان ــ أن يبت فى مسألة لهـا كل هذه الاهمية والخطورة وحده دون الرجوع الى قيادة الجماعة والمرشد العام ؟

ان أقوال كمال الدين حسين تثبت بطريق غير مباشر ما ذكره صلاح شادى عن لقاءات عبد الناصر بقادة الاخوان فى منزل عبد القادر حلمى وتثبت الاتصال الذى تم بين قادة الجماعة فى القاهرة ومرشدها العام فى الاسكندرية لعرض ما دار فى هذه الاجتماعات والحصول على موافقته لمؤازرة الاخوان للحركة ــ ولم يكن هناك بعد الاجتماع الاخير الذى جرى بعد ظهر يوم ٢١ يوليو اى موضوع معلق بين الاخوان وقيادة الاحرار سوى اخطار الاخوان بموعد الحركة على وجه التحديد .

وقد تم ذلك كمـــا قال كمال الدين حسين صباح يوم ٢٢ يوليو أى عندما استقر الراى نهائيا على موعد الحركة وليس هناك غرابة فى ابلاغ الموعـد الى صالح أبو رقيق فانه كان واحدا من الاربعة الذين سافروا الى الاسكندرية للقاء المرشد العام وكان أحد شهود الاجتماع

الذى جرى يوم ٢١ يوليو بمنزل عبد القادر حلمي والذى تم فيه اخطار عبد الناصر بموافقة المرشد والشروط التى اشترطها للتعاون والتي قبلهـــا عبد الناصر .. ومن الطبيعي بعد ان تم الاتفاق مع قادة الاخوان على جميع التفصيلات أن يوكل تلقى الاخطار عن موعـد الحركة من عبد الناصر الى واحد من الرجال الذين شهدوا الاجتماع الاخير اذ لا وقت ولا داعى لعقد اجتماع موسع جديد ما دام كل شيء قد تم بحثه والاتفاق عليه ولم يبق سوى أن يتولى مندوب الاخوان الذى علم بالموعـد النهائي ـ وكان هو صالح أبو رقيق ـ ان يخطر قيادة الجماعة به لوضع المخطط المتفق عليـــه مع عبد النـــاصر موضع التنفيذ .

هذا وقد كان مقدرا أن تقوم حركة الجيش ليلة٢١/٢٢ يوليو ٥٢ وفى آخر لحظة تأجل موعد قيامها ٢٤ ساعة لتكون ليلة ٢٣ يوليو ويذكر جميع من أرخوا للثورة هذه الحقيقة دون أن يحاولوا دراسة أسباب التـأجيل رغم ما لهذا الامر من أهمية بالغة .

وقد استوقف نظرى أن بعض من كتبوا من الاخوان المسلمين ذكروا ان السر الحقيقى فى التأجيل يعود الى تأخير وصول موافقة المرشد العام من الاسكندرية على تأييد الحركة ومؤازرتها ـ ومن رواية صلاح شادى يتبين لنا ان عبد الناصر عندما حضر الى لقـاء صلاح شادى يوم ٢٠ يوليو أخطره ان المندوبين الاربعة لم يحضروا بعد من الاسكندرية وضرب له موعدا جديدا للقاء وهو يوم ٢١ يوليو (أى بعد ٢٤ ساعة) ـ ومن هذا الواقعة جرى

الربط بين تأجيل موعد الحركة وتأجيل موعد المقابلة للحصول على موافقة المرشد العام وكلاهما قد تأجل لمدة ٢٤ ساعة .

ويذكر عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته انه تقرر تأجيل التنفيذ لمدة ٢٤ ساعة ليتم للجنة التأسيسية دراسة الخطة التفصيلية للتنفيذ وتحديد مهمة كل وحدة من الوحدات العسكرية التى ستساهم بدور فى الانقلاب ودور كل ضابط سيشترك بها وكذا لابلاغ جمال سالم وصلاح سالم وأنور السادات الموجودين بمنطقة العريش ورفح بالموعد الذى حددناه للتنفيذ .

ورغم هذا التحليل السليم للبغدادى والذى حذا حذوه فيه بعض من أدلوا بأقوالهم من الضباط الاحرار وهو أيضا يتمشى مع ما ذكره اللواء محمد نجيب فى مذكراته على الرغم من ذلك لا يمكننا استبعاد التعليل الذى ساقه بعض الاخوان المسلمين لتبرير التأجيل حتى ولو اعتبرناه على أضعف الفروض كان عاملا من العوامل التى حفزت عبد الناصر على اتخاذ قرار التأجيل بالاضافة الى العوامل الاخرى التى ذكرها عبد اللطيف البغدادى ومن أيدوه فى وجهة نظره .

لقد ثبت من أقوال ثروت عكاشة ان ضباط الفرسان كانوا جاهزين والتزموا ثكناتهم لم يغادروها منذ يوم ٢١ يوليو وكانوا ينتظرون التحرك ليلة ٢٢/٢١ يوليو فلما وصل اخطار تأجيل التحرك لمدة ٢٤ ساعة انطلق ثروت عكاشة الى الآلاى الاول المدرع ليجد جميع الضباط الاحرار فى الانتظار وكانوا كما ذكر فى حالة رغبة

عارمة فى الخروج على متن دباباتهم لتنفيذ الخطة وتغيير الاوضاع واحس ثروت عكاشة عنـدما أعلن عليهم قرار التأجيل بأنهم قد صدموا ولكنهم كظموا غيظهم .

ويؤيد هذا الـكلام النقيب توفيق عبده اسماعيل الاركان حرب الفنى للآلاى الاول دبابات فقد ذكر أن أحد عشر ضابطا من الاحرار كانوا بالآلاى يوم ٢١ يوليـو جاهزين للتحرك ولما أبلغهم ثروت عكاشة بتأجيل الحركة يوما أبلغوه بأنه اذا لم يتم التحرك فى اليوم التالى أى ليلة ٢٣/٢٢ يوليو فانهم سيتحركون وحدهم .

ويتناول هذا الموضوع بالدراسة العميد أ . ح مصطفى ماهر رئيس مركز دراسات التاريخ العسـكرى السابق خلال بحثـه القيم عن الجيش المصرى وثورة ٢٣ يوليـو والذى القاه فى ندوة الجيش المصرى بالـكلية الحربية فيقول : « فى يوم ٢١ يوليو أصدر جمال عبد الناصر تعليماته بتأجيل الموعد يوما ليكون ليلة ٢٣/٢٢ يوليـو وأزعج ذلك ضباط الفرسان اذ كان وجـودهم المستمر فى المعسكر أمرا يثير الشبهات وبرر عبد الناصر التأجيل للفرسان بأن المدفعية غير جاهزة وبالنسبة للمدفعية بأن الفرسان غير جاهزة والحقيقة أن الجميع كانوا مستعدين ولا يعلم أحد سبب التأجيل » .

هذه العبـارة التى استخلصها العميد مصطفى ماهر من اقوال عشرات من الضـــباط الاحرار الذين أدلوا بشهاداتهم أمام لجنة تسجيل تاريخ الثورة تؤيد ما ذكرته من أن سبب التأجيل يمكن أن نعزوه الى أكثر من عامل واحد قد يكون من بينها انتظار وصول موافقة المرشـد

العام للاخوان المسلمين من الاسكندرية لضـمان مؤازرة الجماعة وتأييدها لحركة الجيش قبل قيامها .

وحتى تكون دراستنا دقيقـــة ينبغى أن نعيد تصور الاوضاع التى كانت موجودة فى تلك الآونة أى قبل قيام الحركة ونفكر بتعمق فيما اذا كانت معـــاونة الاخوان المسلمين للحركة وقتئذ ضرورية أم لا ؟ .

لقد كان الخوف من التدخل البريطانى وزحف القوات البريطانية على القاهرة موضوعا يثير بلا شـــك القلق والاضطراب فى نفوس الضباط الاحرار بصفة عامة اذ ان معناه اعادة مأساة معركة التل الـــكبير واحتـــلال الانجليز للقـــاهرة وفشل حركة الجيش بنفس الطريقة التى فشلت بها ثورة عرابى عام ١٨٨٢ ـ ولم يكن هناك للحقيقة والتاريخ اى حزب او جماعة سياسية فى مصر فى هـــذه الآونة لديهم الامكانيات للتصـــدى للقـــوات البريطانية الى جانب الجيش سوى جمـــاعة الاخـــوان المسلمين فقد كانت وقتئذ قوة شعبية منظمة ومتماسكة ولديهـــا جماعات عديدة من المتطوعين المدربين والمزودين بالسلاح والذين سبق أن أثبتوا شجاعتهم خلال حرب ١٩٤٨ بفلسطين وأثناء معركة الكفاح المسلح ضد الانجليز فى منطقة قناة السويس بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ ولا جدال فى أن عبد الناصر بذل كافة جهوده لضمان وقوف هـــذه القوة الشعبية الى جانب حركة الجيش بمجرد قيامهـــا لتؤازره فى الداخـــل ولتسهم الى جانب الجيش فى الدفاع عن العاصمة فى حالة تفكير الانجليز فى ارتكاب حماقة التدخل .

هذا ولم يكن عبد الناصر بحكم طبيعة شخصيته التى تؤثر الصمت والكتمان يقوم بمصارحة زملائه أعضـــاء اللجنة التأسيسية بتفاصيل كل ما يقوم به من اتصالات او لقاءات أو تصرفات ويكفى للتدليل على ذلك انفراده بتخطيط وتنفيذ حادث محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود يوم ٨ يناير ١٩٥٢ دون التشاور مع اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار وأشرك معه فى التنفيذ كلا من حسن ابراهيم عضو اللجنة وكمال الدين رفعت وحسن التهامى من الضباط الاحرار وقد أدى ذلك الى وقوع مناقشة عنيفة بينه وبين عبـد اللطيف البغدادى خلال اجتماع اللجنة بلغ من عنفها وحدتها ان طالب عبد الناصر اعادة طرح الثقة به كرئيس للجنة .

ان أعضاء اللجنة كانوا يعلمون قطعا بأن عبد الناصر كان يجرى اتصالات مع الاخوان وكانت هذه الاتصالات تجرى بمعرفتهم وتأييدهم لكن حقيقة هذه الاتصالات وسر ما يدور فى اللقاءات لا شك ان عبد الناصر كان يحتفظ بالكثير منها لنفسه ولم يكن ضالعا معه فى اجراء الاتصال بالاخوان من اعضاء اللجنة سوى كمـــال الدين حسين وعبد الحكيم عامر .

وعلاوة على ذلك فقد سبق ان ذكرنا أن عبد الناصر انفرد وحده باتخاذ القرارات وعقد اللقـاءات فى الايام الثلاثة التى سبقت قيام الحركة مباشرة بعد آخر اجتماع للجنة القيادة يوم ١٩ يوليو ـ وخلال هذه الفترة القصيرة من ناحية الزمن بذل عبد الناصر من أجل التحضير والاعداد للحركة جهودا فوق طاقة البشر فقد كان الدينامو الذى

لا يهدأ ولا ينام يركب سيارته الاوستن الصغيرة ويذرع شوارع القاهرة طولا وعرضا مرتديا البنطلون والقميص والعرق يتصبب على جبينه الاسمر ليتأكد من ان جميع الحلقات قد ربطت ببعضها ويطمئن بنفسه على استعداد كل سلاح او وحدة من التى ستشترك فى الحركة ويحاول سد أية ثغرة فور حدوثها ولا يجد الزمن الكافى للنوم أو لتناول طعامه البسيط .

ان هذه الايام الثلاثة كانت من اهم الفترات بالنسبة لنجاح الحركة بل كانت العامل الاساسى فى ذلك النجاح وان كان هناك فضل للضباط الاحرار فى ان الاوضاع قد تغيرت فى مصر وعلى ان الجيش قد قام بحركته الخالدة فان صاحب هذا الفضل فى المقام الاول هوجمالعبدالناصر ولم تكن العملية سهلة ولم تكن نسبة النجاح تتعدى ٢٠ ٪ ولكنه مع رفاقه لم يخافوا ولم ينكصوا على أعقابهم وقد صور عبد الناصر حقيقة المشاعر التى كانت تخالجه خلال هذه الايام فى خطاب له بمناسبة العيد العاشر للثورة فقال : « لو كنا قعدنا نحسب العملية بورقة وقلم كنا نجد ان النجاح احتماله ضعيف ولكن كل واحد من الضباط الاحرار اللى اشتركوا فى الثورة كان بيقول اذا ما استطعنا ان احنا ننجح فى القضاء على هذا الظلم وعلى هذا الاستعباد فليس أقل من ان نضحى ونثبت للأجيال القادمة ان الجيل اللى كان عايش عام ١٩٥٢ مارضيش يسكت على الظلم ولكنه قام وقاتل حتى استشهد » بقيت نقطة أخرى ينبغى ان نناقشها قبل أن نختم هذا الموضوع وهو أن انتباه لجنة القيادة كان مركزا على الدفاع عن طريق السويس ـ القاهرة ضد احتمال

التقدم البريطانى من منطقة قناة السويس لمحاولة اخماد الحركة ومن اجل ذلك طلبت معـونة متطوعى الاخوان للتعاون مع الجيش للسيطرة على طريق السويس .والامر الذى يثير الدهشة ان لجنـة القيادة لم يحاول أحد من أعضائها خلال بحث احتمال تدخل الجيش البريطانى أن يثير احتمال تقدم القوات البريطـــانية على طـريق الاسماعيلية ـ القاهرة مع ان هذا الطريق لا يختلف عن مثيله طريق السويس من حيث عاملى الوقت والمسافة كما يقول العســـكريون وان تركيز الدفاع على طريق السويس عند مشـــارف القاهرة لابد ان يغرى الجيش البريطانى ـ اذا كانت لديه نية للتقدم ـ على استخدام الطريق الآخر الخالى من الدفاعات وكان وصول هـذه المعلومات الى قيادته أمرا محتما من طلعـات الاستطلاع الجوى . لا ندعى ان ذلك الخطأ يرجع الى عدم كفـاءة أعضاء اللجنة فكلهم كانوا من الضباط المتازين ومن بينهم أساتذة فى كلية أركان الحـــرب ولكن يبدو ان بحث احتمال تدخل الجيش البريطـــانى اما انه لم يدرس الدراسة الكافية ولم تبذل له العناية الواجبة واما انه لم يؤخذ أثناء الدراسة مأخذ الجد على اعتبار انه احتمال مستبعد فقد كانت لدى اللجنة معلومات موثوق بصحتها بأن بريطانيا قد ضاقت ذرعا بهذا الملك العربيد الذى فقد سمعته فى كازينوهات القمـار وملاهى أوربا وان الرأى العام البريطانى سوف يثور ضد حكومته اذا ما حاولت اراقة قطرة دماء واحدة من جندى بريطانى لتحافظ له على عرشه واعتقد ان الاحتمال الثانى هو الارجح .

الذين هربوا والذين لحقوا بالقطار

لم يكن المقدم عبد المنعم أمين منتميا لأى حزب أو هيئة سياسية ولكنه كان ضابطا معروفا بوطنيته منذ شبابه فعندما كان فى المدفعية المضادة للطائرات بمرسى مطروح عام ١٩٤٠ وكان عندئذ برتبة النقيب حاولت القيادة البريطانية ردا على سياسة حكومة على ماهر بعدم اشتراك مصر فى الحرب ان ترغم القوات المصرية التى كانت تحتل مواقع دفاعية حول مرسى مطروح أن تخلى دفاعاتها وتعود الى القاهرة على ان تترك مدافع الميدان والمدافع الماكينة المتوسطة التى كان يقوم عليها النظام الدفاعى وقتئذ . وكانت حجة البريطانيين هى شدة حاجة القوات البريطانية الى هذه الاسلحة التى من دونها يختل نظام الدفاع عن مرسى مطروح ما دامت القوات المصرية لن تشترك فى قتال القوات الايطالية عند اجتيازها الحدود .

وكان لعبد المنعم أمين موقف مشرف مع باقى الضباط الشبان فى رفض ترك سلاحهم والتهديد بالقتال حتى

الموت قبل تسليمه مما أجبر الانجليز على الرضوخ وترك القوات المصرية تعود بسلاحها .

وخلال حرب فلسطين سافر عبد المنعم أمين كعضو فى لجنة لشراء أسلحة من سويسرا ولكن اللجنة أهملت رأيه كخبير واعتمدت على المهربين الذين اشتروا للجيش المصرى مدافع ماكينة هوتشكس من التى استخدمت فى حملة السودان عام ١٨٩٩ كما اشترت بنصف الاعتماد المخصص لشراء الاسلحة قنابل يدوية .

وأثارته هذه التصرفات فاتصل بعد عودته باحسان عبد القدوس وزوده ببعض المستندات التى ساعدته فى حملته الصحفية المعروفة على الاسلحة الفاسدة كما أدلى عبد المنعم أمين بشهادته امام النيابة والمحكمة فى هذه القضية . وفى اجتماع الجمعية العمومية بنادى الضباط بالزمالك يوم ١٦ يونية وأثناء عرض موضوع تمثيل سلاح الحدود بمجلس ادارة النادى وكان معروفا للضباط ان ذلك قد تم بايعاز من الملك لفت عبد المنعم أمين الانظار بكلمته الجريئة التى أعلن فيها انه لا يجوز لاحد ان يفرض ارادته على الضباط .

وكان طبيعيا أن تتجه اليه أنظار تنظيم الضباط الاحرار وقد تحدث كمال الدين حسين عن قصة انضمامه فقال : « كنا نفكر قبل الثورة فى اشراك بعض كبار الضباط ذوى رتبة المقدم أو ما فوقها الى التنظيم بشرط أن يكونوا من أصحاب الماضى الوطنى النظيف ولديهم الاستعداد للعمل معنا وكان هذا التفكير يخدم حركتنا كاجراء تكتيكى فى تحريك الوحدات ليلة الثورة ومن هنا

رشحت لجمال عبد الناصر اسم عبد المنعم امين من ضباط المدفعية المضادة للطائرات وذهبت اليه برفقة عبد الناصر فى منزله بالجيزة صباح يوم ٢٢ يوليو وفاتحناه فوافق الرجل بلا أدنى تردد وفى المساء اجتمع معنا فى منزل خالد محيى الدين » .

وليس هناك أى تناقض بين ما ذكره كمال الدين حسين وبين ما رواه عبد المنعم أمين نفسه عن قصة انضمامه سوى تحديد موعد الزيارة التى أدت الى انضمامه للضباط الاحرار فقد ذكر عبد المنعم أمين ان كمال الدين حسين حدثه تليفونيا صباح يوم ٢١ يوليو وأخبره انه سيمر عليه فى البيت مساء اليوم نفسه واستطرد قائلا : « وفى العاشرة مساء جاء برفقة عبد الناصر وناقشنا موضوع التحرك وتحدثنا طويلا واتفقنا على الخطوط الأساسية للثورة وأهدافها وفى المقدمة اسقاط الملكية ثم حددنا موعدا جديدا ظهر اليوم التالى ٢٢ يوليو فى بيت خالد محيى الدين بمصر الجديدة » .

ويمكن الحكم بأن الموعد الاقرب الى الواقع هو الذى ذكره عبد المنعم أمين فان زيارة خطيرة مثل تلك الزيارة الحافلة بتبادل الافكار والاتفاق على الخطوط الاساسية للثورة لا يمكن أن تتم الا فى وقت ملائم حتى يمكن اقناع عبد المنعم بالانضمام الى هذه المغامرة التى قد تقوده الى حتفه . ولا يمكن أن نتصور ان الوقت الملائم للزيارة هو موعد العمل الرسمى الذى يفترض ان يكون الضباط خلاله فى وحداتهم ـ وقد ثبت بالقطع ان عبد الناصر وكمال حسين كانا فى وحدتهما . وهى كلية

اركان الحرب بمنشية البكرى يشتركان مع باقى زملائهما ومنهم المقـدم زكريا محيى الـدين فى تصحيح أوراق امتحان طلبة الدفعة الجديدة التى سبق أن عقـد لهم اختبار تمهيدا لاختيار الناجحين منهم ليلتحقوا بالدراسة بالكلية .

كما ان امر اشراك عبد المنعم امين بالتنظيم والذى كان محل تفكير من عبد الناصر وكمال الدين حسين كاجراء تكتيكى فى تحريك الوحدات ليلة الثورة لم يكن يصح أن يتأخر تنفيذه الى صباح يوم ٢٢ يوليو اى قبل ساعات معدودة من تحريك الوحدات اذ كان هناك بلا شك احتمال لرفض عبد المنعم امين الاشتراك فى الحركة ولم تكن هناك فرصة فى هذه الحالة للاتصال بضابط آخر تتوفر فيه الشروط المطلوبة وهى قدم الرتبة والاستعداد للعمل والماضى النظيف وهى شروط لا تتوفر الا فى عدد محدود بالطبع .

أما السبب الحقيقى الذى دفع عبد الناصر الى العمل على اشراك عبد المنعم امين الى الحركة فلا يرجع فقط الى ما ذكره كمال الدين حسين فهناك سبب آخر هام وهو الفراغ الذى نشأ فى سلاح المدفعية أثر رفض المقدم محمد فوزى الاشتراك فى الحركة وبالتالى انسحابه من التنظيم .

وكان المقدم محمد فوزى يقود تنظيم الضباط الاحرار بالمدفعية وقد قطع شوطا طويلا مع جمـال عبد الناصر وكمال الدين حسين وكان الاعتماد عليه كبيرا فى قيادة وحدات المدفعية ليلة الحركة بالنسبة لقدم رتبته مما يكون

حافزا للضباط على التحـــرك خاصة وان معظم ضباط المدفعية الاحرار كانوا من الضباط الاصـــاغر من رتبتى نقيب وملازم . وما كاد المقدم محمد فوزى يخطر بالتأهب والاستعداد قبل موعد الحركة بثلاثة أيام حتى تخلى عن واجبه حيال التنظيم ونكص على عقبيه مؤثرا السلامة عن التورط فى مغامرة غير مأمونة العواقب .

وكان الوضع يستلزم وجـود رتبة كبيرة فى المدفعية لمؤازرة كمال الدين حسين ليلة الحركة خاصة وانه رغم صلاته الوثيقة بالضباط كان بعيدا وقتئذ عن وحدات المدفعية بالقـــاهرة فقد كان يعمل مدرسا بكلية أركان الحرب وكان قبل ذلك يعمل فى رفح أركان حرب مدفعية الفرقة الاولى .

ولم يكن البكباشى محمد فوزى هو الوحيد من الضباط الاحرار الذين تخلفوا عن القيام بواجبهم فقد تخلف مثله عدد من الضباط الاحرار من أسلحة مختلفة منتحلين شتى الاعذار ووصل الامر الى أن أحدهم جاء بعد نجاح الحركة وهو فى شدة الخجل مبررا سبب عدم حضوره فى الموعد المحدد للاشتراك فى الحركة بأن زوجته ما كادت تراه يهم بمغادرة البيت ليلا مرتديا ملابسه العسكرية حتى أمسكت به ورقعت بالصوت فى بئر السلم فاضطر الى العودة حرصا على عدم افتضاح أمر الحركة .

وكان تخلف بعض الضـــباط مفاجأة لزملائهم لفرط ما كانوا يظهرونه من شجاعة واندفاع بل والضغط على قيادة التنظيم بضرورة التحرك الفورى وآلا اضطروا الى التحرك وحدهم فلما حان الجد وحلت الساعة الحاسمة

اتضح ان هؤلاء ليسوا على مستوى الموقف وان أعصابهم أضعف من أن تتحمل تلك المغـــامرة ولو كانوا يتحلون بالايمان مثل زملائهم الذين اشتركوا لما دب الى قلوبهم الخوف ولما أجتاحهم الذعر كما حدث لهم .

وقد علق كمال الدين حسين على هؤلاء بقوله « الذين هربوا ـ وكما هو الحال فى كل الحركات عندما يجد الجد تخلفت القلة وقامت الاغلبية الســـاحقة بواجباتها ومن هؤلاء الذين هربوا من تولى بعــد فترة من الثورة أكثر المناصب حساسية فى ادارة شئون البــلاد » . وكان يقصد باشارته المقدم محمــد فوزى فلقد تخلف ساعة الجد كما رأينا وكافأته الثورة بعد ذلك بتوليته منصب من أهم مناصب الدولة وهو منصب وزير الحـــربية والقائد العام للقوات المسلحة .

وفى الوقت الذى تخلف فيه هذا النفر الذى خانته شجاعته وأعصابه من ضباط التنظيم كشفت ساعة الجد عن معدن رجال شجعان سارعوا بالانضمام الى الحركة قبل قيام الثورة بساعات رغم عدم عضويتهم فى التنظيم من قبل ورغم علمهم بأن ما يقدمون عليه هو مغامرة قد تكلفهم حياتهم ولـكنهم لم يترددوا وكان ايمانهم أقوى من أى شعور بالخـــوف من النتائج وفى مقدمة هؤلاء المقــدم عبد المنعم أمين كما رأينا والعقيد أحمد شوقى . وقصة انضمام العقيد أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ قصة مثيرة تدل على مقدار ما كان يتمتع به هذا الرجل من شجاعة ووطنية . كانت الكتيبة ١٣ كما سبق أن ذكرنا قد وصلت القاهرة فى أوائل يوليو ٥٢ لتمضى فترة قصيرة بها يتم

فيها تجهيزها واستكمال ما ينقص من معـداتها تمهيدا لسفرها بالمظهر المشرف الى الخرطوم .

ونظرا لعدم توفر مكان لايوائها فى معسكرات هاكستيب والعباسية بسبب اكتظاظها بالوحدات فقد أسندت مهمة ايجاد معسكر لائق بها قبل وصولهـــا من العريش الى الرائد جمـال حماد أركان حرب سـلاح المشاه وأحد الضباط الاحرار البارزين فى هذا السلاح وكان قد سبق انتخابه عضوا بمجلس ادارة نادى الضباط ممثلا لسلاح المشاة بأغلبية كبيرة .

وبعد جهد شاق وبحث طويل أمكن لجمال حمـــاد العثور على معسكر مهجور فى مكان ناء غير مطروق بثكنات العباسية يدعى « معسكر دودج » ويبدو من اسمه انه كان مخزنا لعربات الجيش البريطانى من هذا الطراز قبل جلائهم عن القاهرة وبقى المعسكر محتفظا بالاسم .

وكان السر فى خلو المعسكر وعدم اشغاله هو عدم وجود اية مرافق به فتم الاتفاق مع ادارة الاشغال العسكرية على تزويد المعسكر بالمرافق اللازمة واستكمال النقص فى مبانيه القليلة بانشاء جناح بداخله من الخيـــام وبهذه الوسيلة أمكن استقبال الكتيبة عند حضورها وتم ايواؤها بهذا المعسكر وكان اختيار جمال حماد لهـــذا المعسكر البعيد عن الانظار لايواء الكتيبة ١٣ عملا يدل على التوفيق وحسن الحظ فلقد كان ذلك من العـوامل التى ساعدت الكتيبة على اعداد سراياها للتحرك فى ساعة الصفر ليلة الحركة فى حرية وأمان ولم يستطع أحد من قادة الجيش الذين ارسلهم الفريق حسين فريد يذرعون معسكرات

العباسية طولا وعرضا وينقبون عن أى بادرة تثير الشبهات ان ينجحوا فى الوصول الى « معسكر دودج » لتطرفه وبعده لعدم امكان الوصول اليه الا من طريق غير مطروق يمر خلف معسكر العباسية بجوار أرض تدريب الخيالة وهكذا استطاعت الكتيبة ١٣ وهى القوة الوحيدة التى تحركت ليلة الحـــركة من معسكر العباسية أن تقـوم باعـداد سراياها للتحرك بسلامة وهـدوء وبدون أى تدخل من أحد .

وكان العقيد أحمد شوقى يكثر من زياراته لزميله جمال حماد بمكتبه برئاسة المشاه لاخطاره بما ينقص الكتيبة من معدات أو مهمات ليعـــاونه باتصالاته فى استكمالها عن طريق القيادات والادارات المختصة برئاسة الجيش . ونتيجة لتلك الصلة الجـديدة تولدت بين الضابطين عـلاقة وطيـدة من الصداقة والثقة سمحت لهما بتبادل الاحاديث وانتقاد بعض الاوضاع السيئة فى الجيش بحرية وصراحة .

وكان جمال حماد قبل أيام قلائل على قيام الحركة قد علم أن الكتيبة ١٣ هى وحـدة المشـــاة الرئيسية التى ستقوم بالتحرك ليلة ٢٣ يوليو وكان بالكتيبة عـدد من الضباط الاحرار يكفى لتحركها وتنفيذ المهام الموكولة لها ولكن وجود قائد الكتيبة الاصلى على رأس كتيبته عند القيام بالحركة كان من وجهة نظر حماد أمرا لابد أن يثير الحماس ويبث الاطمئنان فى نفوس جميع الضـــباط والجنود وكانت شخصية أحمد شوقى المحبوبة ووطنيته الصادقة التى انعكست على أحاديثه قد بعثت الامل فى

نفس زميله جمال حماد بأن يتمكن من تجنيده ومن ضمه للحركة قبل قيامها ليتولى بنفسه قيادة كتيبته .

وفى صباح ٢٢ يوليو حضر أحمد شوقى الى مكتب زميله برئاسة المشاة اثر دعوته للحضور لامر عاجل وكان جمال حماد قد هيأ الامر واعتزم مفاتحته هذا الصباح اذ انها آخر فرصة أمامه لضمه الى صفوف الضباط الاحرار وانتاب أحمد شوقى شيء من الدهشة وهو يرى زميله لا يدعوه للجلوس بمكتبه كالعادة بل قاده مباشرة الى مكتب اللواء محمد نجيب المجاور لمكتبه وكان المكتب خاليا لوجود محمد نجيب فى منزله محجوزا منذ أيام بكشف المرضى وجلس أحمد شوقى على الاريكة المواجهة للمكتب بينما جلس زميله الى جانبه بعد أن حرص على اغلاق باب الغرفة جيدا من الداخل .

ولم يضع جمال حماد وقته فلم يكن قد بقى أمامه وقت ليضيعه واختار أن ينفذ الى الموضوع عن طريق اثارة قضية كانت الشغل الشاغل لضباط الجيش وقتئذ وهى القرار الذى صدر بحل مجلس ادارة نادى الضباط ولم يكن قد مضى على صدور القرار سوى أيام قلائل ـ وكان التجاوب رائعا فقد انطلقت الشتائم من فم أحمد شوقى كالقذائف تسب الملك والقائد العام وكل من تسبب فى اصدار هذا القرار .

وكان من الطبيعى أن ينتقل جمال حماد الى الخطوة الثانية فصور لزميله الحالة السيئة التى بات فيها اللواء محمد نجيب رئيس مجلس ادارة النادى المنحل

فرقابة المباحث تطارده وتترصد حركاته والتهديد بنفيه الى منقباد ليتولى قيادة المنطقة الجنوبيه يطرق مسامعه كل يوم مما حدا به الى ملازمة البيت والدخول بكشف المرضى رغم انه سليم معافى حتى يبعد عن هـذا الجو الخـانق الذى يحيط به .. وسرعان ما أنتج الحـديث ثماره بشكل غير متوقع فقد وقف أحمـد شوقى فى غضب وانفعـال وأخرج مصحفا من جيبه ووضع كفـه اليمنى عليه مقسما انه لا ينتظر سوى اشارة من اللواء محمد نجيب كى يزحف بكتيبته على الفور .

وطلب جمال حماد من أحمد شوقى عنوان منزله ورقم تليفونه ودونهما فى ورقة صغيرة وساق له الرجاء ألا يغادر منزله بعد ظهر ذلك اليوم اذ ربما يتصل به لأمر هام .

وكان عبد الحكيم عامر فى القاهرة يمضى أجازة ميدان وجرفته أحداث الايام الاخيرة من جهة الاعداد للحركة وتعدد اللقاءات وتجهيز خطة التحرك عن الالتفـات الى حقيقة غابت عن باله وهى ان اجازته تنتهى يوم ٢١ يوليو . واتصل أركان حرب الفرقة الاولى المشـاة برفح والتى كان يعمل عبد الحكيم برئاستها لاخطار رئاسة المشاة ان عبد الحكيم عامر قد تغيب بدون اذن عن وحدته . وخشى جمال حماد أن يثير هذا الأمر شكوك الرئاسات فى سر غياب الرائد عبد الحكيم اذ أن ذلك لم يكن شيئا مألوفا بين الضباط خاصة وهو ضـابط أركان حرب ويعمل برئاسة الفرقة .

ولم يجد وسيلة لانقاذ الموقف سوى محاولة ادخال عبد الحكيم عامر بكشف المرضى وسرعان ما دون اسمه على النموذج العسكرى المعد لذلك وأسرع الى المستشفى العسكرى بكوبرى القبة ومن حسن الحظ انه التقى بالطبيب الذى كان يبحث عنه وهو العقيد طبيب صلاح فوزى ــ وكان جمال حماد قد تعرف بهذا الطبيب عن طريق اللواء محمد نجيب فقد صادفه بمنزله عندما استدعاه محمد نجيب ليقوم بالكشف الطبى عليه ويحجزه بكشف المرضى فقد كانت تربطه به صلة صداقة . وكان صلاح فوزى يعرفه الجميع بصوته الجهورى وجرأته التى لا حد لها ، وشعر جمال حماد بالخجل ينتابه وهو يقدم النموذج الطبى للطبيب فقد كان المريض غائبا والامر مكشوفا وحاول ابداء بعض كلمات الاعتذار ولكن الطبيب لم يدعه يسترسل وبادر بحجز عبد الحكيم عامر فى كشف المرضى وذيل النموذج بتوقيعه . وهكذا حجز الطبيب كلا من نجيب وعامر فى كشف المرضى دون أن يعلم بالدور الهام الذى سيلعبه كلاهما بعد ساعات ولكنه كان يعلم بالتأكيد حقيقة واحدة هى ان الضابطين متمارضان . والتقى جمال حماد بعد قليل بعبد الحكيم عامر بمنزله بالعباسية وصادف عنده ثروت عكاشة وكانت مناسبة طريفة اذ أن الثلاثة علاوة على انتمائهم للأحرار كانوا أبناء دفعة واحدة . وعاتب جمال حماد صديقه عبد الحكيم لعدم حرصه فى أمر غيابه بعد انتهاء أجازته وأخطره بأنه قد أمكن حجزه بكشف المرضى بمنزله وان اشارة رسمية قد أرسلت من رئاسة المشاة

الى قيادة الفـــرقة برفح بذلك . وابتسم عبد الحكيم محتجا بأن ذلك يعنى عدم قدرته على مغادرة البيت فهو مريض وخروجه الآن فيه مخالفة للقانون وأخذ يمزح مع صديقه قائلا انه لم يكن هناك داع لتغطية مسألة غيابه لأنهما فى صباح اليوم التالى اما سيكونان معا فى قيادة الجيش أو سيكونان مع باقى الزملاء فى غياهب السجن وان اضافة جناية الغياب بدون اذن الى قائمة الادعاءات الاخرى التى ستوجه اليه والتى عقوبتها الاعدام مسألة لا تقدم ولا تؤخر وضحك الصديقان من الاعماق .

واستطاع جمال حماد فى هذا اللقاء القصير أن يقنع عبد الحكيم عامر بمدى الاهمية التى يعلقهـا على تولى أحمد شوقى قيادة كتيبته فى تلك الليلة ـ وبعد اتصال تليفونى قصير دار بين جمال حماد وزميله أحمد شوقى فى منزله تم الاتفاق على موعد للقاء بعد الظهر .

وفغر أحمـد شـوقى فاه من الدهشـة وهـو يرى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال حمـاد والنقيب جمال القاضى يدلفون الى صالون منزله بمصر الجـديدة بالقرب من ميدان روكسى فى الموعد المحدد فقد كان يظن ان الذى سيزوره هو جمـــال حماد بمفرده ولم يجل بخاطره أن يصحبه فى زيارته هذا العدد من الضباط خاصة وان معرفته بهم كانت سطحية .

وجلس جمال حماد مع زملائه فى الصالون وقد استبد به القلق فقد خشى أن يعـــدل أحمد شوقى فى حضور هؤلاء الضباط الغرباء عنه عمـــا ذكره له فى الصباح برئاسة المشاة فيصبح موقفه حرجا أمام زملائه . وبينما

كان الزائرون يتناولون شرابا مثلجا استرعت انظـارهم صورة ضابط كبير بملابس الشرطة معلقة على الحـائط داخل اطار أنيق وسأل جمال حماد مضيفه عن صاحب هذه الصورة وأصيب الحـاضرون بالوجوم حينما رد احمد شوقى فى براءة : « ده خالى اللواء أحمد طلعت » وكان اللواء طلعت يتولى وقتئذ حكمدار شرطة القـاهرة وكانت له شـهرة مدوية فى أعمـال الاعتقالات وقمع المظاهرات وكانت تحت قيادته المباشرة فرقة الامن المدرعة وهى القوة الضـاربة الوحيدة التابعة لوزارة الداخلية وقتئذ .

وثارت المخاوف فى نفس جمال حماد خشية ان يكون قد قاد زميليه عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى كمين محكم وان يكون كل سهر الليـالى الماضية فى الاعـداد للحركة قد ضاع هباء وأن يجدوا انفسهم جميعا بعـد قليل رهن الاعتقال واشتدت حيرته فى التصرف الواجب ازاء هذا الموقف وهل من الصـواب أن يفاتحوا أحمد شوقى فى الانضمام للحـركة بينما خاله اللواء أحمد طلعت هو العدو الاول لها ، وأحس أحمد شوقى من جو الصمت الثقيل الذى ساد الصالون بحقيقة ما يدور فى أعماق ضيوفه من خواطر القلق والانزعاج اثر معرفتهم صاحب الصورة وقرابته الوثيقة له .. ولم يلبث ان قطع حاجز الصمت بقوله : « أنا فاهم سبب حضوركم وعارف انكم دلوقت خايفين منى لكن أرجو أن تطمئنوا انى فى سبيل بلدى مستعد أعمل أى حاجة حتى ولو قلتولى اقبض على خالك » . وانزاح كابوس القلق الذى كان قد

خيم على جو الصالون ازاء هذه الكلمات التى تفيض بالوطنية ودخل عبد الناصر فى الموضـوع مباشرة دون مقدمات وعرض على أحمد شوقى الاشتراك فى الحركة فوافق على الفور دون تردد ودون أن تكون لديه فكرة عن موعدها .

وكانت مفـاجأة كبيرة لاحمـد شوقى حينما سأل عبد الناصر مستفسرا عن موعد الحركة وأجابه بأنهـا ستكون بعـد ست ساعات فقط . ولا شك ان معـادن الرجال لا تظهر على حقيقتها الا فى أوقات الجد وفى مواجهة الاخطار وكان ثبات أحمد شوقى وهو يتلقى هذه المفاجأة عظيما ويدل على شجاعة وايمان كبيرين وجلس فى هدوء وثقة وهو يتلقى تعليمات التحرك الخـاصة بالكتيبة ١٣ .. وكانت أصوات أفراد أسرته وضحكاتهم تصل الى أسماع الضباط الجالسين بالصـالون وغاب جمال حماد فى لجة من التفكير العميق وهو يستمع الى أصوات هذه الاسرة السعيدة ويسأل نفسه فى حيرة هل يا ترى سـيكون هو السبب غدا فى سـعادة هذه الاسرة عندما يجـدون رجلهم وقـد دخل التاريخ أم سيكون سبب شقائهم وموضع لعناتهم عنـدما يجدون رجلهم فى أعماق السجن وفى طريقه الى ساحة الاعدام .. ان الفرق بين المصيرين جد قصير فهو لا يزيد على ست ساعات ..

وزارة الهلالى تحلف اليمين الدستورية

فى الساعة الرابعة الا خمس دقائق بعد ظهر ٢٢ يوليو دخل نجيب الهلالى يتبعه وزراؤه الى قاعة كبرى بقصر

المنتزه استعدادا لحلف اليمين الدستورية أمام الملك ، وكانت القاعة أشبه بالمتاحف لفرط فخامتها وقد فرشت بالسجاد العجمي وتدلت في سـقفها أجمل الثريات الكهربائية من الكريستال وكانت القاعة مدهونة باللون الاخضر وكل ما فيها من أثاث أو تحف أخضر اللون .

ومرت الرابعة ولم يدخل الملك حتى دقت الساعة الربع بعد الرابعة ورأى الوزراء رئيس الديوان يدخل ويتوجه الى الهلالى ويهمس فى أذنه ويقوم الهلالى ويسير متوجها مع رئيس الديوان الى غرفة مكتب الملك وظل الوزراء ينظر كل منهم الى الآخر ولا يقول أحد منهم شيئا . وفى الساعة الخامسة دخل الهلالى القاعة وتوجه الى حيث جلس مرتضى المراغى وجلس بجانبه وتنهد ودار بينهما الحديث التالى :

المراغى : خيرا ..

الهلالى : انك تعرف ان مرسوم تعيينك وزيرا يتضمن انك وزير داخلية وحربية .

المراغى : نعم اعلم ذلك .

الهلالى : لقد استدعانى الملك كما تعلم وطلب منى أن اصرف النظر عن تعيينك وزيرا للحربية اكتفاء بوزارة الداخلية .

المراغى : ليس فى ذلك من بأس وكم كنت مرهقا من الجمع بينهما لكن لى سؤالا :

لقد علمت منك انه قد وافق على المرسوم الذى قدمته اليه فما الداعى لهذا التعديل الآن ؟

الهلالى : لانه يريد أن يعين زوج أخته اسماعيل شيرين .

المراغى (بغضب) : ان اسماعيل شيرين ضابط احتياطى فكيف يقفز الى رتبة وزير ؟ اذا كان الملك يريد ضابطا فعنده على الاقل مائة لواء .. لماذا لم يعين حيدر أو حسين فريد أو محمد نجيب .

الهلالى : انه مصر على تعيين اسماعيل شيرين .

المراغى : الم أقل لك انه لا فائدة أرجوك أن تدعنى انصرف .

الهلالى : أرجوك ن تبقى ستكون فضيحة لو خرجت لقد وعدته بقبول دخول اسماعيل شيرين ، هل تريد أن تفضحنى ؟

وكانت الدموع تترقرق فى عينيه فسكت مرتضى المراغى الذى نقلنا من مذكراته نص الحديث السابق وقال : اعتقد ان اكبر خطأ ارتكبته فى حياتى هو قبولى لذلك الوضع ولا أزال نادما عليه حتى الآن .. وظل الهلالى ووزراؤه جالسين حوالى الساعة بالصالون حتى وصل اسماعيل شيرين وهو مرتد ملابس التشريفة ليحلف مع أعضاء الوزارة اليمين .

وفى السادسة تماما دخل الوزراء الجدد قاعة الملك بعضهم قبل يده وبعضهم لم يقبلها . لم يقبلها نجيب الهلالى وطه السباعى وزكى عبد المتعال وسيد شكرى ومريت غالى وطراف على وبعد أن أقسموا اليمين قال الملك :

— أتمنى لكم التوفيق ولو انه فيه واحد منكم من اللى كتبوا العريضة اياها ولم يعتذر .

وكان يشير بذلك الى طه السباعى .

فقال نجيب الهلالى : يا مولاى لقد كان وزيرا معى فى وزارتى السابقة وأقسم يمين الولاء .

ولم يعتـــذر طه السباعى بل وقف ينظر الى الملك السابق فى تعجب .

ويقول الاستاذ موسى صبرى ان هذا يقطع فى الدلالة على ان الملك لم يكن جادا عندما قبل شروط الهلالى فهو يطلب الاعتذار من رجل وقع عريضة يحتج فيهـا على تدخل الوسطاء وغير المسئولين . وقصـــة تغيير وزير الحربية فى اللحظة الاخيرة ليكون اسماعيل شيرين بدلا من مرتضى المراغى يرويهـــا لنا الاستاذ صلاح الشاهد تشريفاتى رئاسة الوزراء وقتئـــذ بطريقة أخرى تخالف ما ذكره مرتضى المراغى فى مذكراته . وكم يثير هـذا الاختلاف فى الوقائع من أولئك الذين كانوا قريبين من مسرح الاحداث حيرة المؤرخين .

يقول الاستاذ صلاح الشاهد : طلب منى نجيب الهلالى كتابة أسماء المرشحين الذين وقع عليهم الاختيار لاصدار المرسوم الملكى بتعيينهم وزراء وبالفعل أعد المرسوم من الادارة العربية لرفعه الى القصر وارسل فعلا .. وعاد عفيفى باشا بالمرسوم دون توقيعـــه من الملك وسأل الهـــلالى باشا عن سبب عدم ادراج اسم اسماعيل شيرين ضمن الوزراء وزيرا للحربية برغم ان الملك موافق على تعيينه .

فبدت الدهشة على وجه الهلالى وقال :

– مين قال انى أريده وزير حربية .

فقال حافظ عفيفى .

ـ لقد أخذت رأيك وأنت مدحته .

فرد الهلالى :

ـ لقـــد سألتنى عن شخص معين دون الوظيفه .. يا حافظ باشا وزير الداخليـــة مرتضى المراغى هو وزير الحربية .

فقال حافظ عفيفى .

ـ لقد فهمت خطـــأ ورفعت الى الملك موافقتكم على تعيينه وزيرا والحل الوحيد هو أن أقدم استقالتى .

وهنا حاول كل الموجودين بصالون الهلالى اقنـــاعه بالموافقة كى تمر الازمة خاصة وان الملك أجاب كل مطالب الهلالى من تطهير وابعاد الحاشية ورضى الهلالى دون أن يقتنع .

ويروى لنا الاستاذ صلاح الشـــاهد رواية غريبة لم يذكرها أحد غيره عن اسماعيل شيرين الذى حاول أن يرفض تعيينه وزيرا للحربية وحاول وهو يقبل يد الملك والدموع فى عينيه أن يقنع فاروق بأن انقاذ العرش لن يتأتى الا باسناد الوزارة الى زعيم حزب الوفـد مصطفى النحاس باشا فان البوادر تدل على قرب حدوث انقلاب فى الجيش سوف يطيح بالعرش ـ وعرض اســماعيل شيرين على الملك أن يكلفه بالذهاب على ظهـــر طائرة خاصة لاحضار مصطفى النحاس من أوربا فى ســاعات زاعما بأن الشعب عندما يرى زعيمه بين صفوفه سوف يهتف للملك والعرش . وكان الملك مترددا وكان يخشى سطوة النحـــاس بين جماهير الشعب وقبل الملك فى

النهاية واستعد اسماعيل شيرين للسفر ولكن الداهية حافظ عفيفى تدخل لدى الملك لمنع اســماعيل شيرين من تنفيذ اقتراحه بحجة انه شاب لم ينضج بعد وانه قليل التجربة فى الحيــاة السياسية ولو دعى النحاس لرئاسة الوزارة لشارك بنفسه فى خلع الملك واقتنع الملك ولكن اسماعيل شيرين كان على صواب فقد كان العرش فى خطر وكأنه كان يقرأ الغيب فى كتاب مفتوح .

مَن الذى أسّس تنظيم الضباط الأحرار عبدالناصر أم السادات؟

لماذا تكونت الجماعات السرية بالجيش ؟

كان أول عهد الشرق الاوسط بالانقلابات العسكرية فى أكتوبر عام ١٩٣٦ حينما قام اللواء بكر صدقى رئيس أركان حرب الجيش العراقى بانقلابه الذى كان فاتحة للحركات العسكرية التى انتشرت فى هذه المنطقة والتى كانت تستهدف تغيير الاوضاع السياسية بالقوة .. وقبل قيام حركة الجيش فى مصر « فى ٢٣ يوليو ٥٢ » وقعت فى سوريا ثلاث انقلابات عسكرية متعاقبة قادها حسنى الزعيم ثم سامى الحناوى ثم أديب الشيشكلى . هذا وقد تعرض الجيش المصرى بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لعدد من المؤثرات السياسية جعلت ضباطه الشبان يتجهون الى العمل السياسى . وتحرير مصر من الاحتلال كان هو الاساس الذى تركزت عليه أفكار الضباط الوطنيين بعد أن أثبت لهم الواقع ان معاهدة ١٩٣٦ لن تؤدى الى الاستقلال الحقيقى . وكانت مصر وقتئذ تعج بالالوف الحاشدة من جنود انجلترا

ومستعمراتها من شتى الملل والالوان ، الوافدين من مختلف انحاء الامبراطورية وتعرض الشعب المغلوب على امره لابشع الاهانات من جنودهم السكارى الذين كانوا يرتكبون الفظائع كل يوم فى شوارع القاهرة والاسكندرية حتى باتت شوارعهما بعد الغـــروب مقفرة خاوية على عروشها . وكان الضباط الشبان الذين كانت الاوامر تفرض عليهم ارتداء زيهم العسكرى نظرا لظروف الحرب يشاهدون هذه المناظر الاليمة ويرون بأعينهم اعتداءات الجنود البريطانيين على الاهالى وهم يكادون يتمزقون من الغيظ والغضب . ولم يكن ذلك هو مصـــدر متاعبهم الوحيد فقد كانوا يعانون داخل الجيش من السيطرة البريطانية التى تمثلت فى البعثة العسكرية — وكانت قيادة الجيش المصرى قد تمصرت عقب معاهدة ١٩٣٦ وتخلص الجيش من السردار الانجليزى الفريق سفنكس وضباطه ولكن السياسة البريطانية لم تتخل عن قبضتها الحديدية على الجيش فأرسلت بعثتها العسكرية لتعمل فى الظاهر على تطـــوير الجيش وتحديثه بينما كان واجبها الحقيقى هو العمل على اضـــعاف هذا الجيش والحيلولة دون تقدمه فان بقاء الاحتلال البريطانى فى مصر كان رهينا بعدم مقدرة هذا الجيش على حماية قناة السويس وفقا لنصوص المعاهدة بين مصر وبريطانيا فكيف يتخيل أحد أن يعمل ضباط البعثة الانجليز على زوال الاحتـــلال البريطانى ؟ هذه الحقيقة لم تغب عن فطنة الضباط الشبان الذين أدركوا ما يهدف اليه الضـــباط الانجليز من حرمان الجيش المصرى من كل ما تتطلبـــه

الجيوش الحديثة من أسلحة ومعدات علاوة على مايبدونه من عجرفة وسوء فى المعاملة ، فكان أن وقع الصدام المتوقع بين الطرفين .

وعندما تولى على ماهر الوزارة عام ١٩٣٩ قبيل اعلان الحرب مباشرة عين الفريق عزيز المصرى رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش وكان معروفا بعدائه الشديد للانجليز كما عرف عنه الاعجاب الشديد بالعسكرية الالمانية ونظرياتها الحربية المتطورة وبدأ عزيز المصرى ينتهج سياسة اصلاحية للنهوض الحقيقى بالجيش وادخال النظم الحديثة الى تشكيلاته المتخلفة واخذ ينتقد علانية البعثة العسكرية البريطانية وسياستها فى بيع السلاح القديم لمصر بأبهظ الاثمان فوصفها بأنها بعثة تجارية وليست عسكرية .

ووجد الضباط الوطنيون فى قائدهم الجديد الامل الذى توقعوا على يديه الخلاص مما يعانونه من متاعب وآلام .

لكن الانجليز وجدوا فى عزيز المصرى خطرا يهدد تبعية الجيش المصرى لهم ويؤثر على سيطرتهم على مقاديره .. فاستخدموا وسائل ضغطهم على رئيس الوزراء على ماهر حتى أرغموه على تنحيته عن منصبه .

وكما تعلق الضباط الشبان بعزيز المصرى وهو على راس الجيش بحماسته ووطنيته كان ابعاده عن الجيش عام ١٩٤٠ عن طريق الانجليز سببا فى أن يزداد ارتباط الضباط بشخصه وتعلقهم بأفكاره . وكان الرجل بشخصيته الاسطورية وجاذبيته الفذة هو المرشح

الطبيعى الذى هياه القدر ليقود الضباط المصريين الشبان الى العمل السياسى حتى اعتبروه الاب الروحى لهم ، وسرعان ما أخذوا يسعون فرادى وجماعات الى بيته بالمطرية يستمعون اليه وهو يحدثهم عن أنفسهم باعتبارهم الوسيلة الوحيدة لخلاص مصر . هذا هو الجو الذى كانت تعيش فيه مصر فى بداية الاربعينات وهذا هو المجال الذى وجد الضباط الشبان أنفسهم يعملون من خلاله ـ وكان من الطبيعى ازاء مشاعر الغضب الممزوج بالغيظ التى كانت تكاد تشتعل فى نفوس الضباط الوطنيين بالجيش لفرط ما كانوا يعانونه من سيطرة الاستعمار أن يبدأ بعض الضباط الشبان العمل السياسي فى الجيش بانشاء جماعات سرية تضم زملاءهم من رفاق الدفعة والسلاح للاسهام فى العمل الوطنى .. وكانت هذه الجماعات رغم تفرقها وعدم ارتباطها ببعضها يجمعها هدف واحد مشترك وهو العمل على مقاومة الانجليز ومحاولة القضاء على الاحتلال البريطانى غير أن أسلوب عمل هذه الجماعات كان يختلف حسب طبيعة ظروفهم وطريقة تفكيرهم .

من كون الضباط الاحرار ..
السادات أم عبد الناصر ؟

لم يسبق لتنظيم سرى داخل أى جيش ان ذاع صيته ودانت له الشهرة فى الداخل والخارج مثل ما جرى لتنظيم الضباط الاحرار الذى أنشأه جمال عبد الناصر فى سبتمبر ٤٩ عقب عودة الجيش المصرى من حرب فلسطين ... ولا شك ان السبب فى ذيوع شهرة هذا

التنظيم وعلو مكانته انما يرجع الى انه التنظيم الوحيد الذى تمكن من تحقيق الهدف الكبير الذى شكل من اجله وهو تغيير الاوضاع البالية التى كان ينوء منها الشعب المصرى مستخدما فى ذلك القوة المسلحة بعد ان عجزت القوى الشعبية عن احداث هذا التغيير بوسائلها فلم يصبح هناك مفر من استخدام قوة الجيش لفرض ارادة التغيير وتم ذلك بالفعل ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولم يكن أمر تكوين عبد الناصر لهذا التنظيم عام ١٩٤٩ مثار خلاف أو جدل فقد ظل حقيقة مؤكدة منذ ٢٣ يوليو ٥٢ لا يمارى فيها انسان ... الا ان الامر قد اختلف منذ عام ١٩٧٨ فقد أصدر الرئيس أنور السادات كتابه « البحث عن الذات » الذى تضمن معلومات جديدة تماما جعلت الحقيقة التى آمن بها الناس طوال ربع قرن كقضية مسلمة موضع شك ومجالا للبحث والنقاش .

وهذا ما دفعنى الى أن أقوم مخلصا بهذا البحث الدقيق لا استهدف منه سوى الوصول الى الحقيقة مجردة من كل زيف لان هذا الموضوع لا يهم مصر وحدها بل يهم الامة العربية بأسرها . ان الامانة التاريخية تقتضى منى استخدام الاسلوب العلمى فى كشف الحقائق مدعمة بالادلة والمستندات وتحليلها تحليلا منطقيا للوصول الى النتائج السليمة .. ويهمنى ان أنوه انى لا أبتغى من وراء اظهار الحقيقة اية اغراض شخصية ولا أقصد منها الاشادة بأحد أو الاساءة الى احد اذ ان من سأتناولهم فى البحث قد باتوا فى ذمة الله والتاريخ ولا أنتظر من أحدهم نفعا ولا ضرا.

ماذا قال السادات ؟

ذكر الرئيس الراحل أنور السادات فى الصفحة ٣٠ من كتاب « البحث عن الذات » انه أنشأ عام ١٩٣٩ اول تنظيم سرى من الضباط وكان ضمن اعضائه عبد المنعم عبد الرءوف وكان يعتبر الرجل الثانى بعده وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين واحمد سعودى وحسن عزت والمشير أحمد اسماعيل الذى كان يحضر الاجتماعات دون مشاركة سياسية فقد كان رجل عسكرية كرس حياته لعمله وتخصصه .. وانه نظرا لاعتقاله فى صيف ١٩٤٢ فقد تسلم جمال عبد الناصر هذا التنظيم فى أوائل عام ١٩٤٣ عقب عودته من السودان .. ويتضح لنا مما ذكره السادات فى الصفحة ١١٣ من نفس الكتاب ان عبد الناصر لم يكن عضوا بهذا التنظيم من قبل وانه عقب نزوله بكتيبته من السودان ووصوله الى مصر فى أواخر عام ١٩٤٢ اتصل به عبد المنعم عبد الرءوف (الذى تولى القيادة بعد دخول السادات المعتقل) لضمه الى التنظيم واستجاب عبد الناصر على الفور ولم يكن من الصعب عليه بعد ذلك أن يزيح عبد المنعم عبد الرءوف عن طريقه وأن يتولى هو قيادة التنظيم بدلا منه .

هذا ولم يترك لنا أنور السادات أية فرصة كى يتجه بنا الظن الى أن التنظيم الذى أنشأه كان تنظيما آخر خلاف الضباط الاحرار فعلى الرغم من انه لم يذكر

هذا الاسم صراحة فى الصفحة ٣٠ كما رأينا واقتصر قوله على انه أنشأ تنظيما سريا من الضباط الا انه سرعان ما عاد ليؤكد لنا الاسم الذى يعنيه بطريقة صريحة فذكر انه تنظيم الضباط الاحرار وكان ذلك فى صفحتى ٣٨ ، ٤٣ من « البحث عن الذات » وهو فى معرض الكلام عن أحداث جرت فى عامى ٤١ ، ٤٢ قبل اعتقاله ـ وهذه العبارات التى كتبها السادات فى كتابه عام ١٩٧٨ تكشف لنا بمنتهى الصراحة والوضوح عن معلومتين هامتين وجديدتين على كل من قراهما أو سمع بهما ـ الاولى ان المؤسس الحقيقى لتنظيم الضباط الاحرار الذى أشعل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ هو أنور السادات وليس جمال عبد الناصر كما كنا نعلم والثانية أن تنظيم الضباط الاحرار قد أنشىء عام ١٩٣٩ وليس فى أواخر عام ١٩٤٩ كما كان الجميع يعرفون.. وقبل أن نضع هاتين المعلومتين الجديدتين موضع البحث والدراسة يجدر بنا أن نعود قليلا الى الماضى لنتوقف عند نوفمبر عام ١٩٥٤ أى قبل ربع قرن من صدور « البحث عن الذات » فقد سبق للسادات أن أصدر فى ذلك التاريخ كتابا سماه « صفحات مجهولة » أصدرته دار التحرير للطبع والنشر (العدد ٨٤ كتب للجميع) ثم عاد أنور السادات وأصدر نفس الكتاب ولكن بعنوان آخر عام ١٩٥٧ هو « أسرار الثورة المصرية » ـ أصدرته دار الهلال (العدد ٧٦ يوليو ١٩٥٧) ونظرا لان الكتابين هما كتاب واحد لذلك سوف نتخذ كتاب « أسرار الثورة المصرية » مادتنا فى البحث لضمان توحيد الصفحات ـ واذا عقدنا مقارنة بين ما ورد فى كتابى « أسرار الثورة المصرية » و « البحث عن الذات » فيما يتعلق بتنظيم

الضـــــباط الاحرار لوجـدنا البون شاسعا فان أوجه التعارض بينهما لم تقتصر على أمور ثانوية لا اهمية لهـا وانما تعدتها الى أمور جوهرية لا يمكن اغفالها .. كما ان طريقة عرض المعـــلومات مختلفة أشد الاختـلاف فشـــتان بين المعـلومات الصريحة التى ذكـر بهـا أنور الســــادات انشاءه للتنظيم عام ١٩٣٩ وأسـماء الأعضـاء وكيفية انضمام عبد النـــاصر للتنظيم لاول مرة عقب نزوله من الســـــودان على يدى عبـد المنعم عبد الرءوف ثم توليه القيادة عام ٤٣ . شتان بين ذلك الوضوح الشامل وبين تلك الالغاز المبهمة التى نطالعها فى كتاب « أسرار الثورة المصرية » كلمـا تطرق حديث السادات الى ناحية التنظيم ... ولنبدأ الآن فى قراءة ما دونه لنا فى ذلك الـكتاب . وتبدأ القصـة بمجموعة من الملازمين الشبان تخرجوا فى الكلية الحــربية عام ١٩٣٨ واجتمعوا للخدمة معا فى « منقباد » بمحـافظة أسيوط ونجد ان المجموعة أخذت تلتف حول شاب من بينهم يمثل الشخصية الصعيدية الـكاملة وكان هـذا الشاب هو جمال عبد الناصر الذى استحوذ بخصـاله واتزانه على اعجاب واحترام زملائه . وأضحى هو لهـذه المجموعة بمثابة الرائد فهو الذى رسم لافرادها رسالتهم الكبرى فى مقاومة الانجليز وشهدت تباب الشريف حيث معسكر المناوراتعهدا مقدسا ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار ، وفى بداية الاربعينات تشتت شـمل المجموعة ونقلوا جميعا من منقباد وكان حظ الســادات النقل الى سلاح الاشارة بالمعادى بينما نقل عبد الناصر الى السودان ــ ولم يصرح لنا السادات قط وهو يؤرخ

احداث الاربعينات بأية عبارات تبين لنا ان تنظيما سريا قد تشكل ولكنه يوحي للقارىء طوال الوقت بأن هناك تنظيما قائما له شأن وله كيان ـ ويبدو ذلك واضحا عند الحديث عن لقاءاته بالشيخ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين والفريق عزيز المصرى الاب الروحى للضباط فهو لا يلتقى بهما عام ١٩٤٠ بصفته الشخصية ولكن بصفته مندوبا عن تشكيل الاحرار وهكذا يظهر لنا هذا الاسم لاول مرة فى الصفحة ٥٢ من الكتاب اذ قال بصدد اللقاء الذى هيأه له حسن البنا مع عزيز المصرى « كان على أن ارجع الى تشكيل الاحرار قبل المقابلة وكان على أن أعود اليهم بعد المقابلة .. فلابد من الحذر .. ان اى شك يحوم حولى قد يذهب بتشكيل الاحرار كله » .

ويزيد السادات من قناعتنا بوجود هذا التشكيل عندما أجاب عن سؤال للشيخ حسن البنا فى الصفحة ٥٨ من الكتاب بأنه لا يعمل وحده وان هناك تشكيلا معينا موجودا وان البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال الجيش .

وعندما أراد السادات التعليق على حادث ٤ فبراير ٤٢ ذكر ان التشكيل لم يكن قد توقع هذا الحادث ولم نشعر به عندما وقع وعندما طاش صواب ضباط الجيش ـ بسبب الحادث ـ كان التشكيل قد بدأ فى التفكير . ولا يشك احد ممن يقرأ ما ورد بالصفحة ٦٦ فى أن التشكيل قد وصل الى مرحلة متقدمة من التخطيط والتنظيم والقوة فلقد أجرى التشكيل تقديرا للموقف على طريقة العسكريين لبحث خطة الرد على

الانجليز وكان القرار كما ذكر السادات « صممنا على أن نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة ودامية فى الوقت نفسه قررنا كذلك ان تنأى خطتنا فى هذه المرة عن أى صلة بالاخوان المسلمين » وينتابنا الشعور ـ بعد قراءة هذه الصفحة أيضا ـ بأن التشكيل قد بلغ أوج قوته عند اقتراب الجيش الالمانى من العلمين الى الحد الذى استطاع به انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات بدأت تخرج السلاح فعلا كما استطاع أفراده تحضير البارود تحضيرا علميا وعندما وصل روميل الى العلمين وضع التشكيل خطة واحدة سريعة لابادة الانجليز أفرادا وجماعات عند انسحابهم وكان جانب من الخطة يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى والجانب الاخر يرسم خطة الاتصال بالالمان .

ولكن القدر كما ذكر السادات كان فى نفس الوقت يضع خطة أخرى وترك السادات حديثه عن التنظيم جانبا وبدأ يروى لنا بالتفصيل قصة اتصال الجاسوسين الالمانيين ابلر وساندى به كى يصلح لهما جهازهما اللاسلكى المعطل تلك القصة التى انتهت فصولها بطرد السادات من الجيش فى ٨ أكتوبر ٤٢ . ولم تتوقف عجلة الاحداث عن الدوران بعد طرد السادات من الجيش ثم اعتقاله عام ٤٢ فقد عاد عبد الناصر من السودان وتفهم من سياق الكلام انه عاد لكى يمارس التوجيه فى التشكيل فهو يرى فى (الصفحة ١٠٦) انه من المصلحة للتشكيل والثورة عدم استمرار العمل المنظم الا بعد استكمال أسباب النجاح ووسائله .

هذا ما تضمنته المرحلة الاولى من كتاب « أسرار الثورة المصرية » عن كل ما يخص التنظيم من معلومات .. تلك المرحلة التى بدأت بالعهـد المقـدس بجوار النار الموقدة فوق تباب الشريف بين مجموعة أصدقاء منقباد عام ٣٩ وانتهت بطرد السادات من الجيش فى أكتوبر ٤٢ .

ومن تحليلنـا للمعلومات التى أمكن لنا استخلاصها خلال تلك المرحلة من الكتاب والتى تتعلق بذلك التشكيل الذى كان السادات يظهره لنا من بعيد دون أن يحاول أن يكشف لنا الستار عن شىء من أسراره أو يطلعنا على أى جانب من خباياه على عكس الطريقة التى اتبعها عندما كتب عن التنظيم فى « البحث عن الذات » والتى اتسمت بالصراحة والوضوح .

ان عشرات الاسئلة لابد أن تثور بعد قراءتنا المرحلة الاولى من « اسرار الثورة المصرية » .. تلك المرحلة التى تهمنا فى بحثنا فى الدرجة القصوى اذ أنهـا المرحلة التى قال السادات فى « البحث عن الـذات » انه أنشـأ فى بدايتها تنظيم الضباط الاحرار والتى قال انه فى نهايتها جرى اعتقاله وتم لجمال عبد الناصر تسلم التنظيم عقب عودته من السودان .

هنا نتساءل : هل كان للظروف التى صدر فيها الكتاب دخل فى هذا الغموض ؟ لقد صدر الكتاب كما نعلم فى وقت كان فيه عبد النـاصر رئيسا للجمهورية فهل كان لهذا الوضع تأثير على السادات كمؤلف ؟

لقد كان فى وضع عبد الناصر بالطبع وهو فى قمة السلطة ما يحتم على السادات أن يلتزم الحذر البالغ

تجنبا للمتاعب ومن هنا جاء كل ما يتعلق بالتنظيم سطحيا ومبهما ويعتمد على الايحاء دون التحديد وعلى التعميم دون التخصيص .

ولـكن الدنيا ما لبثت أن تغيرت ـ وسبحان مغير الاحوال ـ فقد توفى عبد الناصر عام ١٩٧٠ وأتى السادات الى قمة السلطة ثم صدر له كتاب « البحث عن الذات » عام ١٩٧٨ . وليس هناك أى مجال للمقارنة سواء فى طريقة الـكتابة أو أسلوب عرض الموضوعات بين الكتابين اللذين أصدرهما السادات رغم ان الفارق الزمنى بينهما لا يزيد عن ٢٠ عاما .

مناقشة بالمستندات لاقوال السادات

ذكر السادات كما رأينا فى البحث عن الذات الهيكل الذى تكون منه تنظيمه ويتضح منه انه كان مكونا بصفة أساسية من خمسة ضباط طيارين وواحـد من ضباط الجيش ـ وقد استبعدنا أحمد اسماعيل لانه كان يحضر الاجتماعات دون مشـاركة سياسية وبذلك انتفت عنه صفة العضوية .

وفيما يتعلق بالضباط الطيـارين نجد أن الحيرة تنتابنا فان أسماءهم التى أوردها السادات ضمن تنظيمه هى نفس الاسماء التى ذكر عبد اللطيف البغدادى فى (الصفحة ١٢) من مذكراته الجزء الاول انهم قد شكلوا معا تنظيما سريا بين ضباط الطيران والجيش لمقـاومة الاحتلال البريطانى وكان ذلك فى بداية عام ١٩٤٠ .. وذكر لنا البغدادى أيضا فى (الصفحة ١٣) ان أنور

الســــادات انضم الى تنظيم الطيران بناء على ترشيح صديقه حسن عزت عضو تنظيم الطيران .

وهكذا يحدث التعارض أمامنا منذ اللحظة الاولى بين التنظيمين فكل منهما يدعى انه الاصل وان الطرف الآخر عضو فيه .

ونتيجة لتحكيم العقل والمنطق فى هذا الخلاف يتضح لنا أن تكوين مجمـــوعة الطيران كان أمرا طبيعيا فقد تشكلت من أربعة ضباط طيارين برتبة الملازم تجمعهم وحدة العمل فهم يعملون فى مطار الماظة الحربى كمـا تجمعهم وحدة السكن فهم يقطنون شقة واحدة فى مصر الجديدة ـ وكان الضباط فى تلك الآونة يمضون الجانب الاكبر من وقتهم فى وحداتهم لا يغادرونها الا فيما ندر بسبب ظروف الحرب وحالة الطوارىء المعلنة بالبلاد مما أدى الى توثيق عرى الصداقة وازدياد الروابط بين زملاء السلاح الواحد .. فاذا طبقنا نفس المعيار على مجموعة السادات لادركنا فى الحال مدى مجافاتها لقواعد المنطق اذ ما الذى دفع السادات الى تشــــكيل مجموعته من ضباط طيارين لا توجد بينه وبين معظمهم صلات صداقة قديمة أو زمالة فى السلاح علاوة على انهم يعملون فى مطار الماظة الجوى بينما هو يعمل فى سلاح الاشارة بالمعادى اى يفصل بينه وبينهم ما لا يقل عن ثلاثين كيلو مترا ـ وكان المفروض أن ظروف الحرب وحالة الاستعداد فى الجيش والبعد بينه وبينهم فى مكان العمل كفيلة بأن تحول تفكيره لتقوده الى الاتجاه المنطقى السليم نحو زملاء سلاحه ورفاقه من ضباط سلاح الاشارة بالمعادى

الذين يمضى معهم معظم أوقاته والذين لابد ان تكون قد قربت بينه وبينهم ظروف الحرب واخطار الغارات الجوية علاوة على صلات العمل اليومية وعلى فرض ان الفرصة لم تكن مواتية للسادات لتجنيد ضباط سلاح الاشارة فى تنظيمه ـ رغم ما فى هذا الفرض من استحالة ـ افهل غاب عن فكره زملاؤه السابقون أصدقاء منقباد الذين نقلوا ايضا الى القاهرة مثل ما نقل هو الى سلاح الاشارة ؟

ولا شك ان العهد المقدس الذى أقسموه معا فوق تباب الشريف فى منقباد كان فرصة سانحة لتجنيدهم فى تنظيمه دون أى جهد أو مشقة وكان من بينهم بعض ابناء دفعته الذين زاملوه وكان منهم زكريا محيى الدين (نائب رئيس الجمهورية فيما بعد) وحمدى عبيد (وزير الادارة المحلية فيما بعد) .

ولكن الغريب فى الامر ان السادات لم يحدثنا اطلاقا عن ضم أى ضابط من الذين كان المفترض أن يكونوا أول من ينجذبون الى تنظيمه اما بحكم زمالة السلاح كضباط سلاح الاشارة واما بحكم زمالة الدفعة بالكلية الحربية أو زمالة الخدمة فى منقباد أو روابط العهد المقدس فوق تباب الشريف .

من اذن من الضباط تستطيع أن نقرر عن قناعة انه كان ضمن تنظيم السادات عام ٣٩ ؟ ان الضباط الطيارين الذين ذكر أسماءهم فى تنظيمه يتضح من مراجعة مذكراتهم وشهاداتهم المنشورة انهم جميعا أنكروا انضمامهم فى هذه الآونة الى اى تنظيم خلاف تنظيم الطيران مما يجعلنا نستبعد أسماءهم . اما ضابط الفرسان خالد محيى الدين فاذا تغاضينا عن حقيقة

صارخة وهى انه عندما ذكر السادات اسمه ضمن تنظيمه عام ١٩٣٩ لم يكن قد تخرج بعد فى الكلية الحربية فكيف نتغاضى عما ذكره خالد محيى الدين نفسه من أن أول صلة له بأحداث السياسة كانت فى صيف عام ٤٢ عندما عين حرساً على الطيار حسن عزت بعد اعتقاله مع السادات فى ميس سلاح الفرسان فى قضية الجاسوسين الالمانيين فى أغسطس ٤٢ (أى بعد انقطاع صلة السادات بتنظيمه) وان حسن عزت هو أول من ربطه بالسياسة ولذا نضطر الى استبعاده هو الآخر من التنظيم .

لم يبق اذن من الاسماء التى أوردها السادات فى « البحث عن الذات » سوى عبد المنعم عبد الرءوف وله قصة :

تخرج عبد المنعم عبد الرءوف فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ فهو من نفس دفعة السادات وعين ضابطا طيارا بسلاح الطيران وعرفت عنه الاستقامة والصلاح وصدق الوطنية ـ وقد حذا عبد المنعم حذو الكثيرين من الضباط الشبان المتحمسين الذين اجتذبتهم شخصية عزيز المصرى فبدأ يتردد على منزله بالمطرية وتولدت نتيجة لذلك رابطة قوية من المودة والثقة الى الحد الذى جعل عزيز المصرى يصارح عبد المنعم برغبته الملحة فى السفر الى بيروت ويسأله المعونة وكان عزيز المصرى يهدف من وصوله الى بيروت أن يساعده عملاء الالمان بها على السفر الى العراق للمساهمة فى ثورة رشيد عالى الكيلانى التى قام بها ضد الانجليز .

واستطاع عبد المنعم بدوره اقناع زميله ودفعته حسين ذو الفقار صبرى للاشتراك فى نقل عزيز المصرى الى بيروت بطائرة من السلاح الجوى المصرى بحكم وجود حسين ذو الفقار فى سرب المواصلات .. ولكن المغامرة التى وقعت يوم ١٦ مايو ٤١ لم يتيسر لها النجاح فان حالة الاستعجال سببت فى أن يغلق الميكانيكى مفتاح الزيت بدلا من أن يفتحه مما أدى الى هبوط الطائرة اضطراريا بالقرب من قليوب .. ورغم اختفاء عزيز المصرى والطيارين لمدة ٢١ يوما فى حى امبابة عند أحد أصدقاء عبد المنعم تمكن البوليس من القبض عليهم يوم ٦ يونيو ٤١ .. وأجرى التحقيق معهم بعد اعتقالهم وقدموا للمحاكمة واستمروا معتقلين حتى أفرج عنهم فى مارس ٤٢ فى عهد حكومة النحاس . ولم يعد عبد المنعم عبد الرءوف الى سلاح الطيران بطبيعة الحال بل نقل الى الجيش وانضم لقوة الكتيبة الثالثة المشاة بمنشية البكرى بالقاهرة وهناك جمعته الاقدار بضابط شاب تعرف عليه لاول مرة ولعب بعد ذلك دورا خطيرا فى مجرى حياته .. وكان ذلك الضابط هو جمال عبد الناصر الذى كان يعمل وقتئذ مساعدا لاركان حرب الكتيبة الثالثة وكان من ضمن قوة الكتيبة التى نقلت من الصحراء الغربية الى القاهرة فى مارس ٤٢ وهو نفس الشهر الذى أفرج فيه عن عبد المنعم وانضم فيه على قوة الكتيبة هو الآخر .. يجدر بنا الآن وبعد حدوث اللقاء الاول بين عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف فى مارس ٤٢ بعد الافراج عنه والذى تم فى مقر الكتيبة الثالثة بمنشية البكرى

بالقاهرة أن نستعيد ما ذكره السادات عن دعوة عبد المنعم عبد الرءوف لعبد الناصر للانضمام الى التنظيم بمجرد عودته من السودان فقد قرأنا فى البحث عن الذات فى هذه المناسبة تواريخ شديدة الاختلاف تحتـــــاج الى تمحيص ودراسة وبحث .

متى عاد عبد الناصر من السودان ؟

لقــد حرص أنور الســادات فى أكثر من موضــع من كتابه « البحث عن الذات » على أن يسجل بدقة ملحوظة ان عودة عبد الناصر من السودان كانت فى ديسمبر ١٩٤٢ ولا يمكن احتمال الخطأ فى ذكر ذلك التاريخ فقد أورده ثلاث مرات فى (الصفحات ٣٠ ، ٤١ ، ١١٣) . ولــكن واقع الامر يخالف ذلك فقد عاد عبد الناصر من السودان قبل التاريخ الذى ذكره السادات بأكثر من عام . ونظرا لما لهذا الموضوع من اهمية حيوية فى البحث الذى نجريه لانه يوضح لنا حقائق فى غاية الخطورة لذلك ينبغى علينا الا نقرر حكما فى ذلك الاختلاف الا اذا كان مؤيدا بالدليل القاطع .

ان أول دليل نستند اليه بشــــأن التاريخ الصحيح لعودة عبد الناصر هو ما أورده السادات نفسه فى كتابه « أسرار الثورة المصرية » فقد ذكر فى (الصفحة ٣٦) بالحرف الواحد : « وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الاوقات كمـــا اختفى اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين بين ديسمبر ٣٩ وديسمبر ٤١ اذ كان فى هــذه

الفترة قد نقل الى السودان » . وهكذا يقرر السادات في وضوح أن عودة عبد الناصر من السودان الى مصر كانت في ديسمبر ٤١ .

أما الدليل الثانى فهو ذلك الخطاب الذى أرسله عبد الناصر الى صديق له يعلق فيه على حادث ٤ فبراير ٤٢ الذى أثاره كما أثار زملاءه ضباط الجيش وقد أورد عبد الناصر فقرات من هذا الخطاب في (الصفحة ١٥) من كتابه « فلسفة الثورة » وهو قاطع الدلالة على أن عبد الناصر كان موجودا فى مصر أثناء وقوع حادث ٤ فبراير ٤٢ ولم يكتب الخطاب الذى ذكرناه الا نتيجة الغضب الذى تملكه من جراء ذلك الحادث الذى أهان كرامة البلاد . وان ما ورد فى الصفحات من ١٧٠ الى ١٧٢ من كتاب « أسرار الثورة المصرية » عن واقعة اتصال الشهيد وجيه خليل بكل من عبد الحكيم عامر وعبد الناصر عقب حادث ٤ فبراير ٤٢ للقيام بأعمال ارهابية واسعة النطاق يجزم بوجودهما وقتها فى مصر .

أما الدليل الثالث الذى فيه فصل الخطاب ولا مجال بعده لنقاش أو جدل فهو ملف الخدمة العسكرية الخاص بعبد الناصر . ويحمل هذا الملف الرقم ٢٤٣٤ وقد استخلصنا منه البيانات التالية :

● فى مارس ١٩٤٠ سافر ضمن قوة الكتيبة الثالثة بنادق مشاة للعمل فى بور سودان فالخرطوم وجبل الاولياء وظل بالسودان حتى عادت الكتيبة الى القاهرة وتم تجمعها فى معسكر «كمبرا» بامبابة فى نوفمبر ١٩٤١ .

● نقل عبد الناصر مع كتيبته الثالثة من معسكر

« كمبرا » بامبابة الى الصحراء الغربية يوم ٨ ديسمبر ١٩٤١ .

● فى ٤ مارس ١٩٤٢ عاد جمال عبد الناصر مع كتيبته الثالثة من الصحراء الغربية الى القاهرة ـ واستقرت الكتيبة بقشلاق منشية البكرى .

● فى نوفمبر ١٩٤٢ اختير للعمل مدرسا بالكلية الحربية .

ويتضح مما قرأناه فى الملف الشخصى لعبد الناصر انه وصل القاهرة فى النصف الاول من نوفمبر ١٩٤١ وانه أمضى عام ١٩٤٢ بأكمله فى مصر ما بين الصحراء الغربية والكتيبة الثالثة والكلية الحربية بالقاهرة . ولم يمض هذا العام كما ذكر السادات فى السودان .

وقد يثور التساؤل وما أهمية عودة عبد الناصر فى أواخر عام ٤١ أواخر عام ٤٢ الى مصر أفلا يكون ذلك التأخير فى تاريخ عودته قد حدث بنوع الخطأ أو النسيان وجل من لا يسهو والجواب الذى أسجله للحقيقة والتاريخ ان ذلك التأخير لم يحدث خطأ فان وراءه تدبيرا محكما وسببا فى غاية الاهمية .

لو ذكر السادات فى « البحث عن الذات » التاريخ الصحيح لعودة عبد الناصر من السودان وهو نوفمبر ٤١ فى الوقت الذى يعرف فيه الناس انه لم يقبض عليه فى قضية الجاسوسين الالمانيين سوى فى أغسطس ٤٢ حيث وضع فى الايقاف فى ميس سلاح الفرسان بكوبرى القبة الى حين صدور قرار بطرده من الجيش فى ٨ أكتوبر ٤٢ (وهذان التاريخان اعترف بهما السادات فى الصفحتين ٨٩ ، ١٠٧ من أسرار الثورة المصرية) ـ لو ذكر السادات

التاريخ الصحيح لانتابت الناس الدهشة ولتساءلوا : وكيف لم تتم أية لقاءات بين السادات وزميله عبد الناصر فى القاهرة عقب عودته من السودان طوال المدة التى أمضاها الاخير فى مصر قبل اعتقال السادات (من نوفمبر ٤١ حتى أغسطس ٤٢) وهى مدة لا تقل عن تسعة أشهر منها قرابة نصف عام قضاها عبد الناصر بالكتيبة الثالثة بمنشية البكرى بالقاهرة .. وكان السادات باعترافه يخدم فى نفس الفترة التى حددناها كضابط اشارة بكتيبة اشارة سلاح الحدود بالجبل الاصفر بالقاهرة كما ذكر فى (الصفحة ٤٤ من البحث عن الذات) وكان اللقاء بالطبع سهلا متيسرا خاصة وان البيت الذى كان يقطن فيه السادات وقتئذ كان فى كوبرى القبة أى على مسافة شديدة القرب من قشلاق الكتيبة الثالثة بمنشية البكرى بل هو فى طريق ذهابه وايابه من عمله .

واذا كان ذلك هو السؤال الاول فان السؤال الثانى الذى لابد أن يفرض نفسه علينا هو أن نتساءل عن سر عدم دعوة السادات زميله وصديقه عبد الناصر الى الانضمام الى تنظيمه الذى أنشأه عام ٣٩ والذى كان قد مضى عليه وقتئذ ثلاث سنوات .

ولم تكن العلاقة بين عبد الناصر والسادات تسمح بتجاهل أى منهما للآخر كما انهـا لا تسمح للسادات باستبعاد صديقه عن التنظيم فلقد كان عبد الناصر هو المركز الذى التأمت حوله مجموعة أصدقاء منقياد كما ذكر السادات نفسه وقد كان دوره مع زملائه بمثابة الرائد والموجه فهو الذى رسم للجماعة رسالتها الكبرى

فى مقاومة الانجليز وهو واحد من الذين أقسموا العهد المقدس فوق تباب الشريف بمنقباد ايذانا بالرابطة الوثيقة التى غدت تربط أفراد الجماعة ببعضهم البعض وتبدو هذه الامور بوضوح شديد فى الصفحات من ٣٠ الى ٣٦ من كتاب « أسرار الثورة المصرية » .

ولو كان السادات قد سجل فى كتابه أى ذكر لحدوث مثل هذا اللقـــاء بينه وبين عبد الناصر أو انه دعاه للانضمام الى تنظيمه خلال المدة التى أمضياها معـــا بالقاهرة قبل اعتقـــاله لما استقام الامر ولتصدع بنيان القصة التى رواها فى البحث عن الذات عن التنظيم الذى انشأه عام ٣٩ والذى تسلمه عبد الناصر من عبد المنعم عبد الرءوف فى أوائل ١٩٤٣ .

والآن دعونا نتصور ما الذى كان متوقعا أن يكتبه لنا السادات فى « البحث عن الذات » لو افترضنا انه سجل لنا اللقاء الحقيقى الذى تم بينه وبين عبد الناصر ولكن فى الظروف التى ذكرها لنا عن انشائه تنظيم الضباط عام ١٩٣٩ — ان نتيجة هذا اللقاء لن تخرج عن احتمالين :

اما أن يذكر لنا السادات ان عبد الناصر لبى دعوته وانضم عضوا عاديا الى التنظيم مثل غيره من الاعضاء لان منصب نائب رئيس التنظيم لم يكن هو الآخر شاغرا فقد كان يتولاه وقتئذ عبد المنعم عبد الرءوف ، وبالطبع كان السادات أول من يعلم أن أحدا لن يصدق هذا القول لان ذلك يتناقض مع شخصية الرجل تناقضا تاما ولن نبرهن على ذلك بما نعرفه بعد ٢٣ يوليو ٥٢ فقد يكون فى ذلك تحامل وظلم وانما يكفى أن نرجع الى أيام الخـدمة فى

منقباد لنرى شخصية عبد الناصر وهو ما زال ضابطا صغيرا برتبة الملازم وكيف استطاع أن يقوم بدور الموجه والقدوة لباقى الملازمين الذين يخدمون معه وبعضهم كان من دفعته والبعض كان أقدم منه فى الرتبة مثل السادات وزكريا محيى الدين وحمدى عبيد .

أما الاحتمال الآخر الذى أمام السادات فهو أن يذكر لنا ان عبد الناصر لبى دعوته وانه قام بتسليمه قيادة التنظيم ولكن فى هذه الحـــالة تضيع على الســـادات الفرصة التى ينشـــدها لاثبات انه منشىء التنظيم ورئيسه فان عبد الناصر الذى كان فى منقباد بمثابة الرائد قد أضحى بمجرد عودته من السودان هو الرئيس والقائد .

اذن ماذا يكون الحل للخلاص من ذلك الموقف المعقد ... فى الواقع ان الســـادات أمكنه الافلات من تلك الحيرة بذكاء يحسد عليه ـ ولم يكن الامر يستلزم أكثر من تغيير بسيط فى تاريخ عودة عبد الناصر من السودان الى مصر ليصبح فى أواخر عام ٤٢ بدلا من أواخر عام ٤١ .

بهذا التعديل استقام الامر وأضحى التسلسل منطقيا لا تشوبه شائبة ولا يدعو الى حرج وارتباك فالامر الطبيعى انه بعد دخول السادات المعتقل فى صيف عام ٤٢ أن يتولى القيادة من بعده نائبه والرجل الثانى فى التنظيم عبد المنعم عبد الرءوف وعندما يعود عبد النـــاصر من السودان فى ديسمبر ٤٢ ينجح عبد المنعم فى ضـــمه الى التنظيم (دون أى تدخل من السادات بالطبع بحكم وجوده بالمعتقل) ثم لا يجد عبد الناصر صعوبة فى ازاحة

عبد المنعم عبد الرءوف وتولى القيادة بدلا منه ويتسلم التنظيم فى أوائل عام ٤٣ .

بهذا التسلسل المنطقى المحكم أورد السادات فى (الصفحة ٣٠)من « البحث عن الذات » هذه التواريخ الثلاثة المتعاقبة فى دقة واتقان بالغين وفى سطر واحد فقط اذ قال بالحرف « لم ألجأ الى الخلايا السرية للدفع بهذه الثورة المسلحة لبلوغ أهدافها كما فعل عبد الناصر بعد عودته من السودان فى ديسمبر ١٩٤٢ وتسلمه التنظيم فى أوائل سنة ١٩٤٣ بعد اعتقالى فى صيف عام ١٩٤٢ » .

وهناك ملاحظة أود أن أذكرها قبل أن انتقل الى النقطة التالية فى البحث وهى تتعلق بالكيفية التى أمكن بها لعبد الناصر ازاحة عبد المنعم عبد الرءوف دون أية صعوبة وتوليه قيادة التنظيم بدلا منه كما ذكر السادات فانه على فرض صحة هذه الواقعة فان السادات لم يفسر لنا الوسيلة التى تمكن بها عبد الناصر من ذلك وهو العضو الجديد فى التنظيم على الرغم مما كان يتميز به عبد المنعم وقتئذ عن عبد الناصر من حيث مؤهلات القيادة فهو أقدم منه فى الرتبة وأرسخ منه قدما فى التنظيم فهو الرجل الثانى بين المؤسسين وقد أمضى به نحو ثلاث سنوات ثم هو بعد ذلك القائد الذى تولى قيادة التنظيم بمجرد غياب القائد الاصلى .

موقف عبد المنعم عبد الرءوف من السادات

لم يكن عبد المنعم عبد الرءوف فى الفترة التى ذكر

السادات انه تولى خلالها قيادة التنظيم من بعده في حالة تسمح له بمزاولة أى نشاط سياسى سواء بطريقة علنية أو سرية فقد تم الافراج عنه فى مارس ٤٢ بعد قضائه نحو عشرة أشهر فى السجن اثر مغامرة هروبه المعروفة مع عزيز المصرى وحسين ذو الفقار التى سبق أن ذكرنا أمرها — وعندما ألقى القبض على السادات فى أغسطس ٤٢ فى حادث الجاسوسين الالمانيين لم يكن قد مضى على عبد المنعم وهو يمارس حريته الا قرابة أربعة أشهر .

وخلال هذه الشهور الاربعة ثبت ان السادات قد قطع به صلته تماما وكف عن زياراته له وهو أمر طبيعى بعد أن أدى حادث عبد المنعم مع عزيز المصرى الى ذلك الدوى الهائل فى كل أرجاء مصر ولم يكن الافراج عنه يعنى افلاته من مراقبة المباحث مما دفع الكثيرين من معارفه ومنهم السادات الى تجنب الاتصال به ولكن ذلك التصرف اغضب عبد المنعم من صديقه كما يتضح من أقوال السادات فى الصفحة (١٠٧) من أسرار الثورة المصرية « عندما أفرج عنه (يقصد عبد المنعم عبد الرءوف) لم أشأ أنا أن أتصل به فى شىء كنت أخشى عليه ان تثور حوله شكوك جديدة وكنت أريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال ولكن يبدو ان عبد المنعم أساء فهمى حينذاك فقد غضب فى نفسه وتضايق وعرفت فيما بعد » .

ان ما ذكره السادات عن تولى عبد المنعم عبد الرءوف قيادة التنظيم من بعده عقب اعتقاله مسألة فيها نظر فاننا قد رأينا كيف أن السادات نفسه وهو رئيس

التنظيم ـ كما يقول ـ قد آثر قطع اتصالاته مع عبد المنعم حتى لا تثور حوله شكوك جديدة فهو موضوع بلا شك في القائمة السوداء لدى سلطات الامن ورقابة المباحث اللصيقة تحيط به من كل جانب . اذن فهل يتمشى مع المنطق أن يغامر عبد المنعم مرة أخرى فى ظل ما يعانيه من أوضاع سيئة ليتولى قيادة تنظيم سرى تم اعتقال رئيسه ؟ .. ولماذا يفعل ذلك وهو قد رأى بنفسه كيف تباعد عنه هذا الرئيس اثر الافراج عنه ليبعد عن نفسه الشبهات ؟

بقيت نقطة أخرى هامة وهى ان السادات لم يذكر لنا فى كتابه ان عبد الناصر وعبد المنعم كانا يخدمان معا فى كتيبة واحدة وهى الكتيبة الثالثة عقب الافراج عنه اذ ان ذكر هذه الحقيقة كان يؤثر بلا شك على مجرى الاحداث كما كتبها فى « البحث عن الذات » فما أورده فى كتابه يشير لنا بأن عبد المنعم اتصل بعبد الناصر بمجرد نزول كتيبته من السودان لضمه الى التنظيم ولم يكن وقوع اختيار عبد المنعم عليه اعتباطا بل كان بناء على علة وضحها لنا السادات فى (الصفحة ١١٣) من كتابه وهى أن عبد الناصر كان ضابطا ممتازا وذكر بأن هذه هى القاعدة التى أرساها ـ أى السادات ـ بأن لا ينضم الى التنظيم الا المتميز فى عمله .

هذا ولم تكن فى مقدرة عبد المنعم وهو ضابط طيار ضم حديثا الى الجيش ان يحكم على درجة كفاءة أى ضابط بالجيش وقتئذ كما لم تكن الظروف المحيطة به تسمح له بمزاولة اى نشاط سياسى سرا أو علانية

وبالتالى فلم يكن فى استطاعته أن يتولى قيادة تنظيم سرى أو أن يضم اليه عضوا جديدا مثل عبد الناصر ولم يكن فى حاجة الى الاتصال بعبد الناصر لضمه الى التنظيم بمجرد عودته من السودان لان عبد الناصر كان أولا يخدم معه فى نفس الكتيبة وثانيا لان عبد الناصر كان موجودا فى مصر منذ تسعة أشهر .

المرحلة الثانية من الكتاب

وبعد ان استعرضنا ما ورد فى المرحلة الاولى من كتاب « أسرار الثورة المصرية » فى الجزء الاول من بحثنا وهى المرحلة التى انتهت بطرد السادات من الجيش عام ٤٢ واعتقاله نجد من المفيد أن نلقى بنظرة على المرحلة الثانية من الكتاب كى يمكننا استكمال بحثنا دون أى قصور أو نقصان وذلك توخيا منا للوصول الى الحقيقة التى لا ننشد سواها وقد كنا نود لو ان السادات اقتصر فى تسجيله لتاريخ التنظيم على المرحلة الاولى من الكتاب .. اذ اننا رغم اختلافنا معه فى وجهات النظر فاننا نعترف بأنه كان يكتب عن أحداث عاصرها بنفسه وانفعل بهـا وجدانه ولذا كان التسلسل فى هذه المرحلة ـ رغم ما شابه من غموض ـ تسلسلا منطقيا لا نشـعر فيه باضطراب او بفقدان للرؤية على عكس الحال فى المرحلة الثـانية التى كان يؤرخ فيها لتطور التشكيل بعد اعتقاله فقد كان يكتب نقـلا عن روايات لافراد آخرين ويبدو انه جمع هذه

الروايات دون أن يمحصها أو يرتبها من ناحية التسلسل الزمنى أو المنطقى .

أن أولى المفاجآت التى تصادفنا فى المرحلة الثانية من الكتاب نجدها فى الصفحة ١٨٣ اذ يقرر فيها السادات دون أى لف أو مداراة ان أول تكوين فعلى للضباط الاحرار كان عام ١٩٤٤ — اذن عن أى تشكيل كنا نقرأ منذ بداية الاربعينات حتى بلغنا عام ١٩٤٢ ووصل الامر بالتشكيل الى حد انشاء ورشة المسدسات وتحضير البارود ووضع خطة محكمة لابادة الانجليز أفرادا وجماعات عند انسحابهم ؟ أو لم يكن التشكيل أيضا يحمل نفس الاسم « تشكيل الاحرار » ؟

ونقرأ بعد ذلك عن اللقاء الذى تم بين عبد الناصر والسادات فى سبتمبر ٤٥ عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية والغاء الاحكام العرفية وكان السادات قد هرب من المعتقل فى أكتوبر ١٩٤٤ وظل مختبئا هاربا لمدة عام كامل حتى سقطت الاحكام العرفية .

ويروى السادات فى (الصفحة ٦٩) من « البحث عن الذات » الظروف التى كان يعيشها فى هذه الفترة بعد سنوات من التشرد والحرمان بلا عمل ولا دخل فيقول بالحرف « فى تلك الفترة لم يكن عندى أى عمل وكانت الخمسة مليمات بالنسبة لى عملة صعبة فكنت أسير على الاقدام يوميا من منزلى بكوبرى القبة الى العتبة اى أكثر من ٢٠ كيلو لأنى لا أملك ٦ مليمات أجرة الترام » .

وفى اللقاء الذى جرى بين عبد الناصر والسادات الذى تم بعد الغاء الاحكام العرفية والذى اشرنا اليه من قبل يسترعى التفاتنا ان السادات رغم ظروفه المعيشية

القاسية وما كان عليه من فاقة وحرمان كان لايزال منشغلا بالامور السياسية وانه اتفق مع عبد النـاصر على انشاء تشكيلين أحدهما شعبى ، يتولاه السـادات والثانى عسكرى داخل الجيش ويتولاه عبد الناصر بنفسه وينظمه تنظيما جديدا على أن يعمل التشكيلان جنبا الى جنب كل بوسائله وكل بخططه .

ولكن هذا الاتفـاق الذى تم كمـا هو موضح فى (الصفحة ١١٢) من « أسرار الثورة المصرية » لم يؤت ثماره فان التشكيل الشعبى الذى جرى الاتفاق مـع عبد الناصر على تعاونه مع التنظيم العسكرى يتضح لنا من (الصفحة ٧٠) فى « البحث عن الذات » أنه لم يكن الا جمعية سرية كونها السـادات مع حسين توفيق ، وكانت مهمتها اغتيال رجـال السياسة المصريين الذين يساندون الانجليز وقتها .

وبدأت الجمعية السرية عملها بتدبير اغتيال مصطفى النحاس زعيم الوفد يوم ٦ سبتمبر ١٩٤٥ وكان يوافق للأسف الاحتفال بذكرى المولد النبوى وتدخلت عناية الله ففشل تدبير الجمعية ونجا مصطفى النحـاس وكانت المحاولة الثانية التى دبرتهـا الجمعيـة ونجحت فيهـا هى قتل أمين عثمان وزير المالية فى عهد مصطفى النحاس فقد أطلق عليه حسين توفيق الرصاص يوم ٦ يناير ٤٦ وقتله . وألقى القبض على حسين توفيق فى نفس اليوم ووضع فى سجن الاجانب وتبعه السادات فى ١٢ يناير وبقى السادات فى السجن رهن المحاكمة ٣١ شهرا حتى صدر الحكم بتبرئته فى أغسطس ١٩٤٨ .

واستمر السادات فى كتاب « أسرار الثورة المصرية » فى سرد أحوال التنظيم وتطوره ولم يكن معايشا لهـذه

الاحداث أو على اطلاع بخفاياها وكيف يمكن ذلك وقد كان خلال هذه الفترة نزيل الزنزانة ٥٤ فى سجن قره ميدان كما ذكر فى « البحث عن الذات » . وكانت النتيجة ان جاء تسلسل الاحداث كما سبق ان ذكرت مرتبكا وتماسكها مفقودا لانه اعتمد فى كتابته على روايات الغير الذين تتباين وجهات نظرهم وأفكارهم . وليس أدل على ذلك من ان السادات بعد أن قرر لنا فى وضوح وحسم تكوين تشكيل الاحرار عام ٤٤ عاد بعد ذلك الى استخدام لفظ « مجموعة » كلما تحدث عن التشكيل والمعروف ان مرحلة المجموعة تسبق مرحلة التشكيل أو التنظيم .

ونقرأ فى الصفحة ١٨٥ عن نشاط مجموعة من الاصدقاء كانت مهمتها خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش ليستطيع هذا الرأى العام تحريك الجيش واستقرت المجموعة على خطة بعيدة المدى وبرنامج مرسوم للوصول الى الهدف الكبير .. ونعود ونقرأ فى صفحتى ١٩٣ ، ١٩٤ كيف قررت هذه المجموعة عام ٤٧ نبذ العلنية وتكوين جهاز سرى داخل الجيش يناط به جمع اشتراكات وطبع منشورات ومعاونة أسر الضباط الذين يلحقهم الاذى .

وهنا تثور أسئلة عديدة فان تنظيم الضباط الاحرار الذى تكون عام ٤٤ ــ كما ذكر السادات ــ لم يكن بالطبع الا تنظيما سريا داخل الجيش لانه ليس من المعقول تكوين تنظيم علنى للضباط والا تعرضوا للمحاكمة والطرد من الخدمة فكيف يفكر أفراد المجموعة الذين هم من أفراد

هذا التنظيم السرى أن يكونوا جهازا سريا داخل الجيش .. اى تكوين جهاز سرى داخل التنظيم السرى .

وأخيرا وبعد هذا الرحلة الطويلة الشاقة وصل بنا السادات الى خاتمة المطاف والى المرحلة الحقيقية لتكوين الضباط الاحرار ومن عجب أنه ضرب صفحا عن كل ما ذكره من قبل من معلومات وتواريخ متناقضة .

وفى الصفحات من ٢٠٧ الى ٢٠٩ من كتاب « أسرار الثورة المصرية » نجد الحقائق المجردة الآتية التى تروى لنا تكوين التنظيم :

● فى هذا العهد عادت القوات المصرية من فلسطين ودعى عبد الناصر لمقابلة ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء برفقة الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش لتحذيره عن نشاطه مع الاخوان المسلمين (والمعروف أن هذه المقابلة كانت فى ٢٥ مايو ٤٩) .

● بدأنا فى تكوين القاعدة وفى الايام التى تلت ذلك فرغ جمال من وضع أساس التنظيم كله .

● اختار جمال للتشكيل اسم الضباط الاحرار وظهر الاسم لاول مرة .

● وضعت أهداف التشكيل وطبعت وتم توزيعها فعلا على الضباط الاساسيين فيه .

النتائج التى نستخلصها من البحث :

اولا ـ يمكن الجزم بأنه لم يتم تكوين تنظيم سرى ـ يستحق أن يطلق عليه هذا الاسم ـ داخل الجيش

المصرى الا تنظيم الضباط الاحرار الذى أنشأه عبد الناصر فى سبتمبر ٤٩ عقب عودة الجيش من حرب فلسطين وهى حقيقة اعترف بها السادات فى نهاية كتاب « أسرار الثورة المصرية » كما رأينا كما اعترف بها جميع الضباط الاحرار دون استثناء سواء فى كتبهم أو مذكراتهم التى نشرت أو فى أقوالهم التى أدلوا بها أمام لجنة تسجيل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ .

ثانيا ـ ان ما ذكره السادات عن انشائه أول تنظيم سرى للضباط عام ١٩٣٩ وكان يقصد به تنظيم الضباط الاحرار كما رأينا قول لم نستطع اثباته فعلاوة على عدم امكان الاهتداء الى أسماء ضباط اعترفوا بانضمامهم لهذا التنظيم فان السادات نفسه قد اعترف فى أكثر من موضع فى كتابه « أسرار الثورة المصرية » ان عبد الناصر هو الذى شكل أول تنظيم سرى داخل الجيش وان اسم الضباط الاحرار قد ظهر لاول مرة فى عام ١٩٤٩ .

وهذا القول ينطبق أيضا على ما أطلق عليه اسم تنظيم الطيران بينما هو لا يزيد على كونه مجموعة ضمن المجموعات التى تكونت فى أوائل الاربعينات من الضباط لمقاومة الانجليز وكان الجيش يزخر بعشرات منها كما سبق أن ذكرنا .

ثالثا ـ ان قصة انضمام عبد الناصر الى تنظيم السادات عن طريق عبد المنعم عبد الرءوف بعد عودته من السودان ثم تسلمه التنظيم فى أوائل عام ٤٣ .. هذه القصة لم تظهر ولم تنشر الا بعد وفاة عبد الناصر .

رابعا ـ ان أقصى ما يمكن أن نتصوره عن نشاط السادات السياسى فى مطلع الاربعينات انه تمكن من

تجميع بعض الضباط الاصدقاء حوله فى مجموعة وكانوا يناقشون فى اجتماعاتهم الاوضاع السياسية فى البلاد ويفكرون فى الوسيلة التى يمكنهم بها مقاومة الانجليز ـ وكان الجيش المصرى وقتئذ يموج بعشرات من هذه المجموعات فى مختلف الاسلحة والوحدات ـ هذا ولم نتمكن من الاستدلال على الاسماء التى كانت فى مجموعة السادات وقتئذ ـ فان الاسماء التى ذكرها تأكد لنا نتيجة للبحث الى انهم لم يكونوا ضمن مجموعته ـ ولم يذكر لنا السادات أية أسماء أخرى كما لم نسمع أو نقرأ عن أى ضابط ذكر انه كان فى تنظيم أو مجموعة السادات وهو أمر يثير الدهشة والاستغراب ولا نستطيع أن نحدد فى هذا المجال سوى اسمين يمكن أن نقتنع بأنهما كانا على اتصال وثيق به خلال السنوات الاولى من الاربعينات وهما عبد المنعم عبد الرءوف وحسن عزت

وان كانت علاقة السادات قد ساءت بكليهما بعد ذلك فان عبد المنعم عبد الرءوف كما ذكر البغدادى فى مذكراته كان هو الوحيد ضمن أعضاء لجنة القيادة الذى اعترض على ضم أنور السادات الى هذه اللجنة عندما رشحه عبد الناصر فى نهاية ١٩٥١ عقب عودته الى الجيش .

كما ان السادات نعت حسن عزت بأوصاف سيئة فى الصفحة ١١٠ من « البحث عن الذات » فى معرض الحديث عن عملهما المشترك فى أعمال المقاولات عام ٤٩ اذ قال :

« عرفته على حقيقته (يقصد حسن عزت) واشمأزت نفسى منه ومن السوق والعمل به فتركته وفى جيبى ١٢٠ قرشا وكان لى عنده ٣٠٠٠ جنيه من نصيبى من عملية الزقازيق ولكنى لم أطلبها منه » .

خامسا ـ انحصر نشاط السادات السياسى فى بداية الاربعينات فى اجراء بعض المقابلات والاتصالات وكان أهمها ما أجراه مع حسن البنا رئيس الاخوان المسلمين والفريق عزيز المصرى وكان يذكر لهما انه يمثل تشكيلا كبيرا فى الجيش وانه يهدف الى القيام بثورة مسلحة واقامة حكومة عسكرية ولم تكن هذه الاقوال بالطبع الا ضربا من المبالغة والافراط فى الخيال .

سادسا ـ ان العبرة فى اطلاق اسم تنظيم لا تتحقق من مجرد اطلاق هذا الاسم على مجموعة من الافراد وانما العبرة الحقيقية هى نجاح هؤلاء الافراد فى تحقيق الاهداف التى تم تكوين التنظيم من أجلها .

فاذا طبقنا هذا المبدأ على تنظيم السادات فانه يمكننا الجزم بأنه لم يتمكن من تحقيق أى أهداف ذات قيمة وبناء على ذلك تنتفى عنه صفة التنظيم ويصبح فى أحسن الاحوال مجرد تجمع لعدد من الافراد .

● ربط أنور السادات بين تنظيمه وبين حادث هروب عزيز المصرى وزميليه الطيارين الذى سبق لنا ذكره ويتضح ذلك مما أورده فى الصفحات من ١٠٠ الى ١٠٢ « اسرار الثورة المصرية » وفى الصفحتين ٣٨ ، ٣٩ « البحث عن الذات » ـ كما حاول عبد اللطيف البغدادى أن ينسب تدبير هذا الحادث الى تنظيم الطيران كما ورد

فى حديثه لمجلة الشرق الاوسط الصادرة فى ١١ مارس عام ١٩٨٢ ولكن أوراق التحقيق الرسمية فى الحادث ومذكرة النائب العـام وقتئذ عبد الرحمن الطوير بك تثبتان أن هذا العمل تم عن طريق تجنيد عزيز المصرى للطيارين بجهده الخاص دون أن يكونا تابعين لأى تنظيم سرى بالجيش .

● فى ٢٩ يونيو ٤٢ حاول الضـــابط الطيار أحمد سعودى الاتجاه بطائرته الى مرسى مطروح بغرض تزويد القيـــادة الالمانية بالمعلومات والصور الخاصة بالقوات البريطانية فى مصر ولكن الطيـــار المصرى لم يتمكن من الوصول ويبدو ان طائرته أسقطت بواسطة الدفاع الجوى الالمانى ظنا منها انها طائرة بريطانية .

وعلى الرغم من أن تنظيم الطيران صرح بأنه كان وراء هذه المحاولة كما ذكر البغدادى فى صفحتى ٢١ ، ٢٢ من مذكراته كما ان الطيار أحمد سعودى كان واحدا من هذا التنظيم كما وضحنا من قبل ـ الا ان السادات حاول أيضا نسبة هذا العمل الى تنظيمه . وذكر لنا اتفاق التنظيم على ارسال مندوب منه الى روميل فى العلمين لاخطاره بشروط التنظيم للتعاون معه فى مقابل أن تنال مصر اســتقلالها وقال فى الصفحة ٤٣ من « البحث عن الذات » ما يلى :

« كانت هذه هى شروط المعاهدة التى أمليتها وحملها المرحوم الطيار أحمد سعودى على طائرة هرب بها من القاهرة الى العلمين وأنا عندى ٢٢ سنة بعد أن عرضتها على اخوانى وحازت قبولهم ولم يكن عبد الناصر معنا فقد

كان فى السودان كما ذكرت » ولا يمكن أن نتصور بالطبع أن يحمل الطيار سعودى معه الى القائد الالمانى الفيلد مارشال روميل شروط معاهدة يقترح عقدها معه ضابط صغير الرتبة والسن بالجيش المصرى اذ لا يمكن أن يكون القائد الالمانى الذى سمى ثعلب الصحراء ، لفرط دهائه ومهارته بهذه الدرجة من الطيبة والسذاجة .

ومن العجيب أن يذكر السادات اسم عبد الناصر فى هذا المقام رغم انه لم يكن له أدنى علاقة بالموضوع ولكن يبدو انه كان يريد أن يؤكد للقراء فى كلّ موقف حدث فى عام ٤٢ أن عبد الناصر كان وقتئذ فى السودان ولكن حادث أحمد سعودى وقع فى ٢٩ يونيو ١٩٤٢ ولم يكن عبد الناصر فى السودان بل كان يخدم وقتئذ فى الكتيبة الثالثة المشاة فى منشية البكرى وعلى مسافة شديدة القرب من منزل السادات .

من يقود الثورة
فؤاد صادق أم محمد نجيب؟

لم يكن فى امكان جمال عبد الناصر أو فى مدى قدرته بحكم وضعه وسنه ورتبته أن يتولى قيادة حركة عسكرية شاملة يقوم بها الجيش المصرى عام ٥٢ يعلن فيها تمرده على الملك والحكومة ثم لا يلبث أن يسقط هذه الحكومة بعد أقل من ٢٤ ساعة على تأليفها ويرغم الملك على مغادرة البلاد قبل أن تنقضى أربعة أيام على موعد الحركة .

ولم يكن احتلال مقر رئاسة الجيش بكوبرى القبة الذى كان يحرسه بضعة جنود مسلحين بالبنادق أو ضرب الحصار حول المنطقة العسكرية الممتدة من العباسية الى الماظة أو احتلال دار الاذاعة بشارع الشريفين واستوديوهاتها بشارع علوى الذى قامت به قوات الحركة ليلة ٢٣ يوليو ــ لم يكن ذلك كله كفيلا بنجاح الحركة أو كافيا لتهيئة الفرصة أمامها لاتمام السيطرة الفعلية على قوات الجيش بأكملها فان الضباط الاحرار الذين اسهموا فى التنفيذ الفعلى للحركة لم يزد عددهم كما قدره عبد الناصر نفسه على تسعين ضابطا كان ثلثاهم وفقا للاحصاء الفعلى من الضباط الاصاغر من رتبتى النقيب

والملازم وهذه النسبة لا تزيد على ٤ ٪ من مجموع ضباط الجيش الذين كانوا فى الخدمة الفعلية وقتئذ ـ كما ان الوحدات التى اشتركت لم تكن تشكل الا نسبة صغيرة من أسلحة الجيش وتشكيلاته ووحداته المنتشرة فى مختلف المناطق العسكرية .

ولو كانت قوات الحركة قد صادفت فى طريقها مقاومات جدية أو وقع بينها وبين وحدات أخرى من الجيش أى صدام واشتباك مسلح لتغير وجه التاريخ ولتعرضت الحركة للفشل فربما قد انقلب الامر الى حرب أهلية كان الشعب المصرى اول من سيصطلى بنارها هذا بخلاف ما كان متوقعا حينئذ من تدخل الجيش البريطانى فى منطقة قناة السويس .. ذلك التدخل الذى لم يكن سيبقى احتمالا واردا كما كان التقدير قبل الحركة بل كان سيضحى واقعا محتما لتجنى بريطانيا ثمار هذا الانقسام فى صفوف الجيش المصرى كما كان عادتها فى اقتناص الفرص واغتنام الاسلاب .

لقد كانت الخطة تعتمد على نجاح الطليعة التى تحركت من قوات الجيش تحت قيادة الضباط الاحرار لاحتلال الاهداف العسكرية المرسومة بالخطة وهى منطقة المعسكرات بالعباسية والماظة واحتلال الهدف المدنى الوحيد فى قلب العاصمة وهو دار الاذاعة الذى كان سيلقى من واحد من استديوهاتها البيان الاول الموجه من قائد الحركة الى الشعب المصرى اعلانا عن تمرد الجيش على صاحب السلطة الشرعية فى البلاد . وكان الامل فى نجاح الحركة بعد ذلك معلقا على انضمام باقى الجيش

الى تلك الطليعة التى تحركت من صفوفه تعبيرا عن ارادته ليصبح الجيش من هذه اللحظة كتلة واحدة وراء قائد الحركة فى مواجهة سلطة الملك والحكومة .

ان جمال عبد الناصر بفضل قوة شخصيته وصفاته المميزة وحركته الدائبة بين الضباط الاحرار تمكن من اقناع زملائه أعضاء لجنة القيادة التى تتولى قيادة التنظيم السرى بانتخابه رئيسا لهم بالاجماع ولكن العمل السرى يختلف تماما عن العمل العلنى وشخصية عبد الناصر التى كان لها وزنها فى تنظيم يعمل أفراده تحت الارض لم يكن لها ذلك الوزن بالمرة فى المجال العلنى على مستوى الجيش فما هو الا مقدم أركان حرب غير معروف الا فى دائرة محدودة من الضباط بحكم زمالتهم له فى الدفعة أو السلاح وبالجيش مئات ممن يحملون نفس رتبته ومؤهلاته ـ وكان نجاح الحركة فى ساعاتها الاولى ـ وهى أحرج فترة فى مسارها ـ متوقفا على انضمام باقى الضباط على رأس وحداتهم الى صفوف الحركة ولكن كيف يتوقع ذلك لو كان قائدها يحمل اسما غير معروف وميوله وأهدافه غير واضحة وما الذى يدفع هؤلاء الضباط الى المقامرة بمستقبلهم للانضمام الى حركة كان لا يزال نجاحها فى باطن الغيب ليعرضوا أنفسهم لخطر الاعدام فى حالة الفشل كى يتبعوا هذا المقدم الذى لا يتميز بشىء عن أقرانه ويسلموا له طواعية بالزعامة ويبايعوه قائدا للحركة ؟

ثم ان الامر ليس مقصورا على تأييد الجيش فحسب فلا ينبغى اغفال الشعب الذى لابد من كسب تأييده وثقته ليقتنع بأنها حركة شاملة يقوم بها الجيش بأكمله

تحت قيادة قائد له شهرته فى صفوف الجيش وشعبيته بين الجماهير وانها ليست مجرد مغامرة عسكرية يقوم بها بعض الضباط الشبان بدافع من تهورهم واندفاعهم تحقيقا لشهرة يحصلون عليها أو أملا فى مطالب شخصية يحققونها .

هذه هى وجهة النظـــر التى أقنع بها عبد الناصر زملاءه أعضاء لجنة القيادة بضرورة اسناد قيادة الحركة المزمع القيــــام بها الى ضابط كبير الرتبة له شهرته وشعبيته داخل الجيش وخارجه ليتسنى تكتل الجيش والشعب من ورائه بمجرد اذاعة البيان الاول للحركة .

ووافقت اللجنة على رأيه ولم يكن بين كبار ضباط الجيش من تتوفر فيه الشروط المطلوبة سوى ثلاثة أسماء الفريق عزيز المصرى واللواء فؤاد صادق واللواء محمد نجيب .

وبدأت الاتصالات بعزيز المصرى ولكن الرجل آثر أن يظل أبا روحيا للثورة فقط وكان له عذره فقد كان فى الحلقة السابعة من عمره ومضى عليه نحو اثنى عشر عاما خارج الجيش ... وكان التسلسل الطبيعى هو اجراء الاتصال بعد ذلك باللواء فؤاد صادق وهو القــائد الذى عرف بشـــــجاعته وثباته فى ميدان القتال بفلسطين عام ١٩٤٨ حينما كان قائدا عاما للقـــوات المصرية أثناء الحرب وهو القائد الذى استحوذ على محبة الضـــباط واعجابهم فقد فرض هيبته على اليهود فى فلسطين كما فرض احترامه على الرئاسات بالقاهرة وكان يتمتع بشهرة

داخل الجيش وخارجه وبالتالى تتوفر فيه جميع الشروط .

هل عرضت قيادة الحركة على فؤاد صادق حقا ؟

ان كل الروايات التى نشرت عن هذا الموضوع اقتصرت على القول بأن قيادة الحركة عرضت على اللواء فؤاد صادق ولكنه رفض الفكرة أو اعتذر عن قبولها ولم يذكر لنا واحد من هؤلاء الكتاب أية تفصيلات تحدد متى تم هذا العرض وكيف جرى أو يحاول التعليق على هذا الامر رغم اهميته .

والرواية الوحيدة التى ذكرت لنا وقائع محددة عن هذا الموضوع هى التى أوردها أنور السادات فى كتابه « قصة الثورة كاملة » وقد تولت دار الهلال اصدار هذا الكتاب فى طبعتين (العدد ٦٤ عام ١٩٥٦ والعدد ٧٥ عام ١٩٥٧) كما أعادت دار القاموس الحديث فى بيروت طبعه واصداره فى أوائل السبعينات — وسيكون العدد ٧٥ الصادر عام ١٩٥٧ من دار الهلال هو المرجع لنا عند الاشارة الى الصفحات .

فى هذا الكتاب يروى لنا السادات فى الصفحات من ٦٨ الى ٧٠ قصة اتصال تنظيم الضباط الاحرار باللواء فؤاد صادق لمعرفة نواياه واكتشاف حقيقته .

واختير لهذه المهمة الرائد صلاح سالم احد أعضاء لجنة القيادة الذى توجه لمقابلة الرجل فى بيته . ولم يحدد لنا السادات موعد تلك المقابلة رغم ما فى ذلك

الامر من اهمية بالفة ولكنه ذكر لنا بعض المعلومات التى امكن عن طريقها تحديد موعد المقابلة تحديدا قاطعا .

لقد جرت المقابلة كما ذكر عقب تقديم الفريق عثمان المهدى استقالته من منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش كما روى لنا انه بعد هذه المقابلة تم تعيين اللواء حسين فريد فى ذلك المنصب وخلال المقابلة كان اللواء فؤاد صادق لا يزال ضابطا بالجيش ... من هذه المعلومات يمكن ان نجزم بأن المقابلة قد تمت خلال شهر نوفمبر ١٩٥٠ ففى هذا الشهر قدم الفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة استقالته من منصبه تنفيذا لطلب النائب العام محمد عزمى من السلطات استبعاده من ذلك المنصب حتى لا يؤثر على مجرى التحقيق فى قضية الاسلحة الفاسدة وفى نفس الوقت أحيل الفريق عثمان المهدى الى الاستيداع لنفس السبب .

ووصف لنا السادات فى كتابه بالتفصيل قصة المقابلة ـ التى استطعنا تحديد تاريخهـا ـ على لسان الرائد صلاح سالم لانه لم يكن حاضرا ولذلك فان مسئولية الوقائع التى وردت فيها تقع على عاتق صلاح سالم وحده خاصة وان الكتاب سبق نشره عام ٥٦ وأطلع عليه صلاح سالم بالطبع قبل وفاته . والآن لنقرأ ماذا قال السادات:

« ذهب صلاح اليه فى بيته وقال له ان الراى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة اركان حرب الجيش وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير وظل صلاح يحدثه عن هذا الرأى

العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعين رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش .

وأثناء الحديث دق جرس التليفون ررفع فؤاد صادق السماعة وكان المتكلم هو النقيب مصطفى كمال صدقى وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح .

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى ثم قال وهو لا يزال يمسك بسماعة التليفون : « بتقول ايه يا مصطفى ؟ زعق شوية » وأشار فؤاد صادق لصلاح سالم أن يقترب منه واقترب صلاح وقرب اذنه من التليفون كما طلب منه اللواء فؤاد صادق وسمع صلاح النقيب مصطفى صدقى يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى ثم وضع فؤاد صادق سماعة التليفون .

فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق فالرجل شعر بعد أن بلغه مصطفى صدقى بأمر تعيينه أن الرأى العام للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه .

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة فبعد أن كان قد أبدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم انقلب فجأة ـ وبلا مقدمات ـ بعد ان عرف ان هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل في تعيينه فقد عين والحمد لله .. ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه

عندما قال لصلاح بعـد مكالمة مصطفى بالحرف الواحد . اذا كنت بقيت رئيس أركان حرب الجيش فده بمجهودى انا ... وبدراعى أنا وسأعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك اللى بقوله ده .. لانى سأنفذ القانون وأنصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أحسن » .

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق المرشح الثانى لقيادة الحـــركة وكانت مفاجأة للجميع كما ذكر السادات . أما لماذا لم يعين فؤاد صادق رئيســا لهيئة اركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الاخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية لعب فيها تشكيل الضباط الاحرار ـ كما كتب السادات ـ دورا حاسما .. والفقرة الاخيرة تستحق منا وقفة للتأمل قبل أن نبحث فى تفاصيل المقابلة نفسها ـ فالمدهش ان يتمكن تشكيل الضباط الاحرار خلال ساعات الليل من استبدال اسم فؤاد صادق فى المرسوم الملكى ليصبح اسم حسين فريد قبل أن يوقعه الملك فى الصباح . والاكثر منه عجبا ان تجرى هـذه العملية داخل السراى وكأن الحكومة لا دخل لها بالموضوع مع ان الوضع الطبيعى ان الحكومة هى التى كانت تعد المراسم الملكية المتضمنة الاسماء التى يتقرر تعيينها فى المناصب الكبيرة بعـد الحصول على موافقـة الملك وكان اعداد هـذه المراسم من اختصاص الادارة العـــربية برئاسة مجلس الوزراء وكـان دور الملك مقصـــورا على تذييل هـذه المراسم بتوقيعه . ولم تكن حكومة الوفد التى كانت بالحـــكم وقتئـذ

يمكنها أن تتغاضى عن رفع أحد الاسماء من مرسوم أعدته بعد الاتفاق مع الملك لتفاجأ باسم آخر يوضع فى اللحظة الاخيرة في مثل ذلك المنصب الخطير .
ولم يكن معقولا من جهة أخرى أن تقترح حكومة الوفد او توافق من الاصل على تعيين فؤاد صادق لهذا المنصب الذى ذكر السادات ان مرسوم تعيينه كان موجودا فى السراى منتظرا توقيع الملك فى الصباح فقد كان الود مفقودا بين فؤاد صادق وحكومة الوفد بعد أن صرح برأيه في معارضة مبدأ الدفاع المشترك الذى كان محور المفاوضات بين حكومة النحاس والانجليز مما جعل الحكومة تعتبر ذلك منه موقفا عدائيا ضدها وكادت تقدم على احالته المعاش لولا تدخل النائب العام محمد عزمى الذى افهم المسئولين ان ذلك سوف يضر بالتحقيق فى قضية الاسلحة الفاسدة ضررا بالغا لان فؤاد صادق هو الشاهد الاساسى فى هذه القضية ويخشى اذا هو احيل الى المعاش أن يفهم باقى الشهود ان هذا عقاب على شهادته . وحدث ما كان متوقعا من الحكومة ازاء فؤاد صادق فما كاد الامر يصدر بتعيين اللواء حسين فريد فى نوفمبر ١٩٥٠ حتى رد اللواء فؤاد صادق على ذلك بتقديمه طلبا باحالته على الاستيداع املا فى تغيير الاوضاع فى المستقبل اذا ما تغيرت وزارة الوفد التى كانت تقف فى طريق تعيينه فانتهزت الحكومة الفرصة وقررت احالته على المعاش .

هذه الحقيقة التى أوردناها والتى تثبت ان حكومة الوفد لا يمكن أن تكون قد تقدمت الى السراى بمرسوم

تعيين فؤاد صادق رئيسا لاركان حرب الجيش تهدم قصة صلاح سالم من أساسها وتسقط بالتالى كل ما نسج من حولها وكل ما ترتب عليها وكان يكفينى هذا لاثبات عدم صحة هذه الرواية الا أن الامانة التاريخية تقتضى منى مناقشة الوقائع التى نقلت على لسان صلاح سالم عما جرى خلال هذه المقابلة لان لذلك اهمية كبيرة فالامر يتعلق بسمعة قائد مصرى شجاع قاد القوات المصرية أثناء الحرب بحكمة ومهارة ونجح فى اكتساب ثقة ومحبة ضباطه وجنوده . وقد كان المنتظر اولا قيامنا بهذا البحث الدقيق ان تنقل القصة التى نشرها السادات فى كتابه « قصة الثورة كاملة » بحذافيرها للأجيال القادمة وتسجل فى التاريخ كما هى اذ أن المؤرخين فى المستقبل لم يعاصروا هذه الاحداث بالطبع ولم تتح لهم الفرصة لمعرفة حقيقة الشخصيات التى سيكتبون عنها وكان فى ذلك ظلم فادح يحيق باللواء فؤاد صادق وتاريخه ويظهره بصورة تدل على النفاق والانتهازية والرجل منهما براء .

ان الاسلوب الذى رويت به تصرفات فؤاد صادق فى المقابلة يهبط بمستوى عقلية فؤاد صادق وتفكيره الى الدرك الأسفل فكيف يتصور من رجل عرفت عنه الفطنة والدهاء وكان بالطبع خير من يعرف أسلوب الحكم فى مصر وطريقة تولى المناصب الرئيسية .. كيف يتصور أن تصل به السذاجة الى الحد الذى جعله يصدق على الفور ما انبأه به صلاح سالم من أن الرأى العام فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس أركان حرب الجيش وان الضباط يمكنهم مساعدته فانهم قوة ولهم نفوذ كبير ـ

ويصل به فرط الاقتناع بكلامه الى الحد الذى جعله يؤمن بأنه سيعين لا محالة فى هذا المنصب ويبدى استعداده ــ كرد للجميل ــ لتحقيق كل رغبات الضباط وحمــــــابة مصالحهم والوقوف الى جانبهم .

ألم يحاول فؤاد صادق أن يسأل زائره عن أى رأى عام يتحدث ومن هم هؤلاء الضباط ذوى القوة والنفوذ ؟ ومنــذ متى يتم التعيين لمثل هــذه المنـاصب بترشيح الضباط واختيارهم ؟ هل ينطلى مثل هذا الـكلام على فؤاد صـــــادق الداهية الاريب الذى عركته الحـرب والتجارب ؟

ولم يـكن الجو مناسبا لتنظيم الضــباط الاحرار فى هذه الفترة لاجراء مثل هذا الاتصال فلم يكن قد مر على تكوين التنظيم سوى عام واحد فقط ولم يكن قد استطاع الوقوف على أقدامه بعــد ، أو أحس به ضباط الجيش واذا كان موعد الحركة قد تحدد ليكون عام١٩٥٥كماسبق ان أوضحنا فلماذا هذه العجلة فى البحث عن قائدللحركةالتى يزمع القيام بها بعد خمس سنوات ومن ذا الذى كان يضمن عمره حتى يحين الموعد أو يضمن ماسوف تكون عليه الاوضاع عند حلول ذلك الميعاد . ولم يكن صلاح سالم نفسه فى وضع يسمح له بالحديث مع فؤاد صادق بهذه الطريقة فعلى فرض انه كانت له أهمية ما فى عهد الفريق حيدر بحكم سعيه الدائب للتقرب منه واظهار اخلاصه له ، فان هذه الاهمية قد زالت فى الوقت الذى جرت فيه هذه المقابلة اذ أن الفريق حيدر قد تنحى عن منصبه . . . وبهذه المناسـبة وما دام منصب القائد العام للقوات المسلحة قـد

أضحى شاغرا هو الآخر فلماذا لم يفكر صلاح سالم فى أن يكون ترشيح الرأى العام بالجيش لفؤاد صادق ليتولى منصب القائد العام بدلا من منصب رئيس أركان حرب الجيش ما دام قد اعتبر نفسه ممثلا للضباط ومتحدثا باسم الرأى العام فى الجيش .. وكان صلاح سالم يعلم بلا شك ان الرجل كان أحق الناس وأجدرهم بشغل هذا المنصب.

ننتقل بعد ذلك الى قصة التليفون الذى تصادف ان علا رنينه فى نفس اللحظة التى اقتنع وآمن فؤاد صادق فيها بأن الضباط سيعينونه رئيسا للأركان ونطالع فى عجب محادثة مصطفى كمال صدقى التليفونية التى بشر فيها فؤاد صادق بأن مرسوم تعيينه سيوقعه مولانا فى الصباح . ان هذه المحادثة أشبه بما يجرى فى الافلام السينمائية فالمصادفة عجيبة ولكن الاغرب منها هو ذلك التصرف الصبيانى الذى ادعى صلاح سالم ان فؤاد صادق قد سلكه ليسمع صلاح بنفسه البشرى التى زفها له مصطفى وكل من عرف فؤاد صادق لابد أن يستنكر نسبة هذا التصرف الصغير اليه فقد كان اهم ما يميزه الاتزان والوقار .

وعلاوة على ذلك فقد كان من المستحيل ان يصدق فؤاد صادق اى نبأ ينقله له مصطفى صدقى عن أمور تجرى فى السراى فقد كان يعلم جيدا مدى تدهور العلاقة بين مصطفى والسراى وقتئذ للأسباب التى سنبنها فيما يلى والتى كان الكثيرون من المطلعين على بواطن الامور يعلمونها عن يقين .

علاقة مصطفى كمال صدقى بالحرس الحديدى

كان النقيب مصطفى كمال صدقى ضابطا بسلاح الفرسان واشتهر بالشجاعة والتهور الحاد وقد ألقى القبض عليه مع مجموعة من الضباط فى يوليو ١٩٤٧ فى القضية التى عرفت بقضية الاتفاق الجنائى لضباط الجيش والتى اتهم فيها هو ومجموعة من زملائه على رأسهم المقدم رشاد مهنا بالتآمر على قلب نظام الحكم وقد تم للسلطات القبض على هذه المجموعة التى كانت تتكون من خمسة عشر ضابطا وثلاثة من الصولات .

وعقب الافراج عن هذه المجموعة بعد احالة الفريق ابراهيم عطا الله رئيس هيئة أركان حرب الجيش الى المعاش نجح الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص لفاروق فى تجنيد مصطفى كمال صدقى فى الجهاز السرى الذى كونه للقيام باغتيال أعداء الملك والذى عرف باسم الحرس الحديدى . واشترك مصطفى صدقى فى عمليات الحرس الحديدى الارهابية والتى بدأت بمحاولة اغتيال مصطفى النحاس زعيم الوفد يوم ٥ ابريل عام ١٩٤٨ الذى هاجمته مجموعة من اعضاء هذا الحرس بعربة من عربات القصر الملكى أحضرها النقيب عبد الله صادق ضابط المطافىء بالقصر وكان يقودها النقيب حسن فهمى عبد المجيد واشترك فى المحاولة عبد الرءوف نور الدين وسيد جاد ويوسف حبيب وانهال الرصاص من رشاشاتهم على ظهر مصطفى النحاس والذى كان واقفا على بعد مترين منهم فقط ولكن العناية

الالهيــــــة انقـــــذته من الموت . ولم يــكف الملك عن تصميمه على قتل النحاس فأرسل مجموعة أخرى من الحرس الحديدى كانت مكونة من مصطفى كمال صدقى وعبد الرءوف نور الدين حيث قاما بتفجير سيارة معبأة بالديناميت فى الشارع الملاصق لبيته وتحت نافذة غرفة نومه وقد نجا النحاس من هذه المحاولة الجهنمية المدبرة لقتله بما يشبه المعجزة .

الا أن الشقاق لم يلبث ان دب بين الملك ومصطفى صدقى بسبب العلاقة التى نشأت بينه وبين السيدة ناهد شوقى بكير أو ناهد رشاد زوجة الدكتور يوسف والتى كان الملك على صلة بها ايضا فى نفس الوقت . وقد ثارت غيرة الملك عندما تبين له من مسلك ناهد رشاد معه واعتذارها عن حضور الحفلات التى كانت تدعى اليها باعتبـــارها وصيفة بالسراى ان ذلك يرجع الى علاقتها بالنقيب مصطفى كمال صدقى وقد كشفت المراقبة التى وضعها الملك على ناهد ومصطفى أنهما كانا يلتقيان فى منزلها ومنزله مرات عديدة مما أحس الملك معه بطعنة فى كبريائه واصدر أمره للدكتور يوسف رشاد بطرد مصطفى صدقى من الحرس الحديدى .

وبدأت حرب شعواء بين الطـــرفين شن على أثرها مصطفى صدقى هجوما عنيفا سافرا على الفريق محمد حيدر بدأ عام ١٩٥٠ بمناسبة قضية الاسلحة الفاسدة على صفحات مجلة روز اليوسف وانتقـد فيهـا كذلك الاوضاع القائمة فى الجيش وقدم الى المحاكمة بمجلس عسكرى وانتهى الحكم عليه بالتكدير (وهو جزاء يوقع

على الضباط) واعترض مصطفى عام ١٩٥١ على تفكير بعض وحدات الجيش فى تقديم هدايا للملك بمناسبة زواجه على أساس أن أبناء الشهداء أحق بهذا المال وبعد عودة الملك من شهر العسل فى سبتمبر ٥١ نشر مصطفى فى جريدة الاشتراكية مقالا عن الثورة العرابية .

وقد صدرت الاوامر بنقل مصطفى الى سلاح الحدود وابعاده خارج القاهرة بايعاز من الملك حتى لا يعاود علاقته بناهد رشاد فتم نقله الى العريش والواحات البحرية وتم اعتقاله يوم ٧ يناير ٥٢ متهما بالشروع فى قتل اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود تلك المحاولة التى اتضح فيما بعد أن مرتكبها هو جمال عبد الناصر بالاشتراك مع حسن التهامى وحسن ابراهيم وكمال رفعت .

متى رشح فؤاد صادق فعلا ؟

نعود مرة أخرى الى قصة اللواء فؤاد صادق لاستئناف البحث الذى بدأناه عن حقيقة قصة تعيينه رئيسا لأركان حرب الجيش . لقد رشح اللواء فؤاد صادق ليتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش بالفعل ولكن قبل التاريخ الذى حدده انور السادات فى كتابه بعام كامل وقد روى لى القصة الحقيقية السياسى الوطنى المخضرم الاستاذ مصطفى مرعى وكان وزيرا فى وزارة ابراهيم عبد الهادى عام ١٩٤٩ .

عقب توقيع الهدنة مع اسرائيل فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٩ وعودة الجيش المصرى من فلسطين وكان فؤاد صادق قد نال فى نهاية الحرب شهرة مدوية فى الوقت الذى ظهر فيه عثمان المهدى الذى كان يتولى رئاسة الاركان بالنيابة بمظهر العجز والتخاذل خلال سير العمليات الحربية بفلسطين فكرت حكومة ابراهيم عبد الهادى فى ترشيح فؤاد صادق ليتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش وأمكنها الحصول على موافقة الملك وهنأ رئيس الوزراء بنفسه فؤاد صادق بالمنصب الذى تقرر أن يتولاه وأعدت الحكومة المرسوم الملكى بالتعيين وأرسلته الى السراى ليوقعه الملك .. ولكن القدر تدخل فى اللحظة الاخيرة فقد حدث أثناء وجود المرسوم بالقصر تحت التوقيع أن وقع انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا وتدخل الوشاة والحاسدون وعلى رأسهم الفريق محمد حيدر وزير الحربية والذى كان يخشى من تضخم قوة ونفوذ فؤاد صادق الى هذا الحد كى يمنعوا صدور المرسوم الملكى بعد ادخال الروع فى قلب الملك بأن فؤاد صادق لن يلبث حتى يحذو حذو حسنى الزعيم وعدل الملك عن توقيع المرسوم وكادت تحدث أزمة وزارية بسبب ذلك الموقف فقد أصرت الحكومة على قرارها وأصر الملك على الرفض وانتهت الازمة برضوخ الوزارة لضغط الملك وصدر مرسوم آخر بتعيين عثمان المهدى فى يوليو عام ٤٩ رئيسا لاركان حرب الجيش ــ وحاول ابراهيم عبد الهادى ترضية فؤاد صادق بأن عرض عليه منصبا مدنيا كبيرا ولكن الرجل رفض فى اباء وشمم .

بقى السؤال الذى لم تتم الاجابة عليه بعد وهو هل

عرضت قيادة الحركة على فؤاد صادق حقا ؟ أن قناعتى الشخصية ان ذلك الامر لم يحدث على الاطلاق فان شخصية فؤاد صادق لم تكن الشخصية التى يسعى عبد الناصر وراءها للاتيان بها على راس حركة الجيش واعتقد ان هذا لم يكن رأيه وحده بل كان يشاركه فيه بعض زملائه من أعضاء لجنة القيادة ومنهم عبد الحكيم عامر . ان اسم فؤاد صادق لم يكن فى الامكان استبعاده عند عرض أسماء القادة المرشحين لقيادة الحركة فقد كان اسما لامعا تتوفر فيه كل المؤهلات المطلوبة ولا جدال فى ان بعض أعضاء لجنة القيادة كانوا يؤمنون بأنه أصلح الاسماء وأصلبها عودا لتولى قيادة الحركة والوقوف فى وجه الملك ولكن عبد الناصر ـ رغم اقتناعه بهذه الحقيقة ـ لم يكن يرحب باشتراك فؤاد صادق فى هذا الامر لاسباب لا تتعلق بكفاءته بقدر ما تتعلق بقوة شخصيته فان الموجب والموجب يتنافران ولا ينجذبان لبعضهما البعض ؛ ان القصة التى روها السادات فى كتابه على لسان صلاح سالم تبين لنا بالبحث انها أو هى من خيوط العنكبوت ولا يستبعد أن تكون من تأليف صلاح سالم لصرف أنظار لجنة القيادة نهائيا عن التفكير فى ترشيح فؤاد صادق لقيادة الحركة . ان القائد الصارم الشديد المراس الذى يشبه الجواد المشاكس والذى يصعب قيادته أو توجيهه لا يمكن أن يكون هو الرجل الذى يبغيه عبد الناصر ليتولى قيادة حركة الجيش والذى يريد منه أن يقتنع بأن يكون هو الاسم الظاهر أمام الملأ بينما تبقى جميع الخيوط فى يده ـ وبالقطع لم يكن هذا الرجل هو اللواء فؤاد صادق .

محمد نجيب .. هل كان قائدا للحركة أم كان خيـــال المآتة ؟

كانت كل الشروط والمواصفات المطلوبة متوفرة فى اللواء محمد نجيب ، فقد كانت له سمعة طيبة بين ضباط الجيش اذ اشتهر بالشجاعة فى حرب فلسطين وجرح ثلاث مرات وطلب له اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية بفلسطين عام ٤٨ ترقية استثنائية ولـكن الفريق محمد حيدر عارض فى ذلك ولكنه منح نجمة فؤاد الذهبية مرتين تقديرا لشجاعته ــ وكانت واقعة اخراجه من منصب مدير سلاح الحدود ليتم تعيين اللواء حسن سرى عامر رجل السراى مكانه ، سببا فى ذيوع شهرته فقد اجتذبت هذه الواقعة أنظار الضباط اليه وشعروا بتعاطفهم معه وكاد محمد نجيب يقدم استقالته بل وكتبها فعلا ولكن بعض الضباط الذين كان يثق بهم أقنعوه ان هذا الموقف يضيف رصيدا للملك فعدل عن الاستقالة وقبل أن يكون مديرا لسلاح المشاة بعد مقابلة تمت بينه وبين الفريق حيدر فى مكتبه ورفض منصبا شرفيا عرضه عليه حيدر وهو وكيل وزارة لشئون الحدود واختار سلاح المشاة نظرا للعدد الكبير الذى تضمه من الضباط ولانتشارها فى مختلف المناطق وكان ذلك فى منتصف عام ١٩٥١ .

ولم يلبث محمد نجيب ان امتدت شهرته الى النطاق الشعبى فى أواخر عام ١٩٥١ حينما اشتعلت معـــركة انتخابات نادى الضباط اذ أن الرأى العام داخل الجيش

وخارجه كان يتتبع انباءها باهتمام شديد فقد أحس الجميع انها بمثابة صراع سافر بين الضباط الوطنيين وبين عملاء السراى من قادة الجيش وعلى راسهم حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود وقتئذ .

وكان ترشيح محمد نجيب نفسه لرئاسة مجلس الادارة قد تم بالاتفاق بينه وبين تنظيم الضباط الاحرار الذى خاض المعركة كوسيلة لاختبار مدى قوته وتأثيره على الرأى العام بين الضباط وكانت هذه خطوة شجاعة من محمد نجيب بلا شك وقد وضح خالد محيى الدين هذه الحقيقة فى حديثه الذى نشر فى صحيفة الاهالى فى ٢٦ يوليو ٧٨ حين قال : « وعندما قررنا دخول معركة الانتخابات لنادى الضباط تطوع محمد نجيب ليرشح نفسه وليكون الواجهة التى تتحرك جماعتنا فى أطارها وليتحمل المسئولية تجاه السلطة عن هذه المعركة وعن نتائجها وكانت هذه خطوة شجاعة أكسبت نجيب احترامنا وثقتنا » .

واستغل التنظيم اسم محمد نجيب احسن استغلال فوضع اسمه على رأس قائمة مرشحى الضباط الاحرار تلك القائمة التى تولى حسن ابراهيم طبعها على الرونيو بأعداد ضخمة داخل السلاح الجوى بمعاونة بعض ضباط الصف ـ وتم توزيعها فجأة على أعضاء الجمعية العمومية لنادى الضباط فى الاجتماع الذى عقد يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥١ بقاعة السينما بالعباسية (بجوار بوابة المعسكر التى كانت تواجه كلية الشرطة وقتئذ) . وكانت الجمعية العمومية التى تمثل جميع ضباط الجيش قد

دعيت للانعقاد لمناقشة التعـديلات المقترحة فى قانون النادى . ولم يكن عدد الضباط الاحرار المنتمين للتنظيم والذين حضروا اجتماع الجمعية العمومية يتجاوز بأية حال نسبة ١٠ ٪ من مجموع الضباط الحاضرين الذين بلغ عددهم وقتئذ ٤٥٥ ضـابطا . ولم يـكن فى امكان الضـباط الاحرار بعددهم القليل السيطرة على جـو الاجتماع ولـكنهم استطاعوا بفضل تكتلهم توجيه الرأى العام فى القـاعة الى الوجهة التى رسموها من قبـل وساعدهم على ذلك وجود المقدم رشاد مهنا الـذى كان مرشحا عن سلاح المدفعية والذى كان حاضرا الاجتماع .

وكانت المناقشات قد احتدمت فى القاعة بعد اصرار أعضاء الجمعية العمومية على عدم تمثيل سلاح الحدود بمندوب فى مجلس الادارة اسوة بباقى الاسلحة ممـا دعا الضباط الذين يمثلون الحـدود فى الاجتماع الى الانسحاب من القاعة احتجاجا على ذلك .. واشـتدت الجلبة بصورة مزعجة وعلت الاصوات عنـدما استأنف الضباط مناقشة باقى المواد المطلوب تعديلها وفشلت اللجنة المنوط بها ادارة الجلسة فى السيطرة على الموقف وكانت برئاسة العميد جلال صبرى وسكرتارية العقيد عبد الله رفعت الى حد كاد معه يفشل الاجتماع وتضيع فرصة الضباط الاحرار فى انتخاب مرشحيهم .. وهنا صعد المقدم رشاد مهنا الى المنصة الرئيسية وتحدث فى الميكروفون الى الضباط متجاهلا اللجنة التى لم تلبث بعد قليل ان سلمت له زمام ادارة الجلسة ـ وهى مرغمة ـ وكان لشخصية رشاد مهنا تأثير سـاحر على الضباط

ولعبت لباقته وحسن تصرفه دورا فعالا فى اعادة الهدوء الى القاعة حتى انتهت مناقشة باقى التعديلات بسلام فنزل رشاد مهنا من المنصة ورفعت الجلسة لاستراحة قصيرة ثم لم تلبث ان عادت للانعقاد لاجراء عملية الانتخاب لمجلس الادارة التى كانت محور اهتمام الجميع وموضع تركيز الجهود .

هذا ولم يترك التيار الوطنى الجارف الذى ساد جو قاعة الجلسة مجالا للفصل بين الضباط المنتمين لتنظيم الاحرار وبين باقى الضباط الحاضرين الذين كانوا يشاركونهم نفس اتجاههم الوطنى فالتقى الجميع على قائمة الضباط الاحرار التى كان يتصدرها اسم محمد نجيب والتى اعتبرت الاسماء التى تضمها هم مرشحو العناصر الوطنية بالجيش .. ولم يكن أحد من الضباط الاحرار الذين حضروا الاجتماع ـ فيما عدا افراد قلائل ـ يتصور ان رشاد مهنا غير منتم للتنظيم بل كان الجميع يعتقدون انه أحد أقطابه المعدودين وكان ذلك الاعتقاد بالاضافة الى طبيعة الدور الهام الذى لعبه خلال الاجتماع سببا فى فوزه بعضوية مجلس ادارة النادى عن سلاح المدفعية بأكبر نسبة من أصوات الضباط الناخبين اذ زادت هذه الاصوات على تلك التى حازها اللواء محمد نجيب نفسه ـ رغم شعبيته المعروفة ـ بخمسة وخمسين صوتا ، ولكن محمد نجيب بدوره فاز برئاسة مجلس الادارة بجدارة تامة فان المرشحين الثلاثة الذين كانوا ينافسونه على الرئاسة لم يحصلوا مجتمعين الا على حوالى ١٥ ٪ من الاصوات التى حازها محمد

نجيب . وفازت قائمة الضباط الاحرار فوزا ساحقا لفت اليه انظـــار الجميع وأصبح مجلس الادارة يضم خمسة من الضباط الاحرار هم المقدم زكريا محيى الدين والمقدم حمدى عبيد والرائد جمال حماد وقائد الاسراب حسن ابراهيم والنقيب أمين شاكر .

كما ضم المجلس مجوعة من الضباط الوطنيين كان من أبرزهم المقدم ابراهيم حافظ عاطف عن سلاح المدفعية والمقدم المتقاعد جلال ندا عن المحاربين القدماء .

ومما يستلفت النظـــــر ان يكون من ضمن الذين سقطوا سقوطا فاحشا فى الانتخابات قائد الجناح جمال سالم من السلاح الجوى (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد) وقـد حصل على ٥٢ صوتا والمقدم محمد فوزى من سلاح المدفعية (وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة فيما بعد) وقد حصل على ٣٧ صوتا وهى نتيجة تدل على مدى ضعف شعبيتهما وقتئذ بين ضباط الجيش .

وكانت معركة انتخابات النادى ونتائجهـــا الباهرة فرصة هيأها القدر لاعداد محمد نجيب للدور الذى قدر له القيام به بعد أقل من سبعة أشهر من وقوعها فقد استأثرت باهتمام دوائر الجيش وطوائف الشعب لما احاط جو الانتخابات من عوامل التحدى والاثارة واهتمت الصحف اليومية بابراز نتائجها فى اعـدادها الصادرة صبيحة ليلة الانتخابات أى فى أول يناير ٥٢ كما نشرت

نبا فوز اللواء محمد نجيب برئاسة مجلس الادارة بعناوين بارزة .

وهكذا توفرت فى محمد نجيب فى أوائل عام ٥٢ افضل الصفات التى تؤهله لقيادة حركة عسكرية ناجحة يقوم بها الجيش فقد أصبح ـ بالاضافة الى ما يتمتع به من سمعة وشهرة ـ حائزا على ثقة الضباط مما يضمن معه سرعة انضمام باقى الجيش الى القوات التى ستقوم بالحركة بمجرد الاعلان عن قيامها تحت قيادته .

وقد عبر عن ذلك خالد محيى الدين فقال : « عندما بدأنا الاعداد للتحرك ضد النظام كان أول ما يشغلنا نحن الضباط الشباب ضرورة اختيار شخصية كبيرة السن ذات احترام تقدمها للأمة وبشكل طبيعى اتجهت أفكارنا نحو محمد نجيب فان شجاعته أكسبته احترامنا وثقتنا » .

كما عبر البغدادى عن ذلك أيضا فى الصفحة ٥٥ من مذكراته فقال : « كان الرأى بيننا قد اتفق على ضرورة اختيارنا لاحد الضباط من ذوى الرتب العالية ومن ذوى السمعة الحسنة فى الجيش ومن المعروفين لدى المدنيين من الشعب للاشتراك معنا فى القيام بالانقلاب وتولى قيادته لاننا جميعا أعضاء اللجنة التأسيسية من ذوى الرتب العسكرية الصغيرة والرأى العام ربما لا يقتنع بنا عندما يعلن عن الانقلاب وأسماء قادته ونحن سنكون فى أشد الحاجة الى ثقة واطمئنان الشعب خاصة فى المراحل الاولى من الانقلاب ، ومحمد نجيب كان قد عرف للرأى العام أثناء المعركة الانتخابية لمجلس ادارة نادى الضباط

وكان معروفا ايضا لدى ضباط الجيش من انه قد قاتل بشجاعة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وجرح مرتين » .

وعلاوة على هذه الميزات المرموقة فى محمد نجيب كانت له صفات شخصية أخرى هى التى رجحت كفته على كفة اللواء فؤاد صادق عند الموازنة بينهما لاختيار قائد الحـركة وهى نفسها التى صـــادفت هوى فى نفس عبد الناصر وشجعته على اختياره دون سواه .. وكانت هذه الصفات هى مفتاح شخصية محمد نجيب وابرزها طيبة القلب وسلامة النية وصفاء الطوية وسرعة الثقـة بالغير وتصديقه مع امعان فى التواضع بلا تكلف وعزوف طبيعى عن استخدام اساليب المكر والدهاء .. وهـذه الصفات التى اكسبت شخصية محمـد نجيب بساطة طبيعية وجاذبية لا تقاوم كانت هى سر قوة ذلك الرجل وفى نفس الوقت كانت هى سر ضعفه .

وكان عبد الناصر يتوق الى قائد من هذا الطراز المرن فى معاملاته والناجح فى اجتذاب الناس ليضمن سرعة استجابة الجيش والشعب للحركة مع التأكد فى الوقت نفسه انه سوف يسهل عليه توجيهه والسيطرة عليه فى المستقبل لتبقى جميع خيوط السلطة فى قبضته .. وكان أخوف ما يخافه أن ترغمه الظروف على قبول قائد من طراز فؤاد صادق اذ كان يخشى أن يستأثر وحده بالقوة والسلطان بعد نجـاح الحركة ولا يستبعد أن يطيح فى غمرة فوزه ونشوة انتصاره بضباط لجنة القيادة الذين اختاروه وآزروه فتطحنهم الثورة فيمن تطحنه كما هى

عادة الثورات فى أكل أبنائها وليست عبر التاريخ عنا ببعيدة .

هذا وقد تعددت الاقوال واختلفت الروايات فى حقيقة الدور الذى لعبه محمد نجيب بالنسبة لحركة الجيش الى الحد الذى ضاعت فيه الحقيقة . وعلى ذلك فان مسئوليتنا ـ نحن المعاصرين ـ فى كتابة التاريخ تفرض علينا أن نؤديه كاملا ونروى الحقيقـة دون أى تحيز أو تحريف .. ان موقف الكتاب ووسائل الاعلام فى مصر من محمد نجيب فى عامى ٥٢ و ٥٣ عند بداية الحركة ثم موقفهم منه بعد تنحيته من منصبه فى ١٤ نوفمبر ٥٤ هو مثال واضح على مدى ما يسهم به الكثيرون بفضل الرغبة فى نفاق الحـكام وتغليب الاهواء الشـخصية فى تشويه التاريخ وخداع الاجيال القادمة .

لقد حظى محمد نجيب فى بداية حركة الجيش بما لم يحظ به أحد من قبله من تركيز واهتمام وسائل الاعلام فى مصر وخارجهـا ونسبت اليه من المناقب الجليلة والخصـال المثالية وأضفيت عليـه من هالات البطـولة وصفات العظمة ما لم تشهده مصر من قبل الى الحـد الذى جعله يتحول فى نظر الشعب المصرى الى شخصية أسطورية وجعل الجماهير لا تتمالك نفسها كلما رأته من التصفيق الشديد له والهتاف المدوى باسمه والتـكالب فى شبه جنون على سيارته وافتتن رجال الثورة أنفسهم بالزعيم القائد الذى صنعوه فسايروا الشعب فى حبه والاعجاب ببطولته الى الحد الذى جعلهم يخـاطرون بحياتهم ويحيطونه بأجسادهم فـوق رفـارف سيارته ليصدوا عنه طوفان الشعب الجارف كى تتمكن سيارته

من شق طريقها بين مئات الالوف المحتشدة من جماهير الشعب فى حله وترحاله . وكانت خطبهم وأحاديثهم كلها تمجيدا لعظمته والاشادة بروعة قيادته الى الحد الذى جعل أحدهم وهو أنور السادات يضع اسم محمد نجيب على رأس أعظم عشرة رجال فى العالم فى استفتاء أجرته مجلة المصور فى العدد ٤٩١ الصادر فى ٨ مايو ٥٣ أى أن محمد نجيب كان فى نظر السادات وقتئذ هو أعظم رجل فى العالم .

ولم يتخلف عبد الناصر نفسه عن اعلان تأييده واظهار اعجابه ففى أثناء زيارة لمحمد نجيب لقرية بنى مر وقف عبد الناصر وسط أبنـــاء قريته وبين مئات من أهله وعشيرته يعلن ايمانه بمحمد نجيب قائلا :

« باسم أبناء هذا الاقليم أرحب بك من كل قلبى وأعلن باسم الفلاحين اننا آمنـــا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحا لمصر ونذيرا لاعدائها .

سيدى القائد .. باسم الفلاحين أقول سر ونحن معك جنودك فقد حفظنا أول درس لقنتنا اياه وهو ان تحرير مصر وخروج قوات الاحتلال عن بلادنا واجب حيـوى وأصبحت أملا فى أن تحقق مصر حريتها على يديك .. ان مصر كلها تناصرك للقضاء على قوات الاحتلال » .

ولكن مطلع عام ٥٤ شهد حالا غير ذلك الحال ورأى صورا غير تلك الصور فقد اشتعل الصراع بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة وعلى راسه عبـد الناصر ذلك الصراع الذى بلغ ذروته فى مارس ٥٤ واخيرا اختتمت الرواية فصولهـا فى ١٤ نوفمبر ٥٤ بتنحية

محمد نجيب عن منصب رئيس الجمهورية ووضعه رهين الاعتقال فى استراحة ريفية نائية بضاحية المرج شمال القاهرة حيث بقى بها طوال ثمانية عشر عاما .

وسرعان ما حدث التغير الهائل والتحول الرهيب فى مقالات الكتاب وأجهزة الاعلام وحتى فى كتابات المؤرخين واشتد التنافس بينهم ـ لا فى تمجيد نجيب كما كان الحال عليه من قبل ـ ولكن فى سلبه كل ما أضفى عليه فى الماضى من صفات العظمة وآيات البطولة وفى طمس معالم كل ما قام به من أعمال جليلة سواء فى خدمة جيشه أو وطنه ووصل الامر فى الاستخفاف بشأنه الى حد تصوير دوره فى قيادة الحركة بأنه كان أشبه بخيال المآته وانه كان فى منزله لا يعلم شيئا عما يدور حوله من احداث طوال شهر يوليو ٥٢ وقد صور السادات هذه الصورة الساخرة بقلمه فى الصفحتين ٨٠ ، ٨١ من كتابه « قصة الثورة كاملة » فقال : « كان (نجيب) مثل أى رجل فى مصر وفى مثل سنه مثل أبى وابيك .. كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه اى شىء عن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار .. كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة عام ١٩٥٢ هو نفس الشىء الذى كان يشغل بال اى موظف كبير فى مثل سنه ربما علاوة أو ترقية » .. لقد شكك الكثيرون فى حقيقة دور محمد نجيب حتى خيل للبعض ان الرجل الطيب المسن كان راقدا فى فراشه ليلة ٢٣ يوليو ينعم بالنوم الهنىء وتداعب خياله أحلام العلاوات والترقيات

عندما أيقظوه من رقاده قبيل الفجر ليزفوا اليه النبأ العظيم وهو انه قد أصبح فجأة وبقدرة قادر بطلا لحركة وقائدا لثورة وان العربات المدرعة فى طريقها اليه لتعود به الى مبنى رئاسة الجيش ليدخل بها دخول الظافرين .

هل يصدق هذا مع رجل أمعن فى تحدى الملك ـ دون اى خوف أو وجل ـ حتى اضطره الى التدخل شخصيا لحل مجلس ادارة النادى الذى كان يرأسه ؟ هل يصدق هذا مع رجل بلغ علو مركزه وقوة شعبيته بين الضباط الى الحد الذى جعل كلا من نجيب الهلالى وحسين سرى يرشحه وزيرا للحربية فى وزارته كوسيلة لتهدئة الجيش لولا رفض الملك خشية من أحمد عرابى رقم ٢ على حد قوله ؟ هل يصدق هذا مع رجل استدعاه سرا وزير الداخلية وأقوى رجل فى وزارة حسين سرى وهو الدكتور محمد هاشم لمقابلته فى منزله يوم ١٨ يوليو ودامت المقابلة حتى ساعة متأخرة من الليل ليعرف منه أسباب تذمر الجيش ومطالبهم ؟ وأخيرا هل يصدق هذا مع رجل توجه اليه عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بنفسهما صباح يوم ١٩ يوليو لابلاغه بموعد قيام الحركة .

وقد حاول السادات تكريس ذلك الاعتقاد بأن محمد نجيب كان بمثابة خيال المآتة فى عباراته التى أوردها فى الصفحة ١٠٧ من كتاب قصة الثورة كاملة عندما قال : « والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٣ يوليو .. انه كان فى منزله .. لا يرى شيئا ولا يعلم

شيئا ثم فى الساعة الثالثة صباحا اتصل بجمال فى مبنى القيادة وبعد ان كان كل شيء قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الاحرار .. وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن وضح له الموقف كله وبلغه - لأول مرة - ان فى الجيش تنظيما اسمه الضباط الاحرار وان قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت - الآن - على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد . قال جمال لنجيب بالحرف الواحد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية :
- الضباط الاحرار قاموا بالثورة الليلة والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة واحنا عايزينك تيجى حنبعت لك عربية تجيبك وهكذا عرف نجيب - لاول مرة - حكاية الضباط أحرار » .

ورأيى انه لكى يمكن الحكم على هذا الامر حكما سليما - بعيدا عن الاهواء والتحيز - ينبغى علينا ألا نخلط بين موضوعين رئيسيين وقع الكثيرون نتيجة للخلط بينهما فريسة للبلبلة والاضطراب وهذا الموضوعان هما :

أولا - متى عرض على محمد نجيب قيادة الحركة ؟

ثانيا - متى أخطر محمد نجيب بموعد الحركة النهائى ؟

متى عرض على محمد نجيب تولى قيادة الحركة ؟

لا يمكن من الوجهة المنطقية ان نصدق أن حركة عسكرية تدبر ويخطط لها فى الخفاء تخطيطا سليما قبل قيامها بفترة طويلة ثم لا يتم الحصول على موافقة القائد الذى أختير لقيادتها قبل وقت كاف من قيامها

او يؤجل ذلك الامر الخطير ليتم فى اللحظـــة الاخيرة بطريقة عفوية وقبيل بضع ساعات فقط من اذاعة بيان باسم هذا القائد موجها الى الشعب المصرى عن طريق الاذاعة .

هل يعقل أن يقبل انسان تحمل هذه المسئولية الخطيرة التى قــد تطيح بعنقه بمجــرد حديث تليفونى دون أى اتصال أو تمهيد سابقين ؟ وماذا كان سيغدو عليه الموقف يا ترى لو كان محمد نجيب قد رفض هذه الدعوة الخطرة لتولى قيادة حركة عسكرية لا يعرف أهدافها أو حقيقة نواياها بل يجهل كذلك الاشخاص القائمين بأمرها وأهم من ذلك كله أنه لم يكن فى مقدرة أحد فى مثل هــذه الساعة أن يتكهن بنتائجها وعواقبها المحتملة .. ان القائد الذى يقدم على مثل هذه المغامرة في مثل تلك الظروف لابد أن يكون متمتعا بشجاعة أسطورية . ماذا كان يا ترى تصرف عبد الناصر لو افترضنا عزوف نجيب عن تلبية هذه الدعوة ولديه كل المبررات التى تسمح له ــ وقتئذ ــ بالاعتذار ما دام قد أوقظ من النوم وهو لا يدرى شيئا ليشرح له فى التليفون لاول مرة ان هناك تنظيما اسمه الضباط الاحرار وان ذلك التنظيم قد قام بتمرد مسلح ضد السلطة الشرعية فى البلاد .

ترى ما هو الداعى الذى استوجب تأخير الاتصال بمحمد نجيب لعرض قيادة الحركة عليه قبل قيامها بوقت كاف بينما كانت جميع الظروف مهيأة لهذا الاتصال .. واذا كانت قيادة التنظيم قد أرسلت فى أواخر عام ٥٠ الرائد صلاح سالم الى اللواء فؤاد صادق ــ كما ذكر

لسادات فى كتابه « قصة الثورة كاملة » لسبر غوره
،اكتشاف نواياه بعد التفكير فى اختيـاره قائدا للحركة
،كان محددا لها وقتئذ عام ٥٥ أى ان الاتصال قد جرى
قبل خمس سنوات من قيامها فلماذا يؤجل الاتصال فى
هذا الشأن بمحمد نجيب ويترك للحظة الاخيرة علما
بأنه لا وجه للمقارنة بين علاقة عبد الناصر والضباط
الاحرار السطحية الواهية بفـؤاد صادق وبين علاقتهم
الوثيقة القوية بمحمد نجيب .

لقد كان عبد الحكيم عامر أركان حرب محمد نجيب
عندما كان يتولى قيادة اللواء العاشر الضارب بفلسطين
وقد توطدت العلاقة بينهما مدة الحرب الى الدرجة التى
جعلت عامر يقول لصديقه عبد الناصر : « لقد عثرت
فى محمد نجيب على كنز عظيم » .. وعندما ترك محمد
نجيب سلاح الحدود ليكون مديرا للمشاة وجد عبدالحكيم
عامر الى جانبه فى رئاسة المشاة وعمل فترة تحت قيادته
قبل نقله الى رئاسة الفرقة الاولى برفح ـ وكان
عبد الناصر خلال ذلك لا تنقطع زياراته لصديقه عامر
ولمدير السلاح نجيب فقد كان يعمل وقتئذ مدرسا بكلية
أركان الحرب بمنشية البكرى على مسافة قريبة من
رئاسة المشاة بالعباسية .

وعندما بدأت معركة انتخابات نادى الضباط أخذت
العلاقة تزداد توثقا بين نجيب الذى رشح نفسه لرئاسة
مجلس الادارة بالاتفاق مع قيادة التنظيم وبين عبد الناصر
الذى حمل أمانة الاتصال به نيابة عن زملائه . وكان
نجيب يدير المعركة ـ بحكم وضعه ـ من رئاسة سلاح

المشاة وبصورة علنية بينما نزل عبد الناصر بكل ثقل التنظيم ليعاونه فى المعركة بطريقة سرية ... وعندما أعلنت النتائج وتم فوز قائمة الضباط الاحرار هذا الفوز الساحق كان ذلك هو ثمرة التعاون المشترك بين النشاط العلنى والنشاط السرى .

هل كان يمكن اتهام محمد نجيب بالغباء والغفلة حتى نتصور انه بعد كل ما دار فى معركة الانتخابات وبعد أن كشف عبد الناصر أوراقه أمامه بهذه الصورة خلال تعاونهما المشترك أثناء المعركة وبعد ان رأى بعينيه مئات من النسخ المطبوعة سرا لقائمة المرشحين فى الانتخابات والتى وزعت على أعضاء الجمعية العمومية للضباط وقد تصدرتها عبارة « مرشحو الضباط الاحرار » ... بعد كل هذا هل كان محمد نجيب فى حاجة الى من يشرح له الامر ويبلغه لاول مرة فى الساعة الثالثة صباحا يوم ٢٣ يوليو بأن فى الجيش تنظيما اسمه الضباط الاحرار .. أحد أمرين اما ان اللواء نجيب كان فى حاجة الى طبيب عيون أو انه كان مصابا بتخلف عقلى — وعلاوة على ما ذكرناه من تعليل منطقى فان خالد محيى الدين قد أمدنا بالدليل المادى الذى لا يمكن نقضه فقد روى ما يلى فى معرض حديثه عن ثورة ٢٣ يوليو فى صحيفة الاهالى فى ٢٦ يوليو ٧٨ تحت عنوان « نحن ومحمد نجيب » : « لفترة طويلة كان عبد الحكيم عامر أساسا وجمال عبد الناصر أحيانا على علاقة بمحمد نجيب وكانا يسلمان له منشورات الضباط الاحرار — ولقد يقول البعض ان محمد نجيب لم يشترك فى الاعداد للثورة

وهذا صحيح لكننا يجب أن نعترف له بشجاعة الموافقة على مشاركتنا فى تحمل المسئولية عما قد يقع من نتائج لقــد عرف بالموضوع وأخبرناه بعزمنــا على التحرك وبعزمنا على تنصيبه قائدا للحركة ـ وبعد أن نجحت الثورة قررنا ضم نجيب الى المجموعة القيادية » .

وهذا الكلام يوضح لنا أن محمد نجيب كان على اطلاع تام على نشاط الضباط الاحرار السرى الى الحد الذى جعلهم يسلمونه منشوراتهم دون خوف أو حرج كمــا يثبت لنا بجلاء ان قيادة الحركة قد عرضت عليه وانه قبلها وكان ذلك قبل وقت من قيامها بلا شك كمــا اعترف خالد أيضا بشجاعة نجيب فى المشاركة وتحمل مسئولية النتائج .

وبالاضــافة الى أقوال خالد محيى الدين كشف لنــا يوسف منصور صديق كذلك عن كثير من الحقائق فى مذكراته التى عنونها باسم « ليلة عمرى » فعلى اثر انضمامه للضباط الاحرار فى أكتوبر ١٩٥١ عندما كان بعمل قائدا ثانيا لـكتيبة مدافع الماكينة الاولى المشاة بالقنطرة شرق تم لقاؤه بعد فترة من انضمامه للتنظيم مع عبد الناصر بكلية أركان الحرب بالقاهرة وكانت هذه أول مرة يتعرف فيها عليه وكان يوسف أقدم فى الرتبة من جمال ولذا سأله عن الضباط الذين يعملون فى قيادة الحركة فكان جمال يؤجل ويسوف ويقول انه سيعرفهم فى الوقت المناسب . واســتطرد يوسف صــديق فى مذكراته قائلا :

« ولما الححت عليه أخبرنى أن أقدم ضابط هو اللواء محمد نجيب فاسترحت لهذا الاسم الذى كنت أكن له كثيرا من الاحترام والحب لما يمتاز به من صفات وسمعة طيبة بين ضباط الجيش وكانت تجمعني به صلة الجوار فى السكن حيث كنا نسكن فى بيتين متقاربين فى حلمية الزيتون .

وكانت جيرتى للواء محمد نجيب فى السكن تتيح لى فرصة زيارته فى كل مرة انزل فيها الى القاهرة وبطبيعة الحال أخبرته بانضمامى لصفوف الضباط الاحرار وقد لاحظت اننى كلما سألته عن أى شىء بخصوص العمل أو التنظيم كان يحيلنى الى جمال » .

لقد أصدر مجلس قيادة الثورة بيانا اثر استقالة نجيب فى فبراير ٥٤ ذكر فيه أنه لم يخطر بوقوع الاختيار عليه لقيادة الثورة الا قبلها بشهرين فقط الا أن محمد نجيب نفى ذلك وورد فى الصفحة ١٢١ من مذكراته « كلمتى للتاريخ » قائلا : « هذا أمر يجافى الحقيقة تماما لاننى توليت قيادة تنظيم الاحرار فعلا بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ٥٢ وجميع الخطوات التى تمت بعد ذلك كانت بموافقتى أو بأمر منى وأنا الذى حددت موعد قيام الثورة ولم أوافق على اقتراح عبد النـاصر وعبد الحكيم عامر بتأجيله الى ٥ أغسطس » .

ولا نستطيع بالطبع أن نقبل هذا الـكلام من نجيب كحقيقة واقعة اذ أن العلاقة بين نجيب وتنظيم الاحرار لا يمكن أن تكون قد بلغت الحد الذى جعل محمد نجيب يتولى قيادة التنظيم وأن تكون جميع الخطوات قد تمت باذنه وموافقته كما ذكر فان الثابت تاريخيا أن عبد الناصر

قد استمر رئيسا منتخبا لهذا التنظيم الى حين نجاح الحركة فى ٢٦ يوليـــو فى طرد الملك فاروق من البلاد وعندئذ تنحى طواعية عن مكانه فى القيادة لمحمد نجيب كما ان الثابت تاريخيا أن محمد نجيب لم يحضر قط أية اجتماعات عقدتها لجنة القيادة قبل قيام الحركة ولكن يمكن مما قرأناه أن نستخلص حقيقة واحدة لا جدال فيها وهى أن محمد نجيب قد تمت مفاتحته بصورة مباشرة عن طريق عبد الناصر فى أمر قيادته للحركة فى الفترة التى أعقبت حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ٥٢ وانه قد قبل القيام بهذا الدور .

ويتأكد لنا هذا مما أورده يوسف صديق فى مذكراته فان التاريخ الـذى يحتمل أن يـكون قـد قـابل فيه عبد الناصر بكلية أركان الحرب بعد حضوره من القنطرة شرق والذى أخبره فيه جمال بأن لواء الحركة معقود لمحمـــد نجيب ينطبق على الفترة التى أعقبت حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ٥٢ ـ ومما يؤيد صحة ذلك التاريخ واقعة اللقاء الذى تم فى مكتب محمد نجيب برئاسة سلاح المشاة بالعباسية عقب حريق القاهرة والذى سبق الاشارة اليه ـ ذلك اللقاء الذى حضره مع عبد الناصر زميلاه فى لجنة القيادة عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وواحد من ضباط التنظيم هو جمال حماد أركان حرب سلاح المشاة وقتئذ ـ وقد تم هذا اللقاء كما أوضحنا على اثر انقسام لجنة القيادة على نفسها ما بين فريق يدعو الى القيام بالحركة على الفور منتهزين فرصة انتشار قوات الجيش فى شوارع العاصمة وظروف منع التجول ليلا وبين فريق كان عبد الناصر من ضمنه وكان يرى أن قوة الضباط

الاحرار أضعف من أن تقوم بالحركة المنتظرة فى هــذه الآونة لعدم استكمال التنظيم عناصر قوته . وكان رأى محمد نجيب هو الذى حسم الموقف ,رجح الرأى الثانى بعد أن حذر من عواقب تدخل القوات البريطانية فى قناة السويس والتى كانت تتحين الفرصة للتدخل عقب الفاء معاهدة ١٩٣٦ .

بأى صفة كان محمد نجيب يتحدث الى الضباط الذين حضروا ذلك الاجتماع ؟ ومن أى منطلق جرى تحذيره لهم بالكف عن التفكير فى التحرك فى هذه الآونة ؟ ليس هناك الا اعتبار واحد فقط يعطيه ذلك الحق عليهم وهو يقينه بأنهم قد عهدوا اليه بقيادة حركتهم المنتظرة .

متى علم محمد نجيب بموعد الحركة ؟

لا ينبغى أن نعلق أهمية كبيرة على حقيقة الوقت الذى علم فيه محمد نجيب بموعد الحركة فان العبرة بالنسبه للرجل ليست هى متى عرف ذلك الموعد بقدر ما هى متى عرضت عليه القيادة وقبلها ولقد ثبت ان ذلك الامر لا يمكن بحال من الاحوال أن يكون قد تعدى أوائل فبراير ٥٢ أى قبل قرابة ستة أشهر من موعد قيام الحركة . ولم يكن اخطار محمد نجيب بموعد الحركة على وجه التحديد مستطاعا الا قبل قيامها بأيام قلائل فان التفكير الفعلى فى القيام بالحركة لم يتم الا خلال الاسبوع السابق لهــا مباشرة على اثر صدور القرار بحل مجلس ادارة نادى الضباط اما تحديد الموعد النهائى لها فان ذلك لم يحدث الا يوم ٢٠ يوليو كمــا سبق أن أثبتنا على اثر مكالمة أحمد أبو الفتح التليفونية لشقيق زوجته ثروت عكاشة

من الاسكندرية فحددت ليلة ٢٢/٢١ فى بادىء الامر ثم تأجل الموعد بعد ذلك ٢٤ ساعة . ومن استقراء الاحداث التى جرت خلال يومى ٢١ ، ٢٢ يوليو نجد أن الغالبية العظمى للضباط الاحرار لم يعلموا بالموعد النهائى الا يوم ٢٢ يوليو ذاته بسبب ضيق الوقت من جهة وحفاظا على سرية الحركة من جهـة أخرى وكانوا مكلفين بالبقاء فى بيوتهم منذ ٢١ يوليو اعتبارا من الساعة الثالثة بعد الظهر لحين صدور الامر لهم بالتحرك . اما ضباط لجنة القيادة الثلاثة الذين كانوا موجودين فى سيناء وهم أنور السادات وصلاح سالم فى رفح وجمال سالم فى العريش ، فقد أوفد اليهم عبد النـاصر زميله حسن ابراهيم بالطـائرة الى العريش صباح يوم ٢١ يوليـو حيث أخطرهم بالموعـد النهائى للحركة .

وقد روى لنا محمـــد نجيب فى الصفحة ٣١ من مذكراته واقعة زيارة الصحفي المعروف محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة وقتئذ والمقدم جلال ندا الذى كان يعمل محررا عسكريا بدار أخبار اليوم لمنزله صباح يوم ١٩ يوليـــو لسؤاله عما تم فى مقابلته مع الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية التى جرت فى الليلة السابقة مباشرة تلك الزيارة التى أدهشته . واستطرد محمد نجيب قائلا : « وأثناء جلستنا فوجئت بحضور المقدم جمال عبد الناصر والرائد عبد الحكيم عامر على غير موعد ولما وضح من حركتهما أنهما يريدان أن يسرا الى بشىء ما أخذتهما من الصالون الى غرفة الطعـام المجاورة ولكن بعد أن طلب هيكل أن أقدمه لهما وكان لقاؤه الاول لهما ، وفى هذه الجلسة تحدد موعد الثورة .

وكان جمال وعبد الحكيم يريدان ان تكون الحركة يوم ٤ أغسطس لسببين :

أولهما : اكتمال وصول الكتيبة ١٤ مشاة الى القاهرة في حركة التنقلات العادية (يبدو ان الذاكرة هنا قد خانت محمد نجيب فان الكتيبة التي كانت مقدمتها قد وصلت الى القاهرة فعلا وكان عبد الناصر يترقب وصول قوتها الاساسية من العريش كانت الكتيبة الاولى مدافع ماكينة وكان ينتظر وصولها يوم ٢٦ يوليو ٥٢ — ولم يكن للكتيبة ١٤ مشاة أى دور فى التنقلات) .

وثانيهما : هو أن يكون الضباط الاحرار قد حصلوا على مرتباتهم فى أول الشهر .

ورفضت السببين فان القوات التى كانت معنا تعتبر كافية لانجاز مهمتنا وليس هناك مبرر للتأجيل من أجل استلام المرتبات .. وحسمت الامر بتوضيح الخطر الذى يهددنا جميعا والذى لمح به وزير الداخلية فى جلستى معه الليلة الماضية واتفقنا على أن تحركنا يجب أن يتم خلال أيام محدودة حتى نحقق عنصر المفاجأة » .

وليس فى رواية محمد نجيب ما يتناقض مع مجرى الاحداث وفقا للتسلسل الزمنى الذى سبق أن أوردناه عند بحثنا عن اليوم الذى تم فيه تحديد الموعد النهائى للحركة فان ما ذكره نجيب لزائريه جمال وعبد الحكيم عن وجهة نظره فى ضرورة الاسراع بالحركة بعدما استشفه من أخطار تحدق بها خلال لقائه مع الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية كان حافزا لعبد الناصر بلا شك لاعادة تفكيره فى الموعد . وكان واحدا من العوامل الرئيسية التى جعلته يعدل عن قرار لجنة القيادة السابق بتحديد يوم ٥

اغسطس موعدا للحركة وتقديمه نحو أسبوعين ولم يتأكد قراره بالمدول الا بعد لقاء ثروت عكاشة به يوم ٢٠ يوليو حينما أبلغه مضمون الحديث التليفونى الذى دار بينه وبين احمد أبو الفتح ، كما سبق أن أوضحنا .

ولقد أيد البغدادى فى مذكراته رواية نجيب عن زيارة عبد الناصر وعامر لبيته يوم ١٩ يولبو كما أيدها أنور السادات فى كتابه « قصة الثورة كاملة » ولكنهما قررا أن عبد الناصر لم يتمكن من اخطاره بموعد الحركة بسبب تواجد محمد حسنين هيكل وجلال ندا فى صالون منزله وان كان ذلك السبب فى جهل نجيب بموعد قيام الحركة حتى تم الاتصال به تليفونيا عقب نجاح المرحلة الاولى . ولم يقدم لنا البغدادى ولا أنور السادات تعليلا منطقيا واحدا يدعونا الى عدم تصديق رواية محمد نجيب عن معرفته موعد الحركة من عبد الناصر وعبد الحكيم يوم ١٩ يوليو فانه ما داما قد اتفقا مع نجيب فى حدوث هذه الزيارة وما داما قد سلما بالغرض الذى أجريت من أجله وهو اخطار نجيب بموعد الحركة فهل يتمشى مع المنطق أن يعدم عبد الناصر الوسيلة ـ مع ما اشتهر عنه من ذكاء ـ لاخطار محمد نجيب بما يريد لمجرد وجود زائرين عنده فى صالون المنزل ؟ .. وسواء صدقنا رواية نجيب عن أخذ ضيفيه الى غرفة الطعام المجاورة للصالون حيث خلا الجو له معهما للحديث وهى الرواية التى أكدها لى المقدم جلال ندا أحد شهود هذا الاجتماع أم استنتجنا أنه قد تم تحـــايله على الموقف بوسيلة أخرى قد تكون عن طريق التحدث معهما بحرية أثناء مرافقته لهما عبر حديقة المنزل وهما فى الطريق الى الباب الخارجى لتوديعهما

كما كانت عادته فى توديع زائريه فان النتيجة واحدة وهى ان حديثـــــا قد تم تبـــادله بين نجيب وزائريه عبد الناصر وعبد الحكيم وان هذا الحديث كان يتعلق بلا شك بموعد الحركة المنتظر .. ان عبد الناصر الذى عرفناه لم يكن هو ذلك الشخص الذى يعود من مثل هذه المهمة خائبا لسبب تافه يمكن آن يجد عشرات الحلول للتحايل عليه ولم تكن المهمة بسيطة لبتخلى عنها بهذه السهولة فلقد جاء بنفسه ليخطر القائد أن عليه أن يتأهب فان موعد الضربة المنتظرة قد حان وان الامر لن يتعدى اياما قلائل بأية حال .

وربما كانت أكثر الروايات التى قصد بها النيل من دور محمد نجيب هى الرواية التى ذكرها أنور السادات فى كتابه قصة الثورة كاملة فى الصفحتين ٨٥ ، ٨٦ والتى تقول :

« لقد كان اللواء نجيب فى بيته لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة ... لقد كان كل شىء يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحـو الخلود كنا نواصل ليلنا بنهارنا لـكى يخرج من بيته وهو لا يعلم ويقال له .. أنت زعيم . رقابنا ومصائر أطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لا يعلم . لنتأمل اذن فى هذا الوضع التاريخى العجيب وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ــ اى رجل ــ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين أليس هذا شيئا اشبه

بالسحر ؟ .. ألا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول : شبيك لبيك عبدك ملك يديك .. لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك لبيك وكل ما تطلبه بين يديك وطلب أن يكون فكان .

وفى اللحظة الاولى التى وطئت فيها أقدام (نجيب) مبنى رئاسة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه ... كان قد أصبح زعيما وهو الذى كان لا يعلم » .

ولا شك ان هذه الرواية قد ظلمت محمد نجيب ظلما بينا بهذه العبارات القاتلة المزوجة بالتهكم والسخرية والتى كتبها السادات بلا شك عقب تنحية محمد نجيب عن منصبه فى ١٤ نوفمبر ٥٤ كوسيلة للنيل من تاريخه والزراية بشأنه والاستخفاف بدوره بالنسبة لحركة الجيش ولارضاء عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة .

لقد كان بقاء قائد الحركة فى بيته حتى انتهاء المرحلة الاولى منها أمرا طبيعيا اذ لا مكان لضابط فى مثل رتبته بين الوحدات المشتركة فى الحركة والتى كانت قد توزعت كلها الى سرايا وفصائل تولى قيادتها ضباط من صغار الرتب وانطلقوا بها فى الشوارع لتنفيذ المهام المكلفين بها ..

وحق القائد العام فى عدم مرافقته للقوات المشتركة فى العمليات والاكتفاء بقيادتها وتوجيهها من أمكنة بعيدة فى الخلف حق طبيعى معترف به للقادة على هذا المستوى بالنسبة لجميع الجيوش وليس هو محل خلاف بين العسكريين ولا حاجة بنا لضرب عشرات من الامثلة على

ذلك ، ومن العجيب أن يوجه مثل هذا النقد لقائد الحركة ولا يوجه لبعض أعضاء لجنة القيادة الذين نأوا بأنفسهم عن مسرح الاحداث اتقاء للمسئولية ولم يكتفوا بذلك بل أعدوا فى احكام وبراعة أدلة النفى التى تثبت براءتهم من الاشتراك فى هذه المغامرة كى ينجوا برقابهم فى حالة فشلها .

لقد كان المقر الطبيعى المفترض أن يتواجد فيه قائد الحركة هو مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة وحينما تم الاستيلاء عليه وعلى المنطقة العسكرية من العباسية الى الماظة دعى اللواء محمد نجيب كي يحضر الى مقر قيادته الجديدة ليتولى عبء مسئوليته . ولم يكن الرجل خلال تلك الساعات الحرجة راقدا فى فراشه يغط فى نوم عميق بل كان كما ذكر فريسة للقلق ونهبا للترقب والانزعاج ساهرا فى صمت ثقيل يدخن غليونه وقد تركزت نظراته على التليفون الذى سوف يحمل له أهم خبر فى حياته وقد عبر نجيب بصدق عمـــا خالجه من مشاعر خلال تلك اللحظات القلقة فى الصفحة ٣٤ من كتـــابه « كلمتى للتاريخ » فقال :

« ولم تمض دقائق حتى علا رنين التليفون واستبدت بى الاثارة فقد خامرنى يقين بأن اللحظة الحاسمة التى كنت أترقبها قد حانت وأمسكت التليفون بلهفة شديدة وسرعان ما دب الاطمئنان الى قلبى فقد طرق سمعى صوت الرائد جمال حماد هو يهنئنى بنجاح المرحلة الاولى للخطة .. وكان الرائد جمال حماد أركان حربى بسلاح المشاة وأحد الضباط الاحرار المسئولين عن تنفيذ خطة الثورة .. وأبلغنى جمال حماد وقتئذ انه سيرسل لى ثلاث عربات مدرعة لاحضارى من المنزل » .

ولم يتردد القائد فى الحضور حينما دعى الى مقر قيادته لتولى مسئولياته ولم ينتظر وصول العربات المدرعة بل ركب فى الحال سيارته الاوبل السوداء الصغيرة وتوجه بها الى مبنى رئاسة الجيش فقد كان الوقت لا يحتمل التأخير . هذا وان تصوير الوضع بأن الامر كان أشبه بمصباح علاء الدين أو خاتم سليمان وان الضباط الاحرار قالوا لمحمد نجيب شبيك لبيك ما تطلبه بين يديك .. هذا التصوير كان يخالف الواقع تماما فعندما حضر محمد نجيب الى مقر رئاسة الجيش لم يكن الطريق أمامه مفروشا بالورود ولم تكن الاخطار قد زالت وربما لم تكن أبواب التاريخ هى التى ستفتح أمامه كزعيم .. ربما كان سيفتح أمامه باب الزنزانة التى لن يتحرك منها الا الى الساحة التى سيتلقى فيها فى قلبه رصاص فرقة الاعدام .

عندما حضر محمد نجيب الى رئاسة الجيش قبل فجر ٢٣ يوليو ٥٢ لم تكن حركة الجيش قد تم لها السيطرة بعد على الاغلبية العظمى من وحدات الجيش .. لقد كانت هناك قوات كبيرة فى قلب القاهرة لم تعلن عن انضمامها بعد وكانت قوات الفرقة الاولى المشاة فى سيناء لا تدرى شيئا بعد عن هذه الحركة اما قوات الاسكندرية فلم تكن قد سمعت بالمرة أية انباء عن هذه الحركة وقد ثبت أنها لم تعلم بها الا عن طريق البيان الاول الذى أذاعه السادات من دار الاذاعة فى السابعة والنصف صباحا ـ وكانت الخطورة الاولى كامنة فى الاسكندرية حيث مقر الملك والحكومة والقائد العام للقوات المسلحة وحيث توجد أكثر القوات ولاء للملك كما

كان مفترضا وهى قوات الحرس الملكى والسلاح البحرى وخفر السواحل وقد ثبت ان البيان الاول للحركة الذى صدر باسم اللواء محمد نجيب من دار الاذاعة كان هو العامل الحاسم فى انضمام جميع قوات الجيش غير المشتركة فى الحركة الى القوات الثائرة .

ولكن حتى بعد أن انضمت قوات الجيش بأكملها الى الحركة صباح ٢٣ يوليو .. هل كان يمكن الجزم بأن المخاطر قد انتهت ؟ لقد كان الجيش المصرى بأكمله تحت قيادة أحمد عرابى عام ١٨٨٢ حينما أعلن ثورته على الخديو توفيق ولكن تواطؤ توفيق مع الجيش البريطانى أدى الى كارثة التل الكبير والاحتلال البريطانى .. كيف كان يمكن ضمان النتائج صباح يوم ٢٣ يوليو ٥٢ مع تواجد فاروق بالاسكندرية فى نفس الموقف الذى كان عليه سلفه الخائن توفيق منذ سبعين عاما وكان الفرق الوحيد أن قوات الغزو البريطانى كانت فى عام ١٨٨٢ محمولة على ظهر سفن الاميرال سيمور فى عرض البحر فى طريقها الى شاطىء مصر بينما كانت قوات الاحتلال البريطانية التى كانت تزيد على ثمانين ألف مقاتل بمنطقة القناة لا تفصلها عن القاهرة الا مسافة مائة كيلو متر على الاكثر . كيف كان يمكن ضمان عدم استعانة فاروق بالانجليز مثل ما فعل توفيق أو ضمان عدم تفكير الانجليز أنفسهم فى اغتنام الفرصة والزحف على القاهرة لاستعادة سيطرتهم المفقودة وتكرار مأساة أحمد عرابى ؟

ان مجرد اذاعة البيان الاول باسم محمد نجيب فى السابعة والنصف صباحا من دار الاذاعة معناه أن الرجل قد حمل على عاتقه مسئولية الحركة بأكملها تاريخيا أمام

حكم التاريخ وجنـائيا أمام الملك وحكومته واصبح هو الرمز المجسد لها ينتصر اذ دان لها النصر واذا فشلت فسيكون عليه تحمل وزرها وعواقبها مثل ما تحملها سلفه احمد عرابي من قبل فهو أقدم المتمردين رتبة وأول من كانت المسئولية سوف تلقى على كاهله كيف لا وهو الذى نصب نفسه قائدا عاما للقوات المسلحة ـ رغم انف الملك ـ وهو الـذى أذيع البيان باسمه على الشعب من دار الاذاعة بهذه الصفة التى انتحلها لنفسه قوة واقتدارا .

هذا ولم يكن فى الامكان القول بأن الحركة قد دان لها النجاح وان المخاطر قد زالت الا فى الساعة السادسة مساء يوم ٢٦ يوليـــو ٥٢ حينما استقل فاروق اللنش البخارى الى المحروسة وأنزل العلم الملكى من فوق سارية قصر رأس التين . وحتى يمكننا الحكم على مدى شجاعة محمد نجيب فى تحمله مسئولية الثورة علينا أن نتذكر الكلمة التى وجهها اليه اللواء فؤاد صـادق عقب نجاح الحركة وهو الرجل الذى لا يتطرق الشك الى شجاعته فقد قال : « لقد قبلت القيام بما لم أجرؤ على مجرد التفكير فيه » كما أن هناك واقعة أخرى لا يدرى بها الا افراد قلائل من الضباط الاحرار وهى ذهاب عبد الحكيم عامر صباح يوم ٢٣ يوليو الى منزل العميدأ.حعبدالحميد نعمت وكان رجلا معروفا بوطنيته وشجاعته فى حرب فلسطين عام ٤٨ وعرض عبد الحكيم على الرجل منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش وكان عبد الناصر يهدف من وراء ذلك الى زيادة ثقل قيادة الحركة بضم هـذا الضابط الكبير الرتبة المرموق الشخصية الى جانب

القائد العام محمد نجيب .. وعلى الرغم من أن الامور فى القاهرة كانت قد استقرت بانضمام قوات الجيش وتأييد الشعب الجارف للحركة فان الدهشة والذهول أصابا عبد الحكيم عامر عندما أبدى العميد اعتذاره عن تولى ذلك المنصب الخطير فان شجاعته لم تستطع أن تزيل من نفسه عوامل القلق والخوف من العواقب التى لا تزال فى باطن الغيب . وهكذا تغلب صوت العقل عنده على دوافع المخاطرة والاقدام فى سبيل الوطن وضاعت من العميد فرصة العمر ليدخل التاريخ من أوسع أبوابه .

خطة الثورة وكيف تأهبت الأحداث لتنفيذها؟

فى الثالثة من بعد ظهر الثلاثاء ٢٢ يوليو اجتمع فى منزل خالد محيى الدين بشارع فوزى المطيعى بمصر الجديدة عشرة من الضباط الاحرار كان ستة منهم من أعضاء لجنة القيادة وهم عبد النـاصر وعبد اللطيف البغدادى وكمـال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وعبد الحكيم عامر الذى كان يعمل برئاسة الفـرقة برفح وكان فى أجازة ميدان بالقاهرة وحضر الاجتماع أربعة ضباط من خارج اللجنة هم : عبد المنعم امين من سـلاح المدفعيـة وحسين الشافعى من سلاح الفرسان وزكريا محيى الدين من سلاح المشاة وابراهيم الطحاوى من سلاح خدمة الجيش .. وكان موعد اللقاء محددا من قبل ويمكن اعتباره بمثابة اجتماع عقده القائد لمجموعة الاوامر ليصدر لهم أمر العمليات الذى يحدد الواجبـات المخصصة لوحـداتهم كما هو متبع فى فن التكتيك الحـربى . ولذا كان من المفترض أن يتولى عبد الناصر بصفته الرئيس المنتخب للجنة القيادة مهمة قراءة الامر على زملائه الحاضرين ولكنه آثر ترك هـذه

المهمة لزكريا محيى الدين أستاذ التكتيك الحـربى بكلية اركان الحرب . وكانت الخطة مسجلة فى ست صفحات فولسكاب ومكتوبة بخط عبد الحكيم عامر ووضعت عليها بعض التعـــديلات بخط زكريا محيى الدين مع بعض الملاحظات بخط عبد الناصر .

واقتصر الاجتماع على مناقشـــة المرحلة الاولى من الخطة والتى كانت تستهدف فى جملتها السيطرة على القوات المسلحة وكان تنفيذها يبدأ فى الساعة الواحدة صباحا بتحرك سرية مشاة من الكتيبة ١٣ من معسكر العباسية لاحتلال مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة الذى كان يقع فى الطابق الاول منه مكاتب ادارة الجيش بينما يقع فى الطابق الثـانى منه مكتب الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش وهيئة مكتبه وعينت مقدمة كتيبة مدافع الماكينة الاولى المشاة القـادمة من معسكر الهاكستيب لتكون قوة احتياطية للمعاونة فى تنفيذ هذا الواجب . وفى ساعة الصفر المحددة كان على وحدات المدفعية بأقسامهـا المختلفة التحرك من معسكراتها فى الماظة والهاكستيب لضرب حلقة من الحصار حول المنطقة العسكرية الممتدة من معسكر العباسية جنوبا الى منطقة معسكرات الجيش بألماظة شرقا والى منطقة هاكستيب شمالا واغلاق جميع مداخل القاهرة الشرقية والشمالية التى تؤدى الى مناطق المعسكرات وآلى رئاسة الجيش . وكان سلاح الفرسان مكلفا بالاشتراك مع سلاح المدفعية فى احكام هذا الحصـــار بوحـــدات تعين من الدبابات السـيارات المدرعة والكتيبة الميكانيكية ـ وخصصت مشاة من الكتيبة ١٣ لاحتلال مبنى قيادة سلاح

الحدود الذى كان يرأسه اللواء حسين سرى عامر عميل السراى وخصم الضباط الاحرار اللدود وكان المبنى يقع خلف رئاسة الجيش بكوبرى القبة ونظرا لتوقع حدوث مقاومة من جنود سلاح الحـدود لذلك وضع تروب من الدبابات الشيرمان فى معاونة سرية الكتيبة ١٣ مما أدى الى تأجيل عمليـة الاستيلاء على المبنى الى أول ضـوء يوم ٢٣ يوليو ليتيسر استخدام الدبابات .

وكان احتلال دار الاذاعـة بمكاتبها بشارع الشريفين وباستوديوهاتها بشـارع علوى موكـولا الى فصيلة من الكتيبة ١٣ مشاة بمعاونة تروب من السيارات المدرعة من سلاح الفرسان .

وكان دور سلاح الاشارة بالخطـة هو السيطرة على مصلحة التليفونات بشارع الملكة نازلى (رمسيس حاليا) عن طريق تروب من السيارات المدرعة من سلاح الفرسان بهدف تعطيل شبكة التليفونات بالمصلحة لمنع حدوث اية اتصالات بين الاسكندرية والقاهرة وكذا السيطرة على تحويلة التليفونات العسـكرية الموجـودة بالدور الارضى بمبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة لمنع اجراء اية اتصالات بين قادة الجيش ووحداته .

وفى الوقت الذى تجرى فيه وحدات الاسلحة المقاتلة هذه التحركات لتنفيذ مهامها مستخدمة عربات نقل الجند التى يتم تجهيزها واعدادها بالوقود بواسـطة سلاح خدمة الجيش حددت مجموعات صغيرة من الضباط للقيام بعمليات اعتقال كبار قادة الجيش والطيران فى

بيوتهم لضمان عدم توجههم الى وحـــداتهم ومنعهم من اصدار أية أوامر لتحريك قوات عسكرية يمكن أن تتصدى للحركة .

وكان دور سلاح الطيران ينحصر فى السيطرة على مطاراته الثلاثة الرئيسية حول القاهرة وهى ألماظة ومصر الجديدة وغرب القاهرة ليلة ٢٣/٢٢ يوليو بمعـــــاونة وحدات من السيارات المدرعة وعلى أن يبدأ استخدام الطائرات المقاتلة صباح يوم ٢٣ يوليو بالقيام بعدة طلعات فوق القاهرة والاسكندرية على ارتفاع منخفض لاحـداث التأثير المعنوى المطلوب وهو تشجيع القوات المشتركة فى الحركة وفى نفس الوقت بث روح اليأس فى نفوس الملك وحكومته وأعوانه لحثهم على الاستسلام . وكان من أهم أهداف الطيران القيام بطلعات استطلاع فوق مداخـل القاهرة الشرقية لاستكشاف أية تحركات بريطانية فى اتجاه العاصمة تمهيدا للابلاغ عنها والتصدى لها والعمل فى الوقت نفسه على احباط أية محاولة يقوم بها الملك للهروب من مصر عن طريق البحر أو الجو .

واستكمالا لتنفيذ الخطة كانت الاوامر الصادرة لجميع قوات الحصار تقضى بمنع أى ضابط من رتبة مقدم فما فوق من اجتياز نطاق الحصار والدخول الى أماكن تجمع الوحدات بالمعسكرات حتى لا يفكر أحدمن الضباط القدامى فى القيام بأعمال مضادة للحركة .. وكان أمل قيـــادة الحركة فى انضمام باقى وحدات الجيش معقـودا على وصول الضباط الشبان من رتب الرائد والنقيب والملازم الى وحداتهم فى الصباح حيث سيكون من السهل عليهم

السيطرة على وحداتهم واعلان انضمامها الى القوات الثائرة فان مشاعرهم وأمانيهم لا تختلف عن تلك التى تملأ نفوس زملائهم من الضباط الاحرار وسوف يكون المجال امامهم متسعا بعد غياب القادة والضباط القدامى عن أنظارهم فان قوات الحصار سوف تكون قد تكفلت بابعادهم ومنع دخولهم الى المعسكرات . هذا ولم يكن واردا فى الخطة الاستيلاء على مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بثكنات قصر النيل (مكان فندق هيلتون ومقر الجامعة العربية حاليا) فقد كان المبنى خاليا بسبب وجود الفريق محمد حيدر القائد العام وهيئة مكتبه جميعا فى المقر الصيفى للقيادة العامة بثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية . وكانت السيطرة على وحدات الجيش بالمناطق الخارجية وخاصة فى سيناء والاسكندرية موكولة الى الضباط الاحرار بهذه الوحدات على أساس تنحية قادتها وتوليهم قيادتها بأنفسهم بمجرد ابلاغهم اشارة النجاح . ومن أجل اخطار ضباط لجنة القيادة الثلاثة فى سيناء بموعد الحركة وحتى يتأهبوا لتنفيذ واجبهم أرسل عبد الناصر أحد زملائه بلجنة القيادة وهو قائد الاسراب حسن ابراهيم على متن الطائرة المتجهة الى العريش صباح يوم ٢١ يوليو برسالة عاجلة تلقاها جمال سالم وأنور السادات فى مطار العريش كانت تقضى بنزول السادات الى القاهرة يوم ٢٢ يوليو لتنفيذ الواجب الموكول الى سلاح الاشارة فى تعطيل شبكة التليفونات ليلة ٢٣/٢٢ يوليو طبقا للخطة وتكليف جمال سالم وصلاح سالم بالسيطرة على قوات العريش ورفع بمجرد ابلاغهما اشارة النجاح .

ومن اجل الاتصال بالضباط الاحرار بالاسكندرية استدعى عبد الناصر النقيب احمد حمروش الضابط بالآلاى المضاد للطائرات بالاسكندرية وكلفه بنقل رسالة الى الضباط الاحرار بالاسكندرية لابلاغهم بموعد الحركة وبالدور المطلوب منهم من اجل تأمين المنطقة والسيطرة عليها .

وكانت الخطة فى اجمالها تتميز بالبساطة والواقعية وتحددت فيها الواجبات وفقا للامكانيات المتاحة ولو كانت قد سارت بالطريقة التى رسمت لها لأمكن للضباط الاحرار السيطرة على القوات المسلحة دون أية مقاومة ولتم اعتقال قادة الجيش فى بيوتهم ولكانت المفاجأة مذهلة للملك والحكومة فى الاسكندرية عند استماعهم الى البيان الاول للحركة فى السابعة والنصف من صباح ٢٣ يوليو من دار الاذاعة بالقاهرة ولكن الاقدار تدخلت وتسرب سر الحركة الى الملك وأعوانه قبل ساعة الصفر بثلاث ساعات على الاقل مما كاد يهدد الحركة بالفشل بل ويقضى عليها قبل أن تبدأ ولكن عناية الله كانت فى صف شعب مصر وجيشها فحدثت وقائع ومصادفات أغرب من الخيال مما أتاح للحركة فرصة الفوز والنجاح ورغم وقوع بعض الارتباك فى بادىء الامر الا أنه سرعان ما استقرت الاوضاع وجرى تنفيذ الخطة الموضوعة كما رسمت تماما .

ولكن الخطأ الوحيد الذى لم يظهر فى الخطة الا خلال مرحلة التنفيذ كان هو عدم ادراك واضعى الخطة ان استوديوهات الاذاعة وقتئذ بشارع علوى كانت تعتمد فى بثها على خطوط تليفونية متصلة بمحطة الارسال

الرئيسية بضاحية « أبو زعبل » ولذا فان من يسيطر على محطة الارسال هذه كان فى امكانه بث الارسال أو قطعه كما حدث فعلا صباح يوم ٢٣ يوليو عندما انقطع الارسال قبل القاء المقدم السادات البيان الاول للحركة الصادر باسم اللواء محمد نجيب وقد تم تدارك هذا الخطأ عن طريق عملية جريئة قام بها الرائد مجدى حسنين كما سيرد فيما بعد .

وكانت المرحلة الثانية من الخطة تقضى بالعمل على السيطرة على جهاز الحكومة المدنى عن طريق حكومة مدنية يثق فيها الشعب ويكون ولاؤها فى نفس الوقت مكرسا للجيش .

أما المرحلة الثالثة فكانت تقضى بالتخلص من الملك فاروق وكان لابد من اخفاء هذا الهدف حتى اللحظة الاخيرة ريثما يتم اعداد الخطوات التى تضمن تنفيذه تجنبا لتدخل القوات البريطانية اذا ما لجأ اليها الملك طالبا تدخلها لحمايته أو بمبادرة من جانبها لاغتنام الفرصة واستغلال الظروف .

وحددت ساعة الصفر لبدء التحركات الساعة الواحدة صباح ٢٣ يوليو واختيرت كلمة السر للعملية (نصر) .

وبعد أن انتهى زكريا محيى الدين من قراءة الخطة وضعها فى جيبه وقال « على بركة الله » وقبل أن ينصرف الضباط الحاضرون تبادلوا الاحضان والقبلات اذ كان من المحتمل أن يكون هذا اللقاء هو آخر لقاء بينهم .. وعندما انصرف زكريا التفت عبد الناصر الى الحاضرين قائلا :

الحكاية مش اقدمية ؟ . اذ انه كان المفترض أن يلقى عبد الناصر بنفسه أمر العمليات على زملائه ولكنه ترك

هذه المهمة كما ذكرنا لزكريا محيى الدين ونظرا لان زكريا كان أقدم منه فى الرتبة فقـد خشى من تأثير ذلك على زملائه الحاضرين .

كيف تأهبت القوات المدرعة ؟

فى الخامسة مساء وعقب انتهاء الاجتماع الذى عقد فى منزل خالد محيى الدين بمصر الجديدة اتجـه حسين الشافعى الى منزل زميله ثروت عكاشة ببيوت الضباط بثكنات العباسية وعكفا معا على دراسة الخطة التى عرف حسين تفصيلاتها أثناء الاجتماع المذكور ، ومضى الزميلان يستخلصان الواجبات المنوطـة بسلاح الفرسان وكانت هامة وخطيرة وقد دون ثروت عكاشة بخط يده الخطوات التنفيذية على وريقات صغيرة عددها عشر يمثل كل منها عملية من العمليـــات ووضع على رأس كل عملية اسم قائدها . وفى الثامنة مساء انضم الى الزميلين زميلهما الثالث فى قيادة الفرسان خالد محيى الدين ولم يكن الرجل قد تخلف عن الحضور اليهما بعد انتهاء الاجتماع الذى عقد فى منزله الا تلبية لواجبه الابوى نحو ابنته المريضـــة فقد حملهـا الى الطبيب بميدان الاسماعيلية (التحرير حاليا) كما كانت عادته كل يوم ـ وبمجرد عودته من عند الطبيب ارتدى ملابسه العسكرية وأسرع بالانضـــمام الى زميليه فى منزل ثروت ومضـــوا جميعا يراجعون تفصيلات الخطـة ويقومون بتوزيع المهـام على الوحدات المدرعة التى تقرر اشتراكها فى الحركة .

وخلال انهماك الضـباط الثلاثة فى عملهم دخل عليهم عبد الناصر فجأة وكان يرتدى قميصا وبنطلونا ولم يكن

قد ارتدى ثيابه العسكرية بعد ـ وقـدم ثروت عكاشة لزملائه طعاما خفيفا وعندما اطمأن عبد الناصر على قوة روحهم المعنـــوية انصرف وابتسامة الامل ترتسم على جميع قسمات وجهه ونظرا لما كان يعهده فى زميله ثروت من رقة العاطفة فقد التفت اليه قائلا « ثروت أرجو الا تجعل للعواطف اى تأثير عليك » وعندما حلت الساعة العاشرة مساء انهى الزملاء الثلاثة الاجتماع وتوجه حسين الشافعى وثروت عكاشة الى ثكنات سلاح الفرسان بينما أخذ خالد محيى الدين طريقه الى بوابة الفرســان التى تؤدى الى الكتيبة الميكانيكية التى كان يعمل قائدا ثانيا لها وفوجىء حسين وثروت بمجرد وصولهما الى ثكنات سلاح الفرسان بانطفاء الانوار فجأة وكان أول خاطر جال بأذهان الضباط ان ما حدث كان متعمدا وان الخطة قد انكشفت وان اطفاء الانوار ما هو الا وسيلة لاحباط المخطط الذى ينوون تنفيذه غير ان ذلك الامر لم يفت فى عضدهم بل دفعهم الى مزيد من الحماس وعلى ضوء الشموع ومصابيح اليد بدأ ثروت عكاشة يصدر الاوامر التنفيذية الى جميع الضباط المشــركين من وحـدات الدبابات والسيارات المدرعة بينمــا كان حسين الشافعى يشرف على سرعة وسلامة التنفيذ ، ولم تلبث الانوار ان أضيئت بعد أقل من نصف ساعة مما أكد للضباط أن انطفاءها كان عطلا طارئا وأمرا غير متعمـد ـ وكان الحظ حليف القوات المدرعة فى تلك الليلة فان دور خدمة الطوارىء بين وحدات القاهرة كان منوطا بكتيبة من الدبابات من سلاح الفرسان مما عاون على نجاح الخطة .

كيف بلغت ساعة الصفر خطـأ الى قـوة مدافع الماكينـة ؟

كانت مقدمة كتيبة مدافع الماكينة الاولى قد وصلت من العريش الى معسكر هاكستيب يوم ١٣ يوليو ٥٢ وهى وحدة ادارية ضعيفة لا يتجاوز عدد أفرادها المسلحين بالبنادق ٦٠ جنديا وكانت مهمتها اعداد المعسكر لباقى القوة الاساسية التى كان مقدرا وصولها يوم ٢٦ يوليو .

وكانت التعليمات الصادرة من قيادة الضباط الاحرار تقضى بتواجد قائد هذه القوة المقدم يوسف صديق هو وضباطه الساعة الثامنة مساء بمقر الوحدة بهاكستيب حيث يصله النقيب زغلول عبد الرحمن مندوبا عن قيادة التنظيم لابلاغه الاوامر النهائية الخاصة بساعة الصفر والواجب الذى حدد للقوة وفقا لخطة التحركات . ولم يكن أحد من ضباط قوة مدافع الماكينة - كما ذكر يوسف صديق فى مذكراته - يدرى شيئا عن الحركة المزمع القيام بها عدا قائدها بالطبع يوسف صديق والضابط الذى يليه فى الأقدمية النقيب عبد المجيد شديد . واستغل يوسف صديق فرصة الخطأ الذى ارتكبه الضابط المنوب فى الليلة السابقة بزوغانه من المعسكر ومبيته بالخارج فى ايجاد المبرر المعقول امام الضباط فى تكليفه لهم بالتواجد جميعا فى المساء بالمعسكر لقضاء الليل به بحجة أن ذلك سيكون فيه عبرة للجميع حتى لا يفكر أحد فى مخالفة الاوامر مرة أخرى - وتصادف حضور ثلاثة من الضباط الجدد فى هذا اليوم للانضمام الى قوة الكتيبة واستقر رأى يوسف بعد تردد على اشراكهم فى العمل الكبير المنتظر ليفخر كل منهم بعد

ذلك أمام أولاده واحفاده بما قام به فى أول يوم من خدمته بالجيش .

وحدد يوسف لضباطه الساعة السادسة مساء كى يلتقوا بميدان صلاح الدين بمصر الجديدة حيث يركبون العربات التى ستنقلهم الى معسكر هاكستيب .. ووصل يوسف الى مكان اللقاء مبكرا خمس عشرة دقيقة عن الموعد واشترى حقنة من صيدلية مجاورة لوقف نزيف الرئة الذى كان قد عاوده فى الايام الاخيرة وبعد أن حقنه التومرجى الموجود بعيادة أحد الاطباء بالميدان شعر بالهدوء والراحة . وفى تمام السادسة اكتمل عقد الضباط الذين بلغ عددهم اثنى عشر ضـــــابطا فاستقلوا العربات الى معسكرهم .

وفى الساعة الثامنة مســـــاء وصل النقيب زغلول عبد الرحمن مندوب قيــادة التنظيم وكان يحمـل معه بطيخة كبيرة ولما حاروا فى قطعها لعدم وجود سكين استخدموا سونكى بندقية فى ذلك . وفى الوقت الذى انهمك فيه الضباط فى تقطيع وتوزيع البطيخة انفرد زغلول عبد الرحمن بالمقدم يوسف صديق وأفضى اليه بأمر القيادة الذى كلف بنقله اليه :

ساعة الصفر منتصف الليل الواجب المخصص للقـوة مساندة سرية الكتيبة ١٣ المشاة فى تنفيذ واجبها فى الاستيلاء على مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة .

وقد ارتكب زغلول عبد الرحمن خطأ جسيما فى مفهوم الفن العسكرى بابلاغه ساعة الصفر مبكرة عن موعدها الصحيح بمقدار ساعة كاملة اذ أن تقديم ساعة الصفر أو تأخيرها عن الموعد المحدد فى خطة العمليات قد يؤدى الى

فشل العملية بأكملها وقد يتعرض مرتكبها الى تقديمه للمحاكمة العسكرية ولكن الله سلم فبدلا من أن يؤدى هذا الخطأ غير المقصود الى الفشل كان من أهم عوامل النجاح للحركة .

كيف استعدت الكتيبة ١٣ مشاة لأداء دورها التـــــاريخى ؟

على اثر الزيارة التى قام بها عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال حماد لمنزل العقيـــد أحمـد شوقى بمصر الجديدة قبيل الحـركة ببضع ســاعات والتى انتهت بانضمامه الى الحركة كما سبق أن وضحنا انتقل الجميع الى سيارة عبد الناصر للتوجه بها الى منزل الرائد صلاح نصر اركان حرب الـكتيبة ١٣ بشارع الدويدار بحدائق القبـة حيث كان من المقـرر وصول زكريا محيى الدين حوالى السادسة مساء لالقاء أمر العمليات الذى سوف يحدد المهام التى أوكلت الى سرايا الكتيبة ١٣ وفقا للخطة الموضوعة .

وما كاد جرس الباب يدق ببيت صلاح نصر بحدائق القبة فى السادسة مساء حتى تملكته الدهشة بمجرد أن فتحه فقد وجد أمامه قائد كتيبته العقيد أحمد شوقى ولم يكن لديه اية فكرة ان رئيسه مشترك معه فى الحركة فقابله بالعنـــاق والترحيب . وبمجرد وصول زكريا محيى الدين بدأ الاجتماع الذى حضره مع صلاح نصر كل من أحمد شوقى وجمال حماد والنقيب جمال القاضى واتم زكريا تحديد الواجبات التى خصصت لسرايا الكتيبة

وفقا للخطة الموضوعة وانتهى الاجتماع فى السابعة مساء وانصرف زكريا محيى الدين .

وفى منيل الروضة كان نحو عشرة من ضباط الكتيبة ١٣ مشاة ينتظرون وصول المندوب الذى سيحمل لهم الاوامر التفصيلية منذ السادسة مساء فى شقة زميلهم الرائد صلاح سعده بشارع خلوصي بمنيل الروضة .

وكانت أولى المفاجآت بالنسبة للضباط الذين بكروا فى الحضور عندما انفتح باب الصالون الذى يجلسون فيه ليجدوا امامهم النقيب عمر محمود على قائد السرية الرابعة ومعه ثلاثة من ضباط الكتيبة الملازمين . وكان سر المفاجأة ان أحد الضباط الثلاثة المرافقين له كان الملازم اول واصف لطفى حنين . وكان واصف ضابطا مسيحيا يخدم بالسرية التى يقودها عمر محمود ولم تكن له أية صلة بتنظيم الضباط الاحرار .. وروى النقيب عمر لزملائه وقتئذ قصة انضمام هذا الضابط التى تعتبر مثلا فى البطولة وصدق الوطنية .. فعندما استقل عمر محمود الاوتوبيس من ميدان المحطة مع زميليه نهاد منير ومصطفى أبو القاسم فى طريقم الى اجتماع ضباط الكتيبة الاحرار فى منيل الروضة تصادف أن وجدوا فى نفس الاوتوبيس زميلهم واصف حنين .. ونظرا لما كان يتصف به هذا الضابط من رجولة ووطنية لذلك لم يخف عليه عمر محمود وجهتهم عندما بادره واصف بالسؤال عن ذلك وأبلغه انهم فى طريقهم لتلقى الاوامر الخاصة بقيام الحركة تلك الليلة .. وفى شجاعة نادرة وبدون ادنى تردد انضم واصف حنين الى زملائه الاحرار

وقصد معهم الى منزل صلاح سعده حيث كانت المفاجأة التى استقبلها زملاؤه بالفرحة والثقة فى النجاح . وأسهم واصف مع زملائه ضباط الكتيبة ١٣ فى الحركة ونفذ الواجب الذى اوكل اليه شخصيا فى تلك الليلة وهو الاستيلاء بفصيلته على بوابة معسكر العباسية التى كانت تواجه كليـــــة الشرطة وقتئذ ، وكانت المفاجأة الثانية بالنسبة لضباط الكتيبة ١٣ حينما انفتح الباب فى حوالى الثامنة مساء ليروا امامهم قائدهم العقيد أحمد شوقى واركان حرب الكتيبة صلاح نصر .. وكانت فرحتهم غامرة حينما حضر معهم الاجتماع الرائد ا . ح جمال حماد أركان حرب سلاح المشـــاة فقد ارتفعت روحهم المعنوية وادركوا أن الحركة التى سيشتركون فيهـــا مخططة ومرسومة على أعلى المستويات . وأدخل صلاح سعده الضباط الموجودين الى قـاعة الطعام التى كانت تتوسطها مائدة طويلة أشبه بموائد المؤتمرات فجلسوا حولها واستمر المؤتمر منعقدا حتى التـــاسعة والنصف مســـاء وتم توزيع المهـــام واصـــدار جميع الاوامر التفصيلية واتفق على أن يتقابل الجميع فى الحادية عشرة والنصف فى ميس الكتيبة ١٣ بمعسكر دودج بالعباسية.

وعندما انفض الاجتماع استقل أحمد شوقى وجمال حماد والنقيب القـــاضى السيارة الجيب التى كانت بصحبتهم الى منزل جمال القـاضى بالمنيل حيث ارتدى ثيابه العسكرية ثم الى منزل جمال حماد بالجيزة ليرتدى ثيابه العسكرية .

وواجهت جمال حماد فى منزله محنة حادة لم يكن يتوقعها اذ وجد زوجته تعانى آلام المخاض وقد وأشكت

على الوضع ولما فوجئت بارتداء زوجها ملابسه العسكرية فى مثل هذا الوقت من الليل وعلل لها ذلك بأنه نوبتجى فى رئاسة المشاة انبأته ان قلبها يحدثهـــا بأنه ذاهب للاشتراك فى حركة انقلاب عسكرى .. واشتد به القلق خشية ان يكون سر الحركة قد انكشف الى الدرجة التى جعلت زوجته فى بيتها تطلع على ما كانوا حريصين على اخفائه ولكن الاطمئنان لم يلبث ان عاود نفسه حينما تأكد بعد استجواب زوجته من أن ما ذكرته لم يكن الا مجرد احساس من جانبها وأراد أن يبعد عن خاطرها أية أفكار او شكوك فرد عليها قائلا « وهو احنا عندنا رجاله عشان نعمل انقلاب » وعلى الرغم مما ذكره لها فانها لم تشأ أن يغادر باب الشقة حتى جاءته بمصحف صغير وضعته فى جيبه وهى منخرطة فى البكاء فاشـــتد تأثره وطلب منها تقبيل أولاده وهو يهرول نازلا على السلم فى الوقت الذى توالت دعواتهـــا له بالتوفيق . واتجه الركب الى مصر الجديدة حيث منزل العقيد احمـــد شـوقى فارتدى ملابسه العسكرية وبقى الضيفان عنده فى صالون المنزل حتى الحادية عشرة مساء فاستقلوا جميعا الســـيارة الجيب وفى الطريق الى المعسكر عرج أحمد شوقى على محل ليمونيا بمصر الجديدة حيث اشترى لكل منهم بعض الشــــطائر والمخللات التى حملوها معهم الى ميس الكتيبة ١٣ .

ولم تصادف السيارة لحسن الحظ اية عقبات عنـــد دخولها معسكر العباسية وعندما وصل الرفاق الثلاثة الى ميس الكتيبة وجدوا باقى الضباط فى انتظارهم فجلسوا معهم فى هدوء وراحة بال يأكلون الشطائر ويشربون المرطبات ويستمعون فى سخرية واستهزاء الى الراديو

الذى كان يذيع بلا انقطاع مراسم تشكيل الوزارة الجديدة التى كانوا يعلمون جيدا أنهم قد أعدوا لها أكفانها وهيأوا لها لحدها .

كيف تاهب رجال المدفعية ؟

لم تنقطع اجتماعات ضباط المدفعية قبل بدء الحركة بأيام وحرصا على دواعى السرية والامن تحدد لاجتماع الضباط يوم ٢٢ يوليو مكانان فى السادسة مساء بمصر الجديدة أحدهما منزل النقيب محسن عبد الخالق وثانيهما منزل النقيب فتح الله رفعت .

وعندما غادر عبد المنعم امين وكمال الدين حسين منزل خالد محيى الدين عقب الاجتماع الذى تم فيه مناقشة الخطة النهائية اتجها معا الى منزلى الضابطين اللذين تجمع فيهما ضباط المدفعية الاحرار حيث عقدا اجتماعين متواليين لم ينتهيا الا قرب الثامنة مساء .

وتلقى ضباط المدفعية خلال الاجتماعين المهام التى كلفوا بها وحددت لهم واجبات وحداتهم بالتفصيل وفقا لخطة العمليات واتفق على تواجد الضباط بوحداتهم قبل منتصف الليل ليبدأ التحرك فى الواحدة صباحا وهى ساعة الصفر المحددة بالخطة . ونظرا لان معظم الضباط الاحرار بالمدفعية كانوا من الرتب الصغيرة (نقيب وملازم) فقد لاحظ عبد المنعم امين أن بعضهم كان يخالجه التردد بالنسبة لتبرير سبب وجودهم فى وحداتهم فى هذه الساعة من الليل اذا ما فاجأهم أحد قبل ساعة الصفر . وذكر عبد المنعم امين انه ازاء هذا التردد

الذى كان يشكل خطورة على روح الضباط المعنوية بادر بتوقيع أوامر كتابية للضباط باعتباره الضابط العظيم المنوب لسلاح المدفعية يأمرهم فيها بالتواجد فى وحداتهم عند منتصف الليل مدعيا قيام حالة طوارىء وكان عبد المنعم أمين يعمل وقتئذ قائدا تانيا للدفاع المضاد للطائرات التى تقع رئاسته فى منطقة العباسية ولم يكن بالطبع ضابطا عظيما لسلاح المدفعية فى تلك الليلة ولكنه وقع الاوامر الكتابية للضباط بهذه الصفة على مسئوليته وكان لذلك تأثير فعال فى رفع الروح المعنوية للضباط ولم يكن هذا الامر المزور كما قدر عبد المنعم وهو يشكل جناية عسكرية هى التزوير فى أوراق رسمية بأمر ذى بال اذا ما قورن بالادعاءات الاخرى التى كانت ستوجه ضده ـ اذا ما فشلت الحركة ـ والتى عقوبتها الاعدام .

سر الحركة يتسرب إلى الملك

فى حوالى التاسعة مساء يوم ٢٢ يوليو تعرضت الحركة لاكبر خطر يمكن أن تصادفه بل وكاد يقضى عليها قبل ان تبدأ فلقد بلغ الملازم أول حسن محمود صالح زملاءه ضباط مدفعية الميدان انه ما كاد يرتدى ملابسه العسكرية ويتأهب للنزول من البيت ليلحق بزملائه الذين كانوا ينتظرونه فى عربة لورى أسفل المنزل وعندما هم بتوديع والدته طالبا دعواتها فاض به التأثر الى الحد الذى دب معه الشك الى نفسها فأسرعت الى التليفون تحدث نجلها الاكبر العقيد طيار صالح محمود صالح حيث أنبأته بشكها فى أن أخاه حسن ذاهب مع بعض زملائه الليلة للاشتراك فى عمل ثورى ضد السلطات .. وقد ذكر النقيب ابو الفضل الجيزاوى انه حاول تدارك الموقف باعطاء الملازم اول حسن سيارته واعادته الى والدته للبقاء معها كوسيلة لازالة شكوكها وهواجسها .. لكن ذلك كله كان عديم الجدوى فان العقيد طيار صالح لم يشأ ان يضيع الفرصة الذهبية التى هيأها له القدر للعودة الى الخدمة العاملة فلقد كان محالا على الاستيداع منذ يناير ٥١ وكان من المنتظر احالته على التقاعد واسرع

صالح الى التليفون حيث طلب من عامل التحويلة بمطار مصر الجديدة ايصاله على وجه السرعة بضابط الحرس الملكى المنوب فى قصر القبة وعنــدما تم الاتصال أخطره بالنبأ المثير عن اعتزام بعض ضباط الجيش القيام بحركة ضد السلطات فى تلك الليلة وطلب منه ابلاغ المسئولين بالاسكندرية وعلى راسهم الملك بالطبـــــع لتدارك الامر واتخاذ الاجراءات المناسبة مع التأكيد عليه بضرورة ذكر اسمه باعتباره أخلص الضباط لصاحب العرش كى يجنى الثمار عندما يتم القضـــاء على أولئك المتمردين . وبات صالح تداعبه أحلامه بقرب تحقيق أمانيه وانفتــاح باب الترقى على مصراعيه أمامه لتولى اخطر المنـاصب فى سلاح الطيران ولكن آماله لم تلبث ان تبددت فى الصباح بمجرد ان استمع الى البيان الاول للحركة من الراديو وسرعان ما حول مفتاح الولاء فى ضميره من الملك الى قائد الحركة الجديد محمد نجيب فهرول الى مبنى القيادة بكوبرى القبة طالبا لقاءه بعد أن أعد فى ذهنه ما سيعدده له من ألوان الظلم الذى حاق به بسبب وطنيته واصراره على اتباع جانب الحق حتى أحالوه على الاستيداع ظلما وعدوانا . ولكن مفاجأة أليمة كانت فى انتظاره فما كاد يذكر اسمه ويوضح مطلبه حتى وجد نفسه مقبوضا عليه ثم موضــوعا فى السجن رهن الاعتقال وكان الفضل فى انكشاف أمره وفقا لما رواه البغـدادى فى مذكراته فى الصفحة ٥٣ راجعــــا الى عامل التليفون بمطــار مصر الجديدة الذى اتصل به صالح فى مساء اليوم السابق فقد استمع ــ كما هى عادة معظم عمال التليفونات ــ الى الحديث التليفونى الذى دار بينه وبين ياور الملك

النوبتجى فى سراى راس التين بالاسكندرية وبلغ عامل التليفون مضمون الحديث صباح يوم ٢٣ يوليو الى عبد اللطيف البغدادى حيث أعد لصالح محمود صالح القصاص العادل واستطرد البغدادى فى مذكراته فى الصفحة ٥٣ قائلا : « هذا وقد قام صالح محمود بهذا الابلاغ ليحصل على ميزة مقابل هذا الدور منه خاصة انه كان محالا الى الاستيداع وكان معروفا بين زملائه ضباط الطيران بسوء السمعة والسلوك » .

وليس هناك اى خلاف فى القصة التى وقعت فعلا وبين تلك التى رواها البغدادى فى مذكراته سوى فى اتصال صالح محمود بالسرآى فالثابت انه اتصل بضابط الحرس الملكى المنوب بقصر القبة بالقاهرة وليس بالياور المنوب فى رأس التين كما ذكر البغدادى فقد كان صالح حريصا على سرعة اجراء الاتصال حتى لا يسرقه الوقت علاوة على ان الملك وياورانه كانوا موجودين وقتئذ فى قصر المنتزه بالاسكندرية ولم يغادروه الى رأس التين الا يوم ٢٥ يوليو ٥٢ هذا وقد أثبت العقيد حسن جميعى قائد الحرس الملكى بالقاهرة ليلة الثورة واقعة اتصال صالح محمود صالح بالضابط المنوب بسراى القبة للابلاغ عن حركة الجيش وذلك فى المذكرة التى ارسلها الى لجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو . ومما يسترعى النظر انه لا يؤرخ لحركة الجيش الا وتذكر واقعة اتصال صالح محمود صالح بالسراى للابلاغ عنها أى انه قد دخل التاريخ ولكن من أضيق أبوابه ودون فى سجلاته ولكن فى أتعس فصوله وصفحاته . هذا وقد ثبت ان سر الحركة لم يتسرب الى السراى عن طريق صالح محمود وحده فقد حدث التسرب عن طريق آخر وان كان ذلك

الطريق لم يقيض له ذيوع الشهرة والانتشار مثلما حدث لطريق صالح محمود . وقد جرى التسرب الثانى بحسن نية وبدون قصد عن طريق أحد الضباط الاحرار فى سلاح الفرسان وكان يعتقد ان احد رملائه فى السلاح وهو النقيب فؤاد كرارة من الضباط الاحرار ولذا تحدث امامه بصراحة وبدون حذر عن الحركة التى سيشتركون فيها بعد بضع ساعات .. وكانت أسرة كرارة معروفة بصلتها الوثيقة وعلاقتها الخاصة باللواء أحمد طلعت حكمدار القاهرة ولذا لم تمض فترة قليلة الا وكانوا قد طيروا النبأ المثير الى أحمد طلعت فارتدى ثيابه وغادر منزله فى الحال الى مكتبه حيث أقام الدنيا وأقعدها .

هذا ولم يعلم عبد الناصر بنبأ تسرب سر الحركة الى السلطات العليا الا قبيل منتصف الليل وقد ذكر هذه الواقعة بالتفصيل فى خطابه بمناسبة العيد العاشر للثورة فقال : « الساعة حداشر ونص فى هذا اليوم جاءنى أحد الضباط الاحرار اللى كانوا فى المخابرات (المقصود هو الرائد سعد توفيق) فى البيت وقال لى ان الثورة اكتشفت وان الملك فى الاسكندرية اتصل بقائد الجيش وان قائد الجيش طلب عقد مؤتمر لكبار الضباط فى كوبرى القبة وان لابد أن نلغى كل شيء .. ماكانش ممكن بأى حال من الاحوال ان احنا نلغى كل شيء .. كان الضباط وصلوا الى وحداتهم وكان لابد أن نستمر فى عمليتنا الى النهاية .. قلت له ان احنا لن نستطيع ابدا .. العجلة دارت ولن يستطيع انسان أن يوقف هذه العجلة » هذا ولم يخامر عبد الناصر اليأس عندما تلقى هذه الانباء المزعجة المثبطة للعزائم بل على العكس هداه تفكيره الى ضرورة تعديل الخطة وانتهاز فرصة تجمع

القادة فى مبنى رئاسة الجيش لاقتحام المبنى بأقرب فرصة دون انتظار ساعة الصفر لاعتقال جميع القادة الموجودين بضربة واحدة وأسرع بسيارته الي منزل عبد الحكيم عامر بالعباسية واستقل الاثنان عربة جمال وكان هدفهما هو محاولة الحصول علي قوات عسكرية بأسرع وقت ومن اقرب المعسكرات ولذا اتجه تفكيرهما على الفور الي معسكر الكتيبة ١٣ مشاة بالعباسية التى خصص لها الدور الاكبر فى تحركات المشاة بالخطة .

ولكن عبد الناصر وعبد الحكيم لم يتمكنا من دخول معسكر العباسية فقد شاهدا قوة من البوليس الحربى تحتل البوابة الرئيسية وتسد الطريق الى المعسكر مما جعلهما يعدلان عن فكرتهما خشية وقوعهما فى الاسر .

وذكر عبد الناصر انه على اثر ذلك اتجه تفكيرهما الى التوجه الى كمال الدين حسين فى الماظة ليحصلا منه على قوات من المدفعية لتنفيذ فكرة الهجوم على مبنى رئاسة الجيش .

هذا وتدل تصرفات عبد الناصر وعبد الحكيم فى مواجهة الموقف بعد أن فشلا فى دخول معسكر العباسية على مقدار ما أصاب تفكيرهما من اضطراب نتيجة لادراكهما مدى الخطر الجسيم الذى تتعرض له الحركة بعد ان انكشف سرها للسلطات مما قد يؤدى الى قيام قيادة الجيش باتخاذ اجراءات مضادة ربما يكون فيها القضاء عليها قبل أن تبدأ .. ويدل على ذلك تفكيرهما فى التوجه الى كمال الدين حسين فى الماظة لاحضار قوات من المدفعية كما ذكر عبد الناصر فى خطابه وغاب عن ذهنهما الحل السريع المباشر الذى كان من المفترض أن يتبعاه لو كانا يفكران فى هدوء وبدون ارتباك أو انفعال اذ أن تكنات

سلاح الفرسان كانت فى خط سيرهما الى مصر الجديدة والماظة ولم تكن تبعد عن ميدان العباسية الا حوالى كيلو مترين تقطع فى دقيقتين بالسيارة وكانت بوابة سلاح الفرسان تواجه مبنى رئاسة الجيش مباشرة حيث مكتب حسين فريد والقادة المجتمعين معه ـ وكان الضباط الاحرار فى سلاح الفرسان قد أحكموا سيطرتهم على ثكناتهم منذ بضع ساعات وأعدوا الدبابات والسيارات المدرعة استعدادا للتحرك فى ساعة الصفر وكان موجودا وقتئذ داخل هذه الثكنات حسين الشافعى وثروت عكاشة وخالد محيى الدين وحوالى ثلاثين ضابطا من الضباط الاحرار على أتم الاهبة والاستعداد ... ولم يكن الحرس الذى يتولى حراسة القيادة وقتئذ يتكون من اكثر من ستة جنود والحكمدار مسلحين بأسلحتهم الشخصية وهى البنادق وليس فى حوزة كل منهم سوى خمس طلقات ولم يكن الامر يحتاج لبضع دقائق ليتمكن تروب واحد فقط من السيارات المدرعة من الخروج من بوابة الفرسان واجتياز شارع الخليفة المأمون بعرض الطريق ... وكان ظهور السيارات المدرعة أمام باب مبنى رئاسة الجيش كافيا لاستسلام الحرس دون الحاجة الى اطلاق نيران الرشاشات من داخل السيارات المدرعة بقصد احداث التأثير المعنوى .. ولو لجأ عبد الناصر وعبد الحكيم الى سلاح الفرسان كما كان الواجب لانتهت مقاومة حرس رئاسة الجيش فى دقائق ولامكن لرجال المدرعات اعتقال جميع القادة الموجودن وعلى رأسهم الفريق حسين فريد دون جهد أو عناء .

ولكن الاقدار شاءت أن يغفل عبد الناصر وزميله عن التوقف عند بوابة الفرسان وأن يواصلا السير بسيارتهما

فى اتجاه مصر الجديدة وبدلا من أن يقابلا كمال الدين حسين كما كان هدفهما التقيا صدفة وفى ظروف غريبة بطابور طويل من العربات ... وأيقن عبد الناصر ان هذا الطابور هو من القوات التى حركها حسين فريد بلا شك لضرب الحركة فان ساعة الصفر التى يبدأ فيها تحرك قوات الحركة باق عليها ما لا يقل عن نصف ساعة كما ان على راس الطابور سيارة ركوب يخفق عليها علم القيادة وداخلهـــــا قائدان يرتديان الكابات الحمراء فاقترب عبد الناصر وزميله خطوات من الطابور المتحرك لاستطلاع حقيقة امره واذا بهما يجدان نفسيهما بعد لحظات أسيرين وسط مجوعة من الضباط والجنود المجهولين والبنادق والسونكيات مشهرة فى وجهيهما وأسقط فى يدهما وأدركا أنهما قد وقعا فى كمين محكم أعدته لهمـا القوات الموالية للملك وان الحـــركة قد فشلت ولكن الموقف الحقيقى لم يلبث أن تكشف لهما وجاءهما الفرج على غير انتظار ولمحا يوسف صـديق ينزل من سيارته الجيب فى أول الطابور ليخرجهما من هذه الورطة ويخبرهما ان الطابور الذى شاهدوه هو طابور قواته من كتيبة مدافع الماكينة الاولى القادم من الهاكستيب وان القائدين اللذين فى العربة بمقدمة الطابور هما قائد الفرقة الثانية وقائدها الثانى وان قواته قد أسرتهما أثناء التحرك . واكتشف يوسف صديق لاول مرة انه قد بلغ ساعة الصفر خطأ وانه تحرك مبكرا ساعة عن الموعد المحدد وبلغه عبد الناصر بنبأ تسرب سر الحركة الى الملك وأعوانه وان حسين فريد فى مكتبه برئاسة الجيش فى اجتماع مع قادته لاتخاذ الاجراءات المضادة للحركة ـ وكان هذا اللقاء دليـــلا واضحا على تدخل القدرة الالهية لانقاذ حركة الجيش

من الفشل وتم الاتفاق بين عبد الناصر ويوسف صديق على أن يواصل الطابور تحركه الى مبنى رئاسة الجيش لاقتحامه واعتقال جميع القادة الموجودين فى مكتب الفريق حسين فريد .

ماذا فعل اللواء احمد طلعت حكمدار القاهرة ؟

ما كاد اللواء احمد طلعت يصل اليه نبأ الحركة فى حوالى التاسعة مساء حتى أسرع الى مكتبه بالدور الثانى بديوان المحافظة القديم بباب الخلق وارسل فى استدعاء ضباط البوليس السياسى الذين كانت مكاتبهم تقع فى الدور الاول من المبنى والذى كان يرأسهم اللواء محمد ابراهيم امام .. ولم يكن أحد منهم فى مكتبه سوى المقدم محمد الجزار والرائد حسين الريحانى اللذين أدركا من حالته مدى ما كان يعانيه من توتر عصبى واضطراب .. وكان الحكمدار تتصارع فى أعماقه عوامل متضاربة فهو يعلم مقدار ما سوف يناله من حظوة وشهرة لدى رؤسائه لو صدق البلاغ الخطير الذى وصله عن حركة ضباط الجيش المنتظرة ومن جانب آخر كان يخشى ما سوف يجره عليه مثل هذا البلاغ من نكبات اذا ما اثبتت الوقائع عدم صحته فان ما ينتظر من ابلاغه على الفور الى الملك وما سيتبع من اعلان حالة الطوارىء واستنفار قوات الجيش والبوليس وانشغال الملك ورئيس الوزراء وأعضاء الحكومة بهذا الامر ... كل ذلك سيزيد من سوء موقفه ويظهره بمظهر الطيش والخفة اذا لم يثبت صحة بلاغه مما قد يعرضه لفقد منصبه . واشرك أحمد طلعت الضابطين الجزار والريحانى فيما كان يدور فى أعماقه

من خواطر بعثت فى نفسه الحيرة وسببت له القلق ولكن المقدم الجزار لم يلبث أن نصحه أن يتوكل على الله ويبلغ السلطات فليس أمامه خيار آخر ما دام يثق فى معلوماته تلك الثقة الكاملة .. واقتنع الحكمدار بهذه النصيحة فطلب من عامل التحويلة بقصر عابدين ايصاله على الفور بالعميد أحمد كامل رئيس بوليس القصور الملكية بقصر المنتزه بالاسكندرية وبعد فترة وجيزة كان احمد كامل معه على الخط .. ونقل الحكمدار الىأحمدكاملالنبأالمثير الذى تردد رئيس بوليس القصور الملكية فى تصديقه فى بادىء الامر حتى أكد له أحمد طلعت ثقته الكاملة فى مصادره مما دعاه الى الاقتناع أخيرا ووعده بأنه سيسرع بنقل هذه المعلومات الخطيرة الى الملك ووزيرى الداخلية والحربية وسيطلب من الوزيرين الاتصال به شخصيا .

ويتضح من مجرى الاحداث أن تسرب الانباء عن حركة الجيش المنتظرة الى السراى ـ رغم أن التسرب حدث من مصـــدرين مختلفين ـ الا أن توقيت ابلاغهما النبأ الى السلطات جاء فى وقت واحد تقريبا وهو حوالى التاسعة والنصف مساء وسار البلاغان فى خطين متوازيين أحدهما عن طريق الجيش وقد بدأه صالح محمود صالح بالابلاغ الى ضابط الحرس الملكى المنوب بقصر القبة وانتهى عند الياور النوبتجى بقصر المنتزه والثانى عن طريق البوليس وقد بدأه فؤاد كرارة بالابلاغ الى الحكمدار أحمد طلعت وانتهى عند العميد أحمد كامل رئيس بوليس القصور الملكية . ومن العجيب ان الخطين المتوازيين قد التقيا فى النهاية عند شخص واحد ولم يكن هذا الشخص هو رئيس الوزراء أو رئيس الديوان الملكى كما كان المفترض

بل كان هـو محمـد حسن السليماني شماشرجى الملك وأمينه الخاص وحلقة الاتصال الوحيدة به .

ولم يكن فاروق فى تلك الليلة يعانى من اية هموم أو مشكلات بل على العكس كان منشرح الصدر بادى المرح فقد انتهت مراسم تشكيل وزارة نجيب الهلالى بادائها اليمين الدستورية أمامه فى قصر المنتزه منذ ساعات قلائل وكان ينتظر على يديها عودة الهدوء والاستقرار الى البلاد وكانت الليلة موعدا لاقامة حفل ساهر بالبهو الكبير بالدور الثانى من قصر المنتزه ابتهاجا بتقلد زوج شقيقته اسماعيل شيرين منصب وزير الحربية فى وزارة الهلالى وكان قد ضغط على الهلالى ضغطا شديدا لقبوله بالوزارة كما رأينا من قبل . وكان الحفل الساهر مقتصرا على أفراد الاسرة المالكة فحضرته الملكة ناريمان وشقيقتا الملك فوزية وفايزة وزوجاهما اسماعيل شيرين ومحمد على رءوف .

وعندما استمع محمـد حسن الى النبأ العجيب من الياور النوبتجى نقلا عن العقيد طيار صالح محمود صالح تردد فى بادىء الامر فى ابلاغ الملك خشية افساد الحفل الساهر الذى بذلت كل الجهود وأنفقت الاموال ليخرج فى أتم الروعة والبهاء علاوة على أن مصدر النبأ لم يكن موضع الثقة فربما يكون هذا الضابط الطيار قد جمح به الخيال ولذا طلب محمد حسن من الياور المنوب أن يتأكد من صحة النبأ ولكن بلاغ العميد أحمد كامل رئيس بوليس القصور الملكية نقـلا عن اللواء أحمـد طلعت حكمدار القاهرة لم يلبث أن قضى على كل تردد عند محمد حسن ففاجأ الملك وأسرته بدخوله الحفل دون توقع أو انتظار

مما دل على حدوث أمر خطير فسكتت الموسيقى عن العزف وكف الراقصون عن الرقص واستمع فاروق فى انزعاج الى النبأ المثير من خادمه الخاص ولكنه لم يلبث أن تمالك أعصابه وهز كتفيه وأطلق ضحكته المدوية المعروفة عنه قائلا :

ـ مش معقول الكلام ده .. الجيش فى جيبى ... على كل حال اتصلوا بحيدر وحسين فريد يشوفوا الحكاية ايه ويبلغونى .

وبدأت اتصالات أحمد كامل من مكتبه بقصر المنتزه بالاسكندرية تتركز على رجلين بالقاهرة انتقل اليهما كل محور الاهتمام والتركيز وهما اللواء أحمد طلعت حكمدار القاهرة والفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش ... وأخذ تليفون أحمد طلعت باعتبار المصدر الرئيسى للأنباء يرن فى مكتبه دون انقطاع وكان المتحدثون هم وزير الداخلية ووزير الحربية الذى انسحب فترة من الوقت من الحفل الساهر للاطمئنان على الموقف ثم الفريق حسين فريد من مكتبه برئاسة الجيش بكوبرى القبة .. وتحدث اليهم أحمد طلعت الواحد بعد الآخر ولاقى عنتا وارهاقا شديدين حتى حملهم على قبول تلك المعلومات العجيبة على علاتها اذ كيف يصدقون أن تجرى مثل تلك الامور فى مصر ومن ضباط ذلك الجيش المطبوع على ولائه لقائده الاعلى ؟ ومع ذلك وفى نهاية حديث وزير الداخلية والحربية اتفق على اعلان حالة الطوارىء بالجيش والبوليس فى وقت واحد وقام مرتضى المراغى وزير الداخلية بابلاغ أحمد طلعت بتعليمات الحكومة التى كانت تقضى باعلان حالة الطوارىء وضرورة تواجد جميع

قوات البوليس فى مواقع عملها بأسرع وقت ممكن على أن يضع الحكمدار فرقة الامن المدرعة وهى القوة الضاربة الوحيدة لدى البوليس تحت قيادته المباشرة . كذلك نصت الاوامر على ضرورة دفاع رجال البوليس عن الاقسام والوحدات الخاصة بهم وعدم السماح للمتمردين من احتلالها أو الاقتراب منها وطلب وزير الداخلية من الحكمدار ضرورة تعاونه وجميع القوات التابعة له مع قوات البوليس الحربى وسلاح الحدود الموالين للملك فى احباط أية تحركات للمتمردين ـ كما أطلقوا على القوات القائمة بالحركة .

الفريق حسين فريد يساعد بتصرفاته على نجاح الحركة

لم يعلم الفريق حسين فريد بأى نبأ عن الحركة قبل الساعة التاسعة والنصف مساء وكان ذلك عن طريق العميد أحمد كامل رئيس بوليس القصور من الاسكندرية . واستقبل حسين فريد النبأ الخطير وهو بمنزله بمصر الجديدة ، وكان أول ما فعله هو الاتصال بمدير مكتبه العقيد عبد العزيز فتحى لارسال سيارته وليلتقى به فى مكتبه برئاسة الجيش . وبادر حسين فريد بالاتصال تليفونيا باللواء طلعت حكمدار العاصمة ليستفسر منه عن حقيقة ما وصله من أنباء تلك الحركة التى ينوى بعض ضباط الجيش القيام بها ولكن اللواء طلعت لم يشف غليله فان المعلومات لديه كانت قاصرة والتحركات والاهداف بالنسبة لنوايا الضباط غير محددة أو واضحة .

وارتدى حسين فريد ملابسه العسكرية بسرعة

وهرول الى مكتبه بكوبرى القبة حيث وجد مدير المكتب فى انتظاره ولم يكن فى مبنى رئاسة الجيش وقتئذ من الضباط غيرهما سوى المقدم نائب الاحكام حسن سرى من ادارة الجيش الذى اوقعه سوء طالعه ليكون الضابط العظيم المنوب برئاسة الجيش فى هذه الليلة فمكث بجوار مكتب الفريق حسين فريد منتظرا اية تعليمات تصدر اليه ليتولى تنفيذها .

وكانت أمام الفريق حسين فريد ساعتان من الزمن على الاقل قبل أن يبدأ اى واحد من الضباط الاحرار فى التحرك بقواته من أى معسكر من معسكرات القاهرة فقد كانت الاغلبية العظمى من الضباط الاحرار لا يزالون فى بيوتهم ينتظرون حلول الوقت المناسب للتحرك الى المعسكرات كى يصلوا اليها وفقا للتعليمات فى حوالى منتصف الليل ليتم لهم أعداد قواتهم وتجهيزها كى يبدأ التحرك فى الواحدة صباحا طبقا للخطة . ولم يكن موجودا داخل المعسكرات فى هذه الساعة سوى الضباط الاحرار بسلاح الفرسان الذين كانوا مقيمين بثكناتهم لم يغادروها منذ يومين وكان حسين الشافعى وثروت عكاشة وخالد محيى الدين قد انضموا اليهم حوالى العاشرة مساء . كذلك كان داخل معسكر الفرقة الثانية الواسع الارجاء فى الهاكستيب المقدم يوسف صديق ومعه ١٢ ضابطا من ضباط مقدمة كتيبة مدافع الماكينة الاولى المشاة الذين كانوا قد وصلوا الى معسكر كتيبتهم قبل الثامنة مساء .

وكانت الفرصة سانحة أمام حسين فريد وكان الوقت لا يزال متسعا أمامه لاجهاض ضربة الضباط الاحرار قبل أن تبدأ وكان فى مقدرته اتخاذ عدة اجراءات سريعة وفعالة

لضمان سيطرته على الموقف فقد كان المفترض أن يتركز اهتمامه على أمرين أولهما سرعة السيطرة على الوحدات داخل المعسكرات وذلك يتأتى باعلان حالة الطوارىء فى الجيش واصدار التعليمات الفورية الى قادة الاسلحة والوحدات بالتوجه فورا الى قياداتهم للسيطرة على وحداتهم وثانيهما التحكم فى بوابات ومنافذ الدخول الى المعسكرات بتعزيز قوة البوليس الحربى التى تتولى حراستها واصدار الاوامر باعتقال جميع الضباط الذين يحاولون دخول المعسكرات بدون تصاريح معتمدة من قادتهم .. وكان الدفاع الفعال عن مبنى رئاسة الجيش الذى يقع فيه مكتب حسين فريد أمرا جوهريا كان ينبغى عليه سرعة اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيقه وتعزيزه فليس من المعقول أن تصل اليه أنباء عن حركة تمرد داخل الجيش ثم يظل مبنى رئاسة الجيش الذى كان عليه مقاومة التمرد فى حراسة ستة من الجنود يتولى قيادتهم حكمدار برتبة عريف وليس فى حوزتهم سوى سبع بنادق مخصص لكل منها خمس طلقات ... وكانت الفرصة سانحة أمامه لطلب نجدة قوية من قائد اللواء السابع العميد رشدان محمد رشدان الذى يقع معسكره داخل العباسية بالقرب منه وكان فى امكانه ارسال سرية مشاة كاملة التسليح فى أقل من نصف ساعة لتتولى عملية الدفاع عن مبنى رئاسة الجيش .

لو قام الفريق حسين فريد بهذه الاجراءات او بأية اجراءات مماثلة تتفق معها فى الهدف لتغير وجه التاريخ ولفشلت الحركة ولوقع معظم الضباط الاحرار فى الاسر فى أيدي البوليس الحربى عند البوابات والمنافذ الرئيسية للمعسكرات وهم وقتئذ فى أضعف أحوالهم ..

متفرقين ومجردين من السلاح وبعيدين عن جنودهم .. ولم يكن يوسف صديق فى هذه الحالة سيواجه بقوته الصغيرة الضعيفة التسليح حرس القيادة المكون من سبعة جنود يحملون سبع بنادق ومعهم جميعا خمس وثلاثون طلقة بل كان سيواجه سرية مشاة كاملة التسليح مما كان سيعرض قوته الى خطر الابادة أو التسليم .. هذا اذا افترضنا انه كان فى امكانه التحرك أصلا بقوته من معسكر هاكستيب بعد اتخاذ مثل هذه الاجراءات التى ذكرناها . ولكن لحسن طالع الضباط الاحرار وحسن حظ مصر ان الفريق حسين فريد رغم ما كان يتميز به من روح الجد والانضباط وما يتحلى به من نبل فى الاخلاق الا انه كان يفتقد أهم صفات القيادة التى كانت تؤهله لمواجهة موقف خطير مثل ذلك الذى واجهه تلك الليلة وهى سعة الافق والسرعة فى التفكير واتخاذ القرار .. وكان ذلك عاملا فعالا أدى الى أن تسير حركة الجيش فى طريقها المرسوم وفقا للخطة دون أن تتخذ للتصدى لها أية اجراءات مضادة جدية أو فعالة .

لقد أعرض حسين فريد عن كل الحلول المنطقية التى كان فى مقدرته اتباعها للقضاء على الحركة التى كانت وقتئذ فى أضعف حالاتها وبدلا من تركيز جهوده فى السيطرة الفورية على المعسكرات عن طريق القادة واستنفارهم للجنود ليظلوا تحت سيطرتهم الفعلية مما كان يضيع الفرصة على الضباط الاحرار فى تحريك أية وحدات من المعسكرات خاصة وان ضباط الصف والجنود لم يكونوا على اتصال بتنظيم الضباط الاحرار ولم يكونوا على علم بحركة الجيش فى تلك الليلة ولم ينجح

الضباط الاحرار فى السـيطرة الفعلية على جنودهم وكسبهم الى جانبهم الا بعد أن أيقظوهم من رقـادهم عند منتصف الليل وتولوا تحريـكهم عنـد حلول ساعة الصفر الى الاهداف المحددة بالخطة .. ولو كان القادة بتعليمات من الفريق حسين فريد قد نجحوا فى انتزاع السبق من الضباط الاحرار ووصلوا قبلهم الى المعسكرات لأمكنهم السيطرة بسهولة على وحداتهم بما لهم من حق القيادة ولكان من المستحيل قيام حركة الجيش . ولكن الفريق حسين فريد بدلا من ذلك راح ينفق جهده وجهود قادته المرءوسين فى تصرفات لا جدوى من ورائها بدد خلالها الوقت الثمين الذى كان فى متناول يده ومضى يلهث وراء خيـالات وأوهام ، لقد أسرع حسين فريد بمجرد وصوله الى مكتبه بالاتصال بكبار قادة الجيش فعلا ولكن لا ليذهبوا على الفور الى مراكز قيـاداتهم حيث يسيطرون على وحداتهم كما كان المفترض ولكن لكى يسبقوه الى ميدان عابدين . وليس من الواضح حتى اليوم السبب الذى دعا الفريق حسين فريد الى تركيز اهتمامه على ميدان عابدين فقد يكون ذلك راجعـا الى خطأ البلاغ الذى تلقاه من العميـد احمـد كامل من الاسكندرية والذى ربما تضمن أن هدف الحـركة هو الزحف الى ميدان عابدين وقد يكون ذلك عائدا الى تصور شخصى خاطىء من الفريق حسين فريد جعل فكره يتأثر بمظاهرة احمد عرابى منذ سبعين عاما عندما زحف على راس الجيش الى ميدان عابدين وأيا كانت الدوافع فقد كان تفكيرا خاطئا بلا شك اذ ما الذى يدعو الضباط الى التجمع فى ساحة قصر عابدين اذا كان القصر خاليا

والملك فى الاسكندرية ؟ وفى طريقه الى عابدين مر حسين فريد على مبنى البوليس الحـربى بميدان باب الحديد (رمسيس حاليا) وطلب من الضابط المنوب اعداد كل ما لديه من جنود واللحاق به على وجه السرعة الى ميدان عابدين . وفى مكتب النوبتجية بالطابق الارضى بقصرعابدين التقى حسين فريد بكبار قادة الجيش الذين سبقوه الى هناك وكان على رأسهم اللواءات على نجيب قائد قسم القاهرة والسيد عبد المجيـد مدير الامدادات والتموين وتوفيق مجاهد والسيد طه مدير العمليات وعباس حلمى زغلول رئيس ادارة الجيش وكانت قوة البوليس الحربى المكونة من اربعين صف ضابط وجندى برشاشاتهم قـد وصلت الى عابدين فأمر حسين فريد باطفاء أنوار الميدان وامر قائد القوة باخفائها فى قشلاق الحرس الملكى المشاة المجاور لقصر عابدين (محافظة القاهرة حاليا) على أن تكون على أهبة الاستعداد للتدخل بمجرد وصول الضباط المتمردين . ويبدو أن ظن حسين فريد كان متجها الى ان بعض الضباط سوف يتحركون بسياراتهم فى مظاهرة الى ميدان عابدين لتقـديم انذار الى الملك عن مطالب خاصة بالجيش ولم يتخيل قيام حركة انقـلابية كاملة يشترك فيها الضباط على راس وحداتهم للاطاحة بالعهد كله .

واتجه تفـكير حسين فريد الى اللواء محمـد نجيب ليطمئن على وجوده بمنزله خشية أن يكون قادما اليه على راس المظاهرة العسكرية التى كانت فى خياله فدعا اللواء على نجيب للسؤال تليفونيا عن شقيقه فى منزله وعندما تم الاتصال بمحمد نجيب التفت على نجيب الى حسين

فريد ليحدث محمد نجيب اذا شاء فلقد كان على نجيب يدرى الهدف الحقيقى من وراء سؤال حسين فريد عن شقيقه ولكن حسين فريد طلب منه انهاء المكالمة شاكرا ـ واراد ضابط الحرس الملكى المنوب بقصر عابدين أن يخطر رئيسه بالاسكندرية بكل ما يدور من وقائع فاتصل تليفونياً بالعميد أحمد كامل بقصر المنتزه وبلغه ان الفريق حسين فريد بالقصر الملكى وبرفقته قادة الجيش وان قوة من الشرطة العسكرية قد احتلت الميدان فطلب أحمد كامل الاتصال بحسين فريد وسأله عن الحالة فأجابه فى ثقة واطمئنان : « الحالة عال وأنا معى قوة وسأتحرك الى مكتبى برئاسة الجيش » .

وكان الفريق حسين فريد والقادة الذين برفقته قد امضوا فترة من الوقت وهم فى انتظار ذلك الصيد الثمين من الضباط المتمردين والذين نصب لهم رئيس هيئة أركان حرب الجيش شباكه القاتلة ورصد لهم رجال البوليس الحربى ليطبقوا عليهم بمجرد وصولهم الى ميدان عابدين تمهيدا لاعتقالهم والقائهم فى غياهب السجن الحربى رهن المحاكمة العسكرية وعندما طال الانتظار وضاع الوقت أدرك حسين فريد متأخرا أن فكرة المظاهرة العسكرية ليست واردة فى تخطيط الضباط المتمردين وانه أضاع الوقت الثمن هباء فطلب من القادة أن يسرعوا بالتوجه الى المعسكرات لتفقد الحال واخطاره بما يكتشفونه وبدأ على الفور اللواء على نجيب بصفته قائد قسم القاهرة القيام بجولة فى المعسكرات بدأها بمعسكر العباسية ثم دخل معسكر الفرسان بكوبرى القبة فوجد نشاطا غير عادى وصادف على نجيب الملازم أول توفيق عبده اسماعيل وكان عائدا بمفرده من ميس الضباط المعروف

باسم الميس الاخضر بعد ان أيقظ بعض زملائه من الضباط الاحرار لينضموا الى وحداتهم بعد أن أزفت ساعة التحرك . وسأل على نجيب الملازم أول توفيق عن سبب وجوده فأجابه بأن المقدم توفيق عابد أركان حرب قسم القاهرة أبلغه تليفونيا أن حالة الطوارىء قد أعلنت ـ

ويبدو ان اللواء على نجيب قد اطمأن بعد أن رأى بنفسه مدى استعداد وحدات سلاح الفرسان التى خال أنها تتجية لاعلان حالة الطوارىء ولم يدر بخلده حقيقة الامر ولذا انصرف مسرعا من سلاح الفرسان ومضى يتم جولته فى معسكرات المدفعية بألماظة حيث وقع فى الاسر ـ

وعاد حسين فريد الى مكتبه بعد أن أضاع فى رحلته الى قصر عابدين وفى اعداد البوليس الحربى ما لا يقل عن ساعة ونصف وكان قد جرى اتصاله بقيادة التشكيلات المقاتلة لسرعة التوجه الى قياداتهم ومنهم اللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة الثانية واللواء حافظ بكرى قائد المدفعية والعميد حسن حشمت قائد اللواء المدرع والعميد رشدان محمد رشدان قائد اللواء السابع المشاة بمعسكر العباسية والعميد محمود حمزة قائد اللواء السادس بمعسكر الماظة ، وبدأ هؤلاء يتصلون بوحداتهم لارسال عرباتهم اليهم وسرعان ما توجهوا الى قياداتهم قبيل منتصف الليل .

ولكن هذه الاتصالات المتأخرة لم تؤد الى أية نتائج لوقف الحركة فان العجلة كانت قد دارت فعلا كما قال عبد الناصر واصبح من المستحيل وقف دورانها .. ولعب حسين فريد دون أن يدرى دورا فعالا فى مساعدة حركة الجيش على النجاح فلقد أصدر تعليماته الى قادة الجيش ورجال البوليس الحربى بالتوجه جميعا الى ميدان عابدين

حيث احتجزهم هناك ما لا يقل عن ساعة . وهكذا أصدر رئيس هيئة أركان حرب الجيش تعليماته الى أولئك القادة والجنود الذين كانوا أخطر العناصر على الحـــركة بالابتعاد عن مسرح العمليات بالعبـاسية وكوبرى القبة والماظة فى أفضل توقيت ممكن وأتاح للضباط الاحرار الفرصة للنفاذ من البوابات وهم فى أضعف وقت لهم ثم من الوصول الى وحداتهم بسلام دون أن يعترضهم أحد .

وعندما ادرك حسين فريد اليأس من وصول المظاهرة العسكرية التى بدد الوقت فى انتظارها فى ميدان عابدين وعاد مرة أخرى الى مكتبه برئاسة الجيش بكوبرى القبة بعد أن أصدر أوامره الى القـــــادة بالتوجه الى مراكز قياداتهم داخل المعسكرات والى قائد البوليس الحربى بسرعة سحب قواته من ميدان عابدبن واحضارها على وجه السرعة الى ميدان العباسية كانت الامور قد تغيرت وكان الضباط الاحرار قد أتيحت لهم الفرصة للدخول الى المعسكرات والسيطرة على وحداتهم واصبحوا قـوة لا يمكن قهرها وبدلا من أن يقعوا فى الشباك التى خال حسين فريد انه قد أعدها لهم فى مهـــارة وحذق اذا بالقـــــادة الذين أرسلهم حسين فريد للسيطرة على المعسكرات هم الذين أخذوا يتساقطون بلا استثناء غنيمة سهلة فى أيدى الضباط الأحرار .

وانتظر حسين فريد بلا جدوى حضور القادة الذين أمر باستدعائهم لعقد مؤتمر عاجل فى مكتبه لمواجهة الموقف وشعر بوحدة أليمة ووحشة مفزعة وهو جالس وحده فى حجرته لا انيس له سوى العميد حمدى هيبة مدير كلية أركان الحرب الذى نجح وحده فى الوصول اليه بسبب حضوره الى رئاسة الجيش مبكرا والمقدم نائب

الاحكام حسن سرى الضابط العظيم المنوب برئاسة الجيش الذى هيأه القدر ليشارك الفريق حسين فريد مصيره فى تلك الليلة وحتى العقيد عبد العزيز فتحى مدير مكتب حسين فريد كان غائبا بالخارج اذ كان وقتئذ أسيرا فى أحد عنابر سلاح الفرسان .

وانتاب حسين فريد الشعور بأنه بات فى عزلة مربرة عما يجرى حوله من أحداث فقد كفت الاتصالات وخرس رنين التليفون وأحس بالخطر الذى أوشك أن يداهم المبنى الذى يضم مقر قيادته فقد يتعرض فى اية لحظة لهجمات أولئك الثوار الذين لا يدرى شيئا عن حقيقتهم وان كان يحس بوجودهم فى كل مكان حوله .. وخالجه الندم لأنه لم يحاول طلب النجدة فى الوقت المناسب لتحضير قوة كافية تتولى الدفاع عن مبنى الرئاسة الذى لم يكن يدافع عنه سوى سبعة جنود مسلحين بالبنادق لن يكون فى امكانهم الصمود سوى دقائق قليلة اذا تعرض المبنى لاى هجوم .

وكان المقدم حسن سرى الذى أوقعه سوء حظه ليكون الضابط العظيم المنوب لرئاسة الجيش فى تلك الليلة منهمكا فى غرفة مجاورة لمكتب حسين فريد فى اجراء بعض الاتصالات التليفونية لتدبير اية نجدات يمكن ارسالها للدفاع عن رئاسة الجيش .

وعاد بعد فترة من اتصالاته ليبث الاطمئنان فى نفس رئيسه فان ثلاث مجموعات مختلف من القوات فى طريقها الان الى رئاسة الجيش لتعزيز الدفاع عنها الاولى قوة البوليس الحربى التى كانت فى ميدان عابدين والتى صدرت لها الاوامر بالانتقال فى عرباتها على وجه السرعة

الى رئاسة الجيش . والثانية قوة من ادارة الاسلحة والمهمات تتكون من خمسين جنديا وبحوزة كل منهم مائة طلقة بقيادة الرائد الدسوقى ابراهيم الضابط المنوب بالادارة وابن شقيقة أم كلثوم وكان المقدم حسن سرى قد نجح فى الاتصال به وطلب منه حشد كل من عنده من الجنود لنجدة رئيس هيئة أركان حرب الجيش أما القوة الثالثة فقد كانت قوة من جنود السلاح الجوى على رأسها الضابط المنوب بمطار الماظة الحربى وقد صدرت له التعليمات تليفونيا من القيادة بالاسكندرية بحشد كل ما لديه من جنود فى المطار والتحرك بهم فى الحال الى مبنى رئاسة الجيش . وداعب الامل حسين فريد فى قرب زوال المحنة التى يواجهها وفى وصول قوات الانقاذ التى كان على يقين من انها فى الطريق اليه لتدافع عن مقر قيادته حتى لا يسقط فى أيدى الثوار .

ولكن الاقدار ابت أن تتيح الفرصة لأية قوة من هذه القوات للوصول الى مبنى رئاسة الجيش فقد أوقفت السيارات المدرعة على بوابة سلاح الفرسان قوة الشرطة العسكرية التى كان يقودها المقدم عبد الهادى ناصف وجردتها من سلاحها ووضعت أفرادها أسرى فى أحد عنابر الفرسان - واحتجزت فصيلة مدافع الماكينة عند كوبرى السيوفى قوة الاسلحة والمهمات التى كان على رأسها الرائد الدسوقى ابراهيم - أما قوة السلاح الجوى فقد أوقفتها فصيلة مدافع الماكينة عند كوبرى القبة أمام المستشفى العسكرى .

ولم يكن حسين فريد يدرى ان القوات التى كان يترقب وصولها فى تلهف قد وقعت كلها أسرى فى أيدى

الثوار وعندما استمع الى وقع أقـدام الجنود وهدير السيارات المدرعة أمام مقر قيادته ظن فى بادىء الامر أن قوة الانقاذ قد وصلت وان المحنة قد ولت ولكن الحقيقة المرة لم تلبث أن تكشفت واذا بالشياطين الاحرار يصلون اليه فى مقر قيادته وفى قلب مكتبه ويقتادونه أسيرا الى غرفة مظلمة بالكلية الحربية وانتهت المعركة ولم تستطع اية قوة انقـاذ الفريق حسين فريد من قـدره المرسوم ومصيره المحتوم .

تحركات الوحدات الثائرة ليلة ٢٣ يوليو

كيف سقطت رئاسة الجيش فى أيدى الثوار ؟

كان ضباط قوة مدافع الماكينة فى معسكر الهاكستيب (بالقرب من مطار القاهرة الدولى) قد تجمعوا منذ الساعة الثامنة مساء فى مقر كتيبتهم وكان مندوب قيادة التنظيم النقيب زغلول عبد الرحمن قد أبلغ قائدهم المقدم يوسف منصور صديق خطأ ان موعد التحرك هو منتصف الليل وليس الواحدة صباحا كما كان محددا بالخطة .

وقبل انتصاف الليل بنصف ساعة أمر القائد بايقاظ الجنود من رقادهم وقسم قوته الصغيرة التى لم تكن تزيد عن ستين جنديا مسلحين بالبنادق الى ثلاث فصائل كل منها بتكون من عشرين جنديا ووزع الضباط على الفصائل وأمرهم بتجهيزها للتحرك فى الموعد وصرف مائة طلقة لكل جندى من مخزن الذخيرة .

ولم يحاول يوسف صديق اخفاء الموقف على ضباطه وجنوده قبل التحرك فجمعهم وخطب فيهم ليستثير حماستهم وعرفهم لاول مرة انهم سيتحركون للاشتراك فى عمل خطير لصالح الوطن وسيكون موضع فخر كل منهم فى المستقبل . وقبل التحرك بثوان علم يوسف بأن اللواء

عبد الرحمن مكي قائد الفرقة الثانية على وشك الوصول فان سيارته قد غادرت المعسكر منذ نصف ساعة بعد أن طلبهـــا من عامل التليفون مباشرة ... وأسرع يوسف بالتحرك خشية وصول قائد الفرقة حتى لا يفاجيء القوة وهي لا تزال في المعسكر فتكون له اليد العليا والامر النافذ بما له من سلطات القيادة .

وتحرك طابور مدافع الماكينة من المعسكر وكان ذلك عند منتصف الليل وكان يوسف في المقدمة بعربته الجيب ومعه ضابطان وتبعته ثلاثة لوارى تحمل الفصائل الثلاث مع ضباطهم وفي المؤخرة سارت عربة كان بها النقيبان زغلول عبد الرحمن وعبد المجيد شـديد .. وما كادت مقدمة الطابور تجتاز بوابة المعسكر حتى شوهدت سيارة اللواء مكي قادمة بأقصى سرعة وما كاد يرى العربات أمامه حتى أخذ ينادي بصوته الجهوري « وقف عندك يا جدع انت وهوه » .. واعترض يوسف عربة اللواء مكي بعربته الجيب وفتح السائق عليها النور المبهر ونزل الضابطان المرافقان ليوسف وهما يصوبان سلاحهما نحو القـــائد الذي ما كاد يتبين شبح يوسف خلفهما وكان يعرفه جيدا حتى صاح بصوت امتزج فيه الخوف بالدهشة « مين .. يوسف !! » .. واستسلم قـائد الفـرقة بعد أن رأى الاسلحة مشهرة في وجهه وكان طلبه الوحيد أن يؤمنوه على حياته فوعده يوسف بذلك ما دام يطيع الاوامر — وأدخل يوسف عربة اللواء مكي ضمن عربات الطابور خلف عربته الجيب مباشرة بعد أن أصدر أوامره باطلاق النار عليها ان حاولت الخروج من خط السير وفات يوسف أن ينزع عن مقدمتها علم القيـادة ثم استأنف سيره .

وقبل دخول مصر الجديدة مباشرة التقى الطابور بقائد ثان الفرقة العميد عبد الرءوف عابدين فى سيارته وكان فى طريقه الى المعسكر فلما رأى القوة قـادمة نزل من سيارته وتوجه الى أول لورى وسـأل الضباط الذين كانوا يركبون بجوار السائق عن وجهتهم فأجابوه بأنهم طوارىء وأشاروا له على سيارة اللواء التى كانت امامهم وعندما وصل الى سـيارة اللواء مكى أدى له التحيـة وحاول الرجوع الى عربته ولكن قائد الفرقة سهل الامر ففتح باب عربته وأجلسه الى جانبه .

وعلى الرغم من نجاح القوة فى أسر القائدين مما كان له أثر بالغ فى رفع معنويات الضباط والجنود الا أن القلق والتوتر العصبى دبا بشدة الى نفس يوسف فلقد وصل الى مصر الجـديدة دون أن يلتقى بأية قوة من قـوات الاحرار التى قيل له انها ستضرب نطاقا من الحصار حول جميع المناطق العسكرية وانها ستمنع المرور كلية على الطرق الا لمن يحمل كلمة السر فكيف استطاع القائدان المرور والتقدم فى اتجاه المعسكر لولا تعرض قوته لهما وأسرهما ؟ ثم لماذا يفكر القائدان فى الذهاب الى المعسكر فى هذا الوقت المتأخر من الليل ــ على غير العادة ــ الا يدل ذلك على حدوث أمر غير عادى ؟ ..

وأدى ما يعانيه يوسف من اضطراب الى اختيـاره طريقا خاطئـا للسير رغم معارضة سـائقه فقد أمره بالانحراف الى شارع السلطان حسين ولما ادرك خطأه بعد فترة عزم على تصحيح وضعه فى أول فرصة يتيحها له الطريق . ولم يكد الطابور يستقيم على الطريق الجديد حتى اكتشف يوسف ان القوة قد توقفت خلفه فنزل

من عربته ليرى سبب التوقف فوجد أمامه مشهدا لم يكن يتوقعه وقد وصفه فى مذكراته فقال بالحرف الواحد :

« لم أكد أجتاز عربة الاسرى التى تتبعنى حتى رأيت أمام اللورى الاول الـذى يحمل رجالى جمهرة وسمعت غوغاء فلما أسرعت الى مكانها وجـدت بعض ضـباطى وجنودى يحيطون برجلين يرتديان ثيابا مدنية عبارة عن قمصان بيضاء وبنطلونات وتجرى بينهم مناقشة كلامية حامية فلما اقتربت لأتبين الوجوه فى الظلام رأيت عجبا كان الرجلان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر » .

وخلص يوسف الرجلين وانتحى بهمـا جانبـا حتى لا يكون الحـديث فى دائرة الأسيرين وعلم يوسف من عبد الناصر أن امر الحركة قد انكشف للملك فى الاسكندرية وانه تم الاتصال بالقيادة فى القاهرة وان هذه القيـادة مجتمعة فى مقرها بمبنى الجيش لاتخاذ اجراءات مضادة عاجلة .

وقبل أن ننتقل لمتابعة مجرى الاحداث يجدر بنا ان نناقش ثلاثة أسئلة هامة تتعلق بهذا اللقـاء الذى تم مصادفة بين يوسف صديق وقوته وبين عبد النـاصر وعبد الحـكيم عامر اذ ان الاجابة على هـذه الاسـئلة ستوضح لنا الكثير من المسائل التى ما زالت يكتنفها الغموض حتى اليوم .

واول هذه الاسئلة هى هل كان عبد الناصروعبدالحكيم يرتديان الملابس المدنية حقا كما ذكر يوسف صديق ؟ .. لقد شاع هذا القول لدى البعض حتى غدا بمثابة حقيقة مؤكدة واتجهت بهم الظنون الى اتجاهات شتى فى تفسير وجودهما فى هذه الساعة الخطيرة من ساعات الحركة

وهما يرتديان ثيابا مدنية ... ولكن لو ناقشنا هذا الامر مناقشة موضوعية لادركنا استحالة تصديق هذا الادعاء فان عبد الناصر وزميله كانا فى طريقهما الى الماظة لمحاولة الحصول من كمال الدين حسين على قوة من المدفعية يمكن تحريكها على وجه السرعة للانقضاض على القـادة المجتمعين فى مكتب رئيس هيئـة اركان حرب الجيش بمبنى الرئاسة بكوبرى القبة والقيـام بأسرهم قبل أن ينجحوا فى اتخاذ الترتيبات المضادة للقضاء على الحركة.
فهل كان عبد الناصر وزميله يتصوران امكان السماح لهما بدخول منطقة الماظة المـكتظة بمعسـكرات الجيش والمليئة بنقاط وبوابات التفتيش التى يتولى أمرها رجال البوليس الحربى وهما يركبان عربة عبد الناصر الملاكى ويرتديان الملابس المدنية ؟ وكيف تيسر لهما ارتداء الثياب العسكرية فى الفترة الزمنية القصيرة التى لم تتجـاوز نصف الســاعة وهى الواقعة بين لقـائهما بقوة يوسف صديق فى مصر الجديدة وبين لقائهما بمجموعة كبيرة من الضباط الاحرار عند بوابة مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة بعد انتهاء عملية اقتحام المبنى وأثناء نزول حسين فريد من مكتبه فى طريقه الى المعتقل بالكلية الحربية .. لقد شاهدهما كل الضباط الموجودين وقتئذ على بوابة رئاسة الجيش ومنهم كاتب هذه السطور وكانا يرتديان الملابس العسكرية .

قد يزعم قائل انهما ربما قد تمكنوا من تبديل ثيابهما فى الفترة التى استغرقتها عملية اقتحام رئاسة الجيش خاصة وقد تبت انهما كانا يقفان فى الارض الفضـــاء المجاورة لمبنى رئاسة الجيش وقتئذ (المقام عليها حاليا

مسجد عبد النـــاصر) وكانا يرقبـان سير العملية ولا يستبعد أن تكون ثيابهما العسكرية موجودة وقتئذ داخل سيارة عبد الناصر وانهمـا ارتدياها خلال هـذه الفترة . ولكن هذا الزعم تدحضه شهادة ثلاثة من ضباط قوة مدافع الماكينة الذين اشتركوا مع يوسف صديق فى فى تلك الليلة والذين حضروا واقعـة لقاء عبد الناصر وعبد الحكيم بقوتهم فى مصر الجديدة وهؤلاء الضباط هم النقيبان زغلول عبد الرحمن وعبـد المجيـد شديد والملازم محمد متولى غنيم ، فقد شهدوا بأن عبد الناصر وعامر كانا يرتديان الملابس العسكرية ولا يمكن تجريح شهاداتهم فقد أدلوا بهـا بعـد وفاة عبد الناصر وعامر بسنوات عديدة . وقد ذكر الملازم ثان محمد متولى غنيم وهو الضابط الذى ألقى القبض على عبد الناصر عند اقترابه من طابور كتيبة مدافع الماكينة الاولى ليلة ٢٣ يوليو ان سبب القائه القبض عليه انما يعود الى رؤيته له مرتديا ملابسه العسكرية برتبة المقدم وكانت الاوامر الصادرة اليه من قائده يوسف صديق تقضى بالقبض على كل ضابط برتبة المقدم فما فوق لحين أن تتضح هويته ونظرا لعدم معرفته لجمال عبد الناصر من قبل فقد بادر بتنفيذ التعليمات وألقى القبض عليه بينما طلب من الرائد الذى كان برفقته (عبد الحكيم عامر) الابتعاد عن طابور الكتيبة ـ واكد محمد متولى غنيم أن عبد الناصر لو كان يرتدى ملابس مدنية لما تعرف على رتبته ولما ألقى القبض عليه . وفى اعتقادى انه بعد هذه الشهادات التى لا يمكن أن يتطرق الشك الى صدقها وبعد ما أوردناه من أدلة

وأسانيد منطقية فانه ينبغي أن يكف أولئك الذين يرددون هذه الشائعة الظالمة عن ترديدها ، ومما يثير العجب أن يوسف صديق نفسه قد اعترف فى حديث له فى مجلة المصور فى العدد ٢٤٩٤ الصادر فى ٢٨ يوليو ١٩٧٢ ثم فى العدد ٢٦٥٠ الصادر فى ٢٥ يوليو ٧٥ بأن عبد الناصر وعامر حينما التقيا بقوته ليلة ٢٣/٢٢ يوليو كانا يرتديان الملابس العسكرية .

والسؤال الثانى الذى يثير التساؤل هو من صاحب فكرة تقدم يوسف صديق بقوته لاقتحام مبنى رئاسة الجيش ؟ ان التناقض قد يبدو واضحا اذا ما عقدنا مقارنة بين ما أورده يوسف صديق فى مذكراته وبين ما ردده عبد الناصر فى خطبه فكل منهما قال انه صاحب الفكرة والحقيقة ان الاثنين صادقان فيما ذكراه فان عبد الناصر كما رأينا كان فى طريقه الى ألماظة لمحاولة الحصول على قوة توجه لاقتحام مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة لاعتقال القادة المجتمعين وفى الوقت نفسه كان يوسف صديق متجها على رأس قوته الى كوبرى القبة لتعزيز سرية الكتيبة ١٣ التى عهد اليها اقتحام مبنى رئاسة الجيش والاستيلاء عليه أى ان هدفه المكلف به وفقا للخطة هو مبنى رئاسة الجيش ولذا كان أمرا طبيعيا أن يلتقى تفكير عبد الناصر مع يوسف فى الاسراع باقتحام مبنى رئاسة الجيش .

أما السؤال الثالث فهو متى علم يوسف انه تحرك مبكرا عن موعده بمقدار ساعة ؟ هل من المعقول بعد أن وصف لنا يوسف صديق فى مذكراته قلقه البالغ بسبب عدم التقاء قوته بأية قوة من قوات الحصار الذى كان مفروضا أن يتم حول المناطق العسكرية الى الحد الذى

جعله يشك في قيام الحركة اصلا وكانت أمنيته أن يلتقى بعبد الناصر بالطبع ليزيح عن فكره هذا الغموض الذى يكتنفه من كل جانب ثم عندما هيأت له الظروف لقاء عبد الناصر مصادفة أليس المفترض أن يكون سؤاله الاول له أن يفسر له هذا السر الذى شغل باله طويلا ؟ لقد ذكر عبد الناصر انه اخطره فى هذا اللقاء بأن الوحدات لم تتأخر وانما هو الذى تحرك مبكرا عن الموعد وهذا القول يتمشى تماما مع العقل والمنطق ولذا فاننا فى دهشة لما أورده يوسف صديق فى مذكراته من انه لم يعلم بأنه قد تحرك مبكرا عن موعده الا عقب انتهاء عملية اقتحام مبنى رئاسة الجيش وكان ذلك أثناء جلوسه للراحة مع أحد زملائه على درج القيادة الحجرى عندما أوضح له هذا الزميل سر ما حدث .

نعود بعد ذلك الى متابعة الاحداث .. لقد عدل يوسف صديق خطته بالاتفاق مع عبد الناصر وبدلا من أن تكون قوته قوة احتياطية لسرية الكتيبة ١٣ فقد أصبحت منذ هذه اللحظة هى القوة الاساسية المكلفة بواجب اقتحام مبنى رئاسة الجيش واعتقال الفريق حسين فريد وكل من معه من القادة . وأعد يوسف صديق فى خلال طريقه الى كوبرى القبة الذى لم يستغرق سوى بضع دقائق خطته للهجوم على مبنى القيادة ولم تكد قوة مدافع الماكينة تصل بعرباتها الى منطقة الكوبرى الذى يواجه المستشفى العسكرى العام حتى فوجئت بوجود تروب من السيارات المدرعة فى مواجهتها ـ وخشى يوسف فى بادىء الامر أن يكون ما اعترضه هو قوة معادية وكاد يحدث اشتباك بين القوتين لولا أن تدارك قائد التروب المدرع الملازم أول فاروق الانصارى الموقف وذكر كلمة السر « نصر » واتضح

ان سلاح الفرسان خصص هذه القوة لمعاونة المشاة فى اقتحام مبنى رئاسة الجيش .

وكانت الخطة التى أعدها يوسف للاقتحام ــ كما ورد فى مذكراته ــ تتميز بالبساطة فقد عين الفصيلة الثالثة لقطع الطريق عند الكوبرى أمام مستشفى الجيش لمنع تدخل أية قوات من ناحية مصر الجـــديدة كما عين الفصيلة الاولى لقطع الطريق عند كوبرى السيوفى لمنع تدخل اية قوات من ناحية العباسية . وقــرر يوسف مهاجمة مبنى رئاسة الجيش على رأس الفصيلة الثانية ولم يكن لديه بعد ذلك أية قوة أخرى ليحتفظ بها كاحتياط كما هو المفترض فى مثل هذه العمليات . ووفقا لمذكرات يوسف صديق وطبقا لكل ما نشر من روايات عن عملية اقتحام الرئاسة طوال الثلاثين عاما الماضية نجد أن الجميع قد اتفقوا على ان يوسف صديق على راس فصيلة مدافع الماكينة المكونة من عشرين جنديا اقتحم باب مبنى الرئاسة واجرى عملية تفتيش الطابق الارضى ثم صعد على رأس عشرة جنود الى الطابق الثـــانى واقتحم مكتب الفريق حسين فريد حيث ألقى القبض عليـــه هو وثلاثة من الضباط .

وبالتحقيق الدقيق فى هذه الواقعة وبعد الاستماع الى اقوال الشهود الذين اشتركوا فيها اتضح ان تروب السيارات المدرعة بقيادة الملازم أول فاروق الانصارى هو الذى اقتحم بوابة رئاسة الجيش وتمكن من تجريد حرس البوابة من سلاحهم وكان الحرس يتكون من ستة جنود والحكمدار وقد ظلت بنادق الحراس محفوظة فى سلاح الفرسان لمدة أربعة أيام حتى أعيدت لأصحابها .

وبعد ان انفتحت البوابة على مصراعيها تقدم يوسف

صديق على رأس الفصيلة الثانية وقام بتفتيش الطابق الارضى ووضع بعض جنوده فى الاماكن الحساسة وكانت القوة الباقية تحت قيادته بعد ذلك أقل من عشرة جنود وعندما بدأ يتهيأ لصعود الطابق الثانى وكان برفقته الرائد حسن الدسوقى وصلت فى هذه اللحظة عربات السرية الرابعة من الكتيبة ١٣ بقيادة النقيب عمر محمود على وكانت أولى الفصائل التى دخلت من البوابة هى فصيلة الملازم أحمد فؤاد عبد الحى الذى لحق بالمقدم يوسف صديق على السلم المؤدى الى الطابق الثانى وعندما رأى يوسف صديق الملازم فؤاد عبد الحى قال له : « ده حسين فريد فوق حطلع أجيبه تعالى معايا » وباضافة فصيلة فؤاد عبد الحى الى قوة يوسف أصبح يملك قوة كافية لاستئناف العمل وعلى سلم الدور العلوى اعترض صعود القوة رقيب حاول منعها من الصعود وأصر على انهم لن يمروا الا على جثته فاضطر يوسف صديق الى اطلاق رصاصة على قدمه حتى يفسح الطريق .

ولما وصل يوسف الى باب مكتب الفريق حسين فريد وجده موصدا وأحس بمقاومة وراءه فأطلق بعض الجنود نيران بنادقهم على الباب بدون أوامر وتبين أن المقاومة كانت بسبب كرسى وضع خلف الباب .. وبعد اطلاق النار فتح الباب وأضيئت الحجرة وذكر يوسف صديق انه وجد حسين فريد ومعه ثلاثة من الضباط مختبئين خلف برافان ويلوحون بمناديل بيضاء علامة على التسليم بينما ذكر فؤاد عبدالحى انه شاهد الفريق حسين فريد جالسا على مكتبه والضباط واقفين حوله وأيا كان الامر فان الثابت انه كان بالمكتب الفريق حسين فريد والعميد

حمدى هيبة مدير كلية أركان الحرب والمقدم حسن سرى ضـابط عظيم منوب رئاسة الجيش وضـابط آخر لم نستطع الاهتداء الى اسمه .. واختتم يوسف صديق مذكراته عن واقعة اقتحام مبنى رئاسة الجيش قائلا :
« وقمت ومعى الأخ حسن الدسوقى لنجلس فى مكتب القيادة ولم تمض دقائق حتى حضر حارس من رجال الشرطة العسكرية ليخبرنى بوجود ضابطين على الباب يريدانى وكان أحدهما هو المقدم عبد الناصر والثانى هو الرائد عبد الحكيم عامر وكانا فى هـذه المدة يرتديان الملابس العسكرية » .

ومما يؤسف له من الناحية التاريخية ان يكون ختام مذكرات يوسف صديق هذه الواقعة التى تخالف الحقيقة تماما فان المجموعة الكبيرة من الضباط الاحرار ومن بينهم بعض أعضاء لجنة القيادة الذين كانوا جميعا موجودين أمام بوابة مبنى الرئاسة بعد انتهاء عملية اقتحامها شهدوا بأنفسهم الفـريق حسين فريد وزملاءه وهم يهبطون درج رئاسة الجيش وقد سار خلفهم يوسف صديق وبعض الجنود شاهرين السلاح وعندما وصل أمامهم أدوا له التحية العسكرية وكان من بينهم جمال عبد النـاصر وعبد الحكيم عامر ـ وبمجرد أن غادر حسين فريد المبنى انطلق الضباط الاحرار الموجودون يصعدون وثبـا على السلم حتى وصلوا الطابق الثانى ودخلوا غرفة حسين فريد ثم لحق بهم بعد ذلك يوسف صديق بعد أن سلم الاسرى الى عبد المجيد شديد ونظرا لان ما رويته هو حقيقة تاريخية ثابتة وليست موضع شك أو اختلاف وقد شاهدت تفاصيلها بنفسى فكيف يمكن اذن تصديق رواية يوسف صديق ؟

وربما كانت أكثر الروايات غرابة وبعدا عن الحقيقة هي الرواية التى ذكرها أنور الســادات عن معركة رئاسة الجيش والتى وردت فى كتــابه « قصة الثورة كاملة » فى الصفحات ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ :

« لم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش وانه هو الذى احتلها بجنوده أو هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين انه فى يوم نيتساليم (بفلسطين) بمسدسه وعساكره خلفه وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفــه وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حــول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان وبقوادها . لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا كما وفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت ـ بعد ان علم جمال باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة واخمادها قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم كل على حدة . لقد اصطاد جمال عصافير عديدة بحجر واحد اما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم النقيب محمد شديد نحو مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار ـ ويعرف جمال ان النقيب شديد جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة .

واتخذ القرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد

بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القـــــادة أثناء اجتماعهم العــاجل ـ وفعـــلا قام عبد الحكيم عامر وهو يشهر مسدسه وتقــدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى وهى كانت أول معركة حاسمة تكسبها الثورة » ولا يحتاج الامر الى عناء كبير لاثبات مدى بعد هذه الرواية عن الحقيقة اذ يكفى اغفالها لاسم يوسف منصور صديق وطمس معــالم دوره طمسا تاما رغم ما يعلمه الجميع من انه قائد العملية بل وبطلها دون منازع . والذى يستلفت النظر هو اقحام اسم عبد الحكيم عامر فى هذه العملية اقحاما لا شك ان عبد الحكيم عامر قد خجل منــه اذ نسبت اليه بطــولة لا يستحقها اذ كيف يرضى أن يكتب عنه انه هو الذى قاد المعركة وهو يحمل مسدسه على راس جنوده واقتحم مبنى الرئاسة والقى القبض على حسين فريد والقادة الذين معه فى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر اول من يعلم انه لم يشترك فى هذه المعركة اطلاقا لانه كان واقفا مع عبد الناصر يراقبان الموقف من موقع مجــاور لمبنى رئاسة الجيش كما ان عبد الحكيم لم يكن يحمل مسدسا فى تلك الليلة فقد كان مسدسه فى مخزن السلاح برئاسة الفرقة الاولى برفح التى كان يعمل بها وكان فى القاهرة وقتئذ فى اجازة ميدان .

أما ما قرأناه عن تلك المجموعة المجهولة من الجنود التى كان يقودها النقيب محمد شديد والتى فوجىء جمال بوصولها الى مراكز تجمع الاحرار والتى أحضرها قائدها من تلقاء نفسه وبلا أوامر من أحد عندما علم بنبأ الثورة فقرر ان يشترك بجنوده فى المعركة قبل بدئها بســاعة فهذه عبارة بعيدة للأسف عن الحقــائق التاريخية فان

الضابط المقصود فى العبارة اسمه النقيب عبد المجيد شديد محمد رضوان وليس محمد شديد ولم يحضر هذا الضابط من تلقاء نفسه وبلا أوامر بل جاء ضمن طابور قوة مدافع الماكينة من هاكستيب بأمر من قائده يوسف صديق وكان هدف القوة التقدم الى مبنى رئاسة الجيش وليس الى مراكز تجمع الاحرار لانه لم يكن فى الخطة ذكر لآية مراكز بهذه الصفة .

كيف ادت الكتيبة ١٣ دورها التاريخى ؟

قبل أن ينتصف الليل بقليل وصل المقـــدم زكريا محيى الدين الى ميس الكتيبة ١٣ بمعســـكر دودج بالعباسية حيث كان ضباط الـكتيبة الاحرار ينتظرون حلول موعد التحرك وكان معهم العقيد أحمد شوقى قائد الكتيبة والرائد جمال حماد أركان حرب سلاح المشاة الذى كان موفدا من القيادة لمرافقة الكتيبة خلال عملياتها فى تلك الليلة . وحذر زكريا الضباط من أن بعض قادة الجيش يتجولون فى المعسكرات كما حمل اليهم نبأ أفعم قلوبهم بالسرور وهـو أسر العميد حسن حشمت قائد اللواء المدرع على أيدى رجاله .. وكان المقدم زكريا قد توجه من قبل الى ثكنات سلاح الفرسان ليستحث تروب السيارات المدرعة الذى تقـرر الحاقه على الكتيبة على سرعة الحضور الى معسكرها . وما كاد الليل ينتصف حتى هب ضباط الكتيبة ١٣ الى عنابر جنودهم حيث ايقظوهم من رقادهم وأمروهم بتجهيز أنفسهم استعدادا للتحرك نظرا لإعلان حالة الطوارىء . وبعد قليل وصلت

الذخائر محملة فى سيارات النقل التابعة لسلاح خدمة الجيش وكذا عربات نقل الجند لنقل سرايا الكتيبة بقيادة الرائد حمزة البسيونى .

وقبيل ساعة الصفر اصطفت سرايا الكتيبة فى الساحة الفضاء التى تتوسط المعسكر وألقى العقيد أحمد شوقى خطابا حماسيا على الضباط والجنـود أعلنهم فيه أنهم سيقومون فى تلك الليلة بعمل عظيم من أجل مصر . وفى الساعة الواحدة تماما تحركت السرية الرابعة المكلفة بواجب احتلال مبنى رئاسة الجيش فى ثلاث عربات نقل جند يتقدمها قائدها النقيب عمر محمود على فى حمالة مدرعة واتبعت الطريق الخلفى لمعسكر العبـاسية الذى قادها الى الشارع المجاور للمستشفى العسكرى وعنـد الكوبرى المواجه للمستشفى التقى قائد السرية بالرائد عبد الحكيم عامر الذى أمره بسرعة التوجـه الى مبنى رئاسة الجيش والاشتراك فى عمليـــة اقتحامه مع قوة مدافع الماكينة وطلب منه اخطاره بمجرد نجاح العملية واتمام الاستيلاء على المبنى .

وأسرع النقيب عمر بسياراته حتى وصـل الى بوابة مبنى الرئاسة فنزل الجنود من عرباتهم وانطلق الملازم فؤاد عبد الحى بفصيلته يصعد الدرج الكبير الذى يواجه البوابة حيث التقى بالمقدم يوسف صديق عند أول السلم الذى يوصل الى الطابق الثانى واشترك معه على راس فصيلته فى عمليـة صعود السلم واقتحام مكتب الفريق حسين فريد كما ذكرنا من قبل .

اما باقى السرية فقد تولى النقيب عمر عملية توزيعها علي مبنى القيادة لتتولى الحراسة فى الاماكن الهامة وتمكن

من اتمام الاستيلاء على المبنى باكمله بعد قليل .

وفى نفس الوقت الذى بدأ فيه تحرك السرية الرابعة من المعسكر تحركت سرية أخرى بعرباتها لاداء الواجب الذى خصص لها وهو احتلال البوابة الرئيسية لمعسكر العباسية والبوابة الفرعية المجاورة لكلية البوليس . ورأى المقدم زكريا محيى الدين ضرورة تحرك قيادة الكتيبة للتأكد من تنفيذ القوات للواجبات المخصصة لها فى الخطة فركب العقيد احمد شوقى عربة جيب تولى قيادتها وجلس بجواره المقدم زكريا بينما جلس فى المقعد الخلفى الرائد جمال حماد يحمل مدفعا رشاشا كان قد استلمه قبل التحرك من مخزن سلاح الكتيبة ١٣ ولم يوافق امين المخزن على تسليمه له الا بعد ان وقع له ايصالا بالاستلام ــ وقد تركت القوة الباقية من الكتيبة فى المعسكر تحت قيادة الرائد صلاح نصر اركان حرب الكتيبة ليشرف على باقى التحركات فى مواعيدها . ومرت لحظات رهيبة والعربة تشق طريقها فى شوارع معسكر العباسية التى غمرها الصمت وفجأة شق السكون دوى بعض الطلقات فأطفأ احمد شوقى انوار العربة ولم يلبث ان هز ارجاء المعسكر صوت البروجى وهو يضرب نوبة الكبسة من مكان مجهول بالمعسكر تلك النوبة التى تعنى ان خطرا داهما يواجه القوات وان على جميع الضباط والجنود أن يستيقظوا لدفعه وان يهرعوا الى اسلحتهم .

وانتشر نبا خطير سبب القلق لكل الضباط الاحرار الذين كانوا وقتئذ فى معسكر العباسية عندما بدأوا يبحثون عن سر ضرب نوبة الكبسة ــ لقد استطاع العميد

رمضان محمد رشدان قائد اللواء السابع المشاة أن يصل الى مقر قيادته وسط معسكر العباسية وبدأ على الفور فى استدعاء ضباطه استعدادا لتحريك اللواء وفقــــا لتعليمات الفريق حسين فريد للقضاء على حركة التمرد .
ووصلت السـيارة الجيب بعـد قليل الى بوابة معسكر العباسية من ناحية كلية البوليس فساد الاطمئنان لنجاح الفصيلة المشــاة المعينة من الكتيبة فى احتلالها واتجه احمد شوقى بعد ذلك بالعـربة الى البوابة الرئيسية للمعسكر ولشد ما كانت دهشة راكبى السيارة عندما وجدوا رجال البوليس الحربى ما زالوا يحتلونها بقـوة كبيرة اى ان قوة الكتيبة ١٣ التى ارسلت لاحتلالها لم تصل اليها بعد .

ومرت بالضباط الثلاثة لحظات رهيبة فقد خشوا اذا هم عادوا بالعربة أن يثيروا شكوك رجال البوليس الحربى فيتعرضوا لاطلاق النار عليهم كما قدروا اذا هم تابعوا السير فسوف يتعرضون حتما لالقاء القبض عليهم .
وتمهل احمد شوقى على مقربة من البوابة واذا بالمقـدم حسن عبد الوهاب قائد البوليس الحربى يتقدم نحـو العربة مبتعدا قليلا عن رجاله واسرع زكريا فى اقتناص الفرصة التى سنحت أمامه عندما رأى حسن عبد الوهاب زميله ودفعته بالكلية الحربية فصاح بلهجة اخوية مليئة بالحفاوة والترحيب « أهلا يا حسن .. انا زكريا .. تعالى اركب معانا » وتأثر حسن بدعوة زميله الحارة وسرعان ما وجد نفسه بحركة لا شعورية واقفا على سلم العربة التى انطلق بها احمد شوقى يسابق الريح ومرت السيارة بنطاق البوليس الحربى دون أن يعترضها أحد

بعد ان راوا قائدهم بنفسه واقفا على سلمها .. وكان قائد البوليس الحربى لا يكف طوال تحرك السيارة عن الصياح « يا اخوانا بس فهمونى ايه الموضوع » ولـكن العربة استمرت فى سيرها دون توقف حتى وصلت الى قرب بوابة سلاح الفرسان .. ونزل حسن عبد الوهاب ليفاجأ بركاب الســـــيارة وليذهله مشــهد الدبابات والسيارات المدرعة التى كانت منتشرة بجوار البوابة ـ ولما استفسر منه زكريا عن سر وجوده فى هذه الساعة عند مدخل معسكر العباسية أجاب فى اضطراب انه علم من الفريق حسين فريد ان هناك دوشة من بعض الضباط الصغار ولكنه لم يطرأ على باله انها بكل هذه القوة والتنظيم وانه بناء على الاوامر الصادرة اليه أرسل قوات كبيرة من البوليس الحربى الى سراى عابدين التى كانوا يتوقعون أن تحرك المتمردين سيكون اليها ولما أحسوا اخيرا ان الحركة ستكون قريبا من رئاسة الجيش بكوبرى القبة أصـــدروا الامر لقــواته بالتوجه من عابدين الى مدخل معسكر العباسية حيث كان واقفا هناك فى انتظار وصول القــوة . وعنــدما أبدى حسن عبد الوهاب استعداده للتعاون مع الاحرار قال له زكريا ان خير معاونة يسديها للحركة هو أن يسرع بالاتصال بقــواته فى سراى عابدين ويصدر لها الامر بالبقاء فى مكانها .

ويبدو ان قائد البوليس الحربى أصابته الحيرة بشأن الموقف الذى يتخذه والجانب الذى ينضم اليه فاستقر رايه على أن أحسن الحلول هو ان يتوجه الى بيته ويبتعد عن جميع هذه المشاكل ـ ولو كان حسن قد أطاع نصيحة زكريا وأمر قواته بالبقاء فى عابدين لجنب هذه القــوة

ما حاق بها بعد ذلك حينما تقدمت بقيـــــادة المقـدم عبد الهادى ناصف فى اتجاه رئاسة الجيش حيث أوقفتها قوة من السيارات المدرعة بالقرب من بوابة سلاح الفرسان وجردوا أفرادها من أسلحتهم واحتجزوهم أسرى فى أحد عنابر الفرسان .

ولم يغب عن بال زكريا محيى الدين أمر اللواء السابع الذى كان قائده يعده للقضاء على الحركة ولا توجد قوة كافية من المشاة لصده فطلب من ثروت عكاشة تخصيص وحدة من السيارات المدرعة لهذا الفرض على أن تكون جاهزة فى مدى نصف ساعة للتحرك فوعد ثروت عكاشة باعدادها فى الموعد .

واستمرت السيارة الجيب فى طريقها الى مبنى رئاسة الجيش حتى وصلت الى البوابة الرئيسية للمبنى ونزل الضباط الثلاثة حيث التقوا بمجموعة كبيرة من الضباط الاحرار ومنهم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والبغدادى وحسن ابراهيم وبعض ضباط قوة مدافع الماكينة ولم يكادوا يصافحون زملاءهم حتى شاهدوا الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش يهبط سلم المبنى الرئيسى فى خطوات ثابتة وبجواره العميد حمدى هيبه مدير كلية أركان الحرب والمقدم نائب أحكام حسن سرى الضـــابط العظيم المنوب لرئاسة الجيش فى تلك الليلة وخلفهم بقليل كان يسير المقـدم يوسف صديق وبعض الجنود شاهرين السلاح وعندما وصل الفـريق حسين فريد ورفاقه الى الباب الخارجى اصطف جميع الضباط الاحرار الموجـودين وأدوا له التحية العسكرية فى آخر لحظة من رئاسته والتفت الفريق حسين فريد الى الضباط

وقال لهم فى هدوء وهو يرد لهم التحية العسكرية « طيب انا متشكر قوى » .. وتسلم النقيب عبد المجيد شديد الاسرى الثلاثة حيث توجه بهم الى الكلية الحربية التى غدت منذ تلك الليلة معتقلا لقادة الجيش ضمانا لعدم تدخلهم لعرقلة الحركة .

ولم يكد يغيب هذا الموكب الفذ عن انظار الضباط الاحرار حتى اتجهوا الى داخل المبنى يصعدون الدرج وثبا الى الطابق الثانى حيث مكتب الفريق حسين فريد .. ودخل الضباط المكتب الذى لم تسعدهم الظروف من قبل برؤيته وأخذوا يتأملون الصورة الضخمة للملك فاروق المعلقة فوق المكتب بينما ثبتت تحتها لوحة زجاجية تحمل شعار الجيش المعروف وقتئذ « الله . الملك . الوطن » وفى وسط هذا الجو الملىء بالاثارة والحماسة طلب عبد الناصر من جمال حماد الاتصال باللواء محمد نجيب على الفور لاخطاره بنجاح المرحلة الاولى واتمام احتلال رئاسة الجيش كما طلب منه التوجه الى منزله بحلمية الزيتون لاحضاره الى مبنى القيادة العامة .

وبادر جمال حماد بالاتصال بمحمد نجيب من التليفون المباشر الموجود بمكتب الفريق حسين فريد ولم يستغرق رنين الجرس سوى ثوان فقط فقد رد اللواء نجيب فى الحال وكأنه كان يترقب المكالمة وعندما علم نجيب باسم محدثه بدا الاطمئنان فى نبراته وسرعان ما غمره السرور حينما أنبأه بنجاح المرحلة الاولى من الخطة وانه يحدثه من مكتب حسين فريد وعندما أنبأه بأنه سيرسل اليه ثلاث عربات مدرعة لاحضاره الى مبنى رئاسة الجيش أجاب بأنه لا داعى لذلك وانه سوف يحضر بعربته الاوبل الصغيرة .

وفى الوقت الذى سقطت فيه رئاسة الجيش فى ايدى الثوار تحركت من معسكر الكتيبة ١٣ بالعباسية . القوة المكلفة باحتلال دار الاذاعة بقيادة النقيب جمال القاضى وكانت تتكون من فصيلة مشاة من الكتيبة بقيادة الملازم مصطفى أبو القاسم وتروب سيارات مدرعة من سلاح الفرسان بقيادة الملازم أول احمد المصرى .

وفى منتصف الثالثة صباحا وصلت القوة الى دار الاذاعة بشارع الشريفين فوجدت فى حراستها قوة من رجال الشرطة ولم يلبث قائدهم العقيد السيد عارف ان سأل جمال القاضى عن سبب حضور قوة الجيش فأجابه بأنها حالة طوارىء وطلب منه سحب الشرطة الموجودة فى الحراسة فأجابه انه ليس لديه أوامر بسحبها فقال له القاضى « الافضل أن تسحبها منعا للاحتكاك » وعندما صعد النقيب القاضى الى الادوار العليا من المبنى أسرع خلفه العقيد عارف وقال له : « متفهمنى ايه الحكاية وازاى أسحب قواتى بدون أوامر من رؤسائى » » فرد عليه النقيب القاضى : « بكره مفيش حد حيحاسبك » فأبدى العقيد عارف دهشته قائلا : « ازاى يعنى أنا مش فاهم » فقال له القاضى : « افهمها زى ما تفهمها » .

وتمكن جمال القاضى بعد فترة قصيرة من اتمام احتلال مكاتب الاذاعة وانتقل بعد ذلك الى الاستوديوهات بشارع علوى ووضع الحراسة اللازمة عليها وضرب بجزء من قوات المشاة والسيارات المدرعة نطاقا من الحصار حول مبنى الادارة والاستديوهات لمنع وصول أحد من الخارج اليها . واضطر العقيد عارف الى تجميع قوة الشرطة التى كانت تقوم بالحراسة وبعد الاتصال برؤسائه سحب قواته وغادر المنطقة .

كيف تمت السيطرة على اللواء السابع ؟

ما كاد اللواء محمد نجيب يصل بعربته الاوبل الى مبنى رئاسة الجيش حتى قابله جميع الضباط الاحرار الموجودين فى القيادة بحماس شديد وجلس على مكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش يمارس دوره فى قيادة الحركة والتفت حوله مجموعة من الضباط الاحرار من مختلف الاسلحة .

وكانت انباء تجميع اللواء السابع المشاة بمعسكر العباسية بواسطة قائده العميد رشدان استعدادا للانقضاض على الحركة لا تزال تثير كثيرا من القلق والاضطراب بين الضباط الموجودين وقتئذ والذين كانوا يقدرون خطورة هذه العملية على الحركة اذ لم تكن توجد قوات كافية من المشاة لصده . ووقع اختيار المقدم زكريا محيي الدين الذى كان يتولى فى هذه الليلة مسئولية ادارة عمليات الحركة بأكملها على الرائد جمال حماد للتوجه فى الحال على راس وحدة من السيارات المدرعة الى معسكر اللواء السابع وكلفه بمهمة اعتقال قائد اللواء والسيطرة على وحدات اللواء وضمه الى صفوف الحركة . وكان سر اختيار زكريا للرائد جمال حماد هو انه كان وقتئذ اركان حرب سلاح المشاة ولديه القدرة على التعامل مع ضباط هذا اللواء بحكم طبيعة عمله معهم ولانه كان الضابط المسئول عن عقد فرق التأهيل للترقى ولدخول كلية أركان الحرب لضباط المشاة مما جعل له معرفة وثيقة بمعظم ضباط المشاة علاوة على انه كان عضوا منتخبا عن سلاح المشاة فى مجلس ادارة نادى الضباط الذى صدر القرار بحله يوم ١٦ يوليو ٥٢ وأوصى

اللواء محمد نجيب الرائد حماد قبل خروجه بضرورة تجنب اراقة الدماء بقدر الامكان وايضاح الموقف لضباط اللواء السابع حتى لا يفرر بهم قائدهم العميد رشدان وتمنى له فى مهمته التوفيق . وعند بوابة سلاح الفرسان وجد جمال حماد وحدة السيارات المدرعة التى وعد ثروت عكاشة باعدادها للتحرك وعلى رأسها قائدها النقيب صبرى القاضى وركب أول سيارة مدرعة منها وانطلق فى المقدمة تتبعه خمس سيارات مدرعة يشق الطريق الى معسكر العباسية .

وعندما وصل جمال حماد الى الساحة الفسيحة التى تتوسط معسكر اللواء السابع وزع السيارات المدرعة الست على طول الطريق الموازى لساحة المعسكر بفواصل منتظمة واوقف السيارات بحيث تكون مقدمتها ومدافعها الرشاشة مواجهة للساحة التى تتوسط ثكنات كتائب اللواء الثلاث ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ـ واكتشف جمال حماد ان مجموعة من ضباط اللواء متجمعة فى الساحة مما أوضح له أن العميد رشدان قائدهم استدعاهم من بيوتهم وقد سهل له هذه المهمة ان عددا كبيرا منهم كانوا يقطنون فى مساكن الضباط فى المنطقة المخصصة لهم داخل معسكر العباسية . وكف ضباط اللواء عن النقاش الذى كان محتدما بينهم بصوت مرتفع بعد أن شاهدوا السيارات المدرعة وهى تحاصرهم على الطريق الموازى لمعسكرهم ورشاشاتها مصوبة فى اتجاههم ويبدو ان هذا المنظر أثار ثائرة أقدمهم رتبة وهو المقدم نظيم ابراهيم فاقترب من السيارات المدرعة وهو يلوح بيده وقد بدرت منه بعض العبارات التهديدية . وكانت الخطة التى رسمها جمال حماد فى ذهنه أن يستخدم الكياسة فى التعامل مع

ضباط اللواء مع الظهور فى نفس الوقت بمظهر القوة وباشارة متفق عليهانزل النقيب صبرى القاضى قائد السيارات المدرعة مع رقيبين مسلحين من جنوده حيث تولوا القبض على المقدم نظيم وعادوا به اسيرا الى احدى السيارات المدرعة وهو يصيح بصوت عال طالبا اطلاق سراحه متوعدا الضابط الذى أسره بأشد العقوبات . وأسرع جمال حماد بدخول الساحة حيث تجمع حوله الضباط على الفور واكتشف ان معظم الموجودين من زملاء سلاحه وأصدقائه الذين تربطه بهم صلات وثيقة فسألهم عن قائدهم العميد رشدان فأجابوه انه قد ذهب منذ فترة الى ادارة قسم القاهرة ولم يعد بعد فأدرك انه لابد قد وقع أسيرا فى يد القوة المكلفة باحتلال مبنى قسم القاهرة . وبادر الضباط بسؤاله عن الموقف اذ ان العميد رشدان قد ابلغهم عقب استدعائهم الى المعسكر بأن حالة الطوارىء قد أعلنت بسبب قيام أفراد من الاخوان المسلمين بعمل فتنة واضطرابات داخل الجيش وأمرهم رشدان بتجهيز جنودهم على وجه السرعة استعدادا للتحرك وانه ذاهب الى قائد قسم القاهرة لتلقى التعليمات منه .

وكان عدد كبير من ضباط الصف والجنود قد تجمعوا بأسلحتهم فى مجموعات فى الساحة الفسيحة التى كان الضباط يقفون فى ركن منها بينما وقفت مجموعات اخرى امام العنابر بالادوار العليا يطلون على الساحة بدورهم . ووجد جمال حماد الفرصة سانحة أمامه لمخاطبة ضباط وجنود اللواء مباشرة وايضاح الموقف لهم بطريقة تجعلهم على يقين من ان الحركة قد نجحت وان الامور قد استقرت حتى لايكون هناك مجال لاحد للتردد فى

الانضمام للحركة . وانتقل جمال حماد الى وسط الساحة ورفع يده اشارة الى أنه سيوجه كلمة للجميع فسكتت الاصوات وألقى فى الجمع المحتشد كلمة حماسية أوضح لهم فيها ان الجيش قد قام بالثورة ضد الاوضاع الفاسدة فى البلاد بقيادة اللواء محمد نجيب مدير المشاة وان رئاسة الجيش قد سقطت وجميع قوات الجيش انضمت الى الثورة وجميع قادة الجيش قد تم اعتقالهم وأكد لهم ان الحركة خاصة بالجيش ولا علاقة لها بأى حزب أو هيئة وان غرضها الاساسى هو تحرير مصر من الظلم والاستعمار . واشتد الحماس بالضباط والجنود بعد هذه الكلمة وأسرع البروجية يضربون نوبة جمع واندفع بعض جنود المشاة يعانقون جنود السيارات المدرعة الذين نزلوا من سياراتهم لمبادلتهم مشاعرهم وكان منظرا تاريخيا فذا . وأبدى المقدم نظيم تجاوبا كاملا واعتذر عن تصرفه فى بادىء الامر الذى عزاه لعدم ادراكه وقتئذ حقيقة الموقف فأطلق سراحه وانضم لزملائه ضباط اللواء ولم تمض فترة قصيرة حتى كانت كتائب اللواء الثلاث مصطفة بأسلحتها فى الساحة التى تتوسط ثكنات الكتائب . وأمر جمال حماد أقدم الضباط بفتح مخزن الذخيرة لتوزيعها على الجنود ولما اعتذر لعدم وجود المخزنجى الذى يحتفظ بالمفاتيح أمره بكسر باب المخزن والاشراف على توزيع الذخيرة بواقع مائة طلقة لكل جندى ـ وكانت مفاجأة سارة غير متوقعة عندما لمح جمال حماد طابورا طويلا من عربات نقل الجند التابعة لسلاح خدمة الجيش واقفة فى الانتظار على يمين

الطريق بالقرب من معسكر العباسية فوجه الطابور مباشرة الى معسكر اللواء السابع .. وبعد ان عهد جمال حماد الى اقدم ضابط فى كل كتيبة بتولى قيادتها بادر بالاتصال تليفونيا باللواء محمد نجيب في مكتبه برئاسة الجيش فأبدى تهنئته وابتهاجه عندما علم بانضمام وحدات اللواء السابع الى الحركة وأمسك المقدم زكريا محيى الدين بسماعة التليفون وبدا الاهتمام فى نبرات صوته وهو يستعلم عن حقيقة موقف اللواء ـ وأوضح له جمال حماد ان كتائب اللواء الثلاث ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ مصطفة فى ساحة اللواء وان الجنود مزودون بأسلحتهم وذخيرتهم كما ان الحملة اللازمة لتحركهم قد أمكن تدبيرها مما يجعل الوحدات جاهزة للتحرك بمجرد صدور الامر اليها .

واصدر زكريا محيي الدين تعليماته بارسال سرية مشاة على وجه السرعة الى دار الاذاعة لتعزيز فصيلة الكتيبة ١٣ التى قامت باحتلالها ـ واوضح زكريا ان وحدات اللواء السابع قد أصبحت منذ هذه اللحظة الاحتياطى العام للحركة وان على وحدات اللواء البقاء بجوار العربات انتظارا لأية تعليمات تصلهم للتحرك الى أية جهة .

احتلال رئاسة سلاح الحدود

فى معسكر الكتيبة ١٣ بالعباسية تحركت عند أول ضوء يوم ٢٣ يوليو آخر سرية مشاة بالكتيبة وسرية المعاونة تحت قيادة الرائد صلاح سعده وفى معاونته تروب من الدبابات الشيرمان وكان الهدف هو احتلال مبنى رئاسة سلاح الحدود بكوبرى القبة ـ وكانت

العملية مؤجلة حتى اول ضوء كى يمكن اشتراك الدبابات التى لم يكن فى قدرتها وقتئذ العمل فى الظــلام لعــدم تزويدها بأجهزة الرؤية الليلية ، وكان الغرض من اشتراك الدبابات هو احباط اية نية للمقاومة عند جنود الحدود فقد كان مدير الحدود وقتئذ هو اللواء حسين سرى عامر عميل السراى وخصم الضــباط الاحرار اللدود . ونجح الرائد صلاح سعده بفضل لباقته مع جنود الحدود فى الاستيلاء على المبنى بدون مقاومة ووجد هناك اللواء عازر جرجس قائد ثانى سلاح الحدود فاعتقله وأرسله تحت الحراسة الى المعتقل بالكلية الحربية .

القوات المدرعة فى ليلة الثورة

فى حوالى منتصف الليل كانت وحدات سلاح الفرسان متاهبة للتحرك لتنفيذ واجباتها طبقا للخطة وكانت كتيبة دبابات من السلاح معينة فى خدمة الطوارىء فى تلك الليلة وفوجىء الملازم أول توفيق عبده اسماعيل بمرور اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة داخل السلاح ولمــا سأله عن سبب وجوده رد عليه بانه طوارىء . ولا يمكن ان نعرف حقيقة ما كان يدور فى ذهن على نجيب فى تلك اللحظــات بعــد أن شهد بعينيه مظـــــاهر الجلبة والاستعداد داخل سلاح الفرسان فقــد خرج ليواصل مروره على الوحدات .

ووقع الحادث الثانى فى سلاح الفرسان عندما أراد العميد حسن حشمت قائد اللواء المدرع الدخول من بوابة السلاح فقد تصدى له الملازم ابراهيم العرابى المسئول

وقتئذ عن حراسة بوابة المعسكر وكان حسن حشمت يتمتع بشخصية جبارة فى سلاح الفرسان وكان الجميع يخشونه الى الحد الذى لم يجعل اى ضابط من السلاح يجرؤ على منافسته لتمثيل سلاح الفرسان فى انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط مما جعله يفوز بالتزكية ـ ولذا كان موقفا مثيرا أن يتصدى ملازم ثان حديث الخدمة للعميد حسن حشمت ويمنعه من دخول سلاحه ... وبمجرد ان علم حسين الشافعى وثروت عكاشة بالموقف أسرعا بسيارة جيب الى البوابة لشد أزر الضابط الصغير وما كاد حسن حشمت يرى حسين الشافعى حتى صاح فيه قائلا : « حتى انت كمان يا حسين حتودوا البلد فى داهية » وتم اعتقال حسن حشمت واركباه معهما فى السيارة الجيب ووضعاه بغرفة تحت الحراسة فى ثكنات اورطة السيارات المدرعة التى كان يقودها وقتئذ حسين الشافعى ومن المفارقات أن ثروت عكاشة اكتشف بعد عودته ان الرشاش الخفيف الذى كان يشهره على حسن حشمت كان بدون خزنة . ولا شك ان عملية أسر العميد حسن حشمت كان لها تأثير بالغ على احكام السيطرة على وحدات الفرسان وفى رفع الروح المعنوية للضباط فلو قدر له الدخول والتخاطب مع الجنود لأحدث بلبلة كبرى .

وعندما حلت ساعة الصفر اشرف حسين الشافعى وثروت عكاشة على تحرك وحدات السيارات المدرعة وفقا للواجبات المكلفة بها فى الخطة بينما بدأ الرائد خالد محيى الدين فى التحرك على راس الكتيبة الميكانيكية

التى تولى قيادتها بمعـــاونة النقيب وجيه رشدى وهى عبارة عن قوات من المشاة تحملهـا عربات نصف جنزير وكانت مهمة الكتيبة تنحصر فى سد جميع الطرق المؤدية الى منطقة المعسـكرات ومنع مرور أى أفراد سواء من ناحية العباسية او كوبرى القبة أو مصر الجديدة . وقسم خالد قواته الى ثلاثة أقسام رابط أولها على مقربة من سينما روكسى عند المنحنى المواجه لمحطة البنزين لسد المنافذ بين منطقة مصر الجديدة ومنطقة الجيش ورابط القسم الثـانى عنـد المستشفى العسـكرى لسد منافذ كوبرى القبة بينما رابط القسم الثالث عند ادارة التجنيد القديمة (المدينة الجامعية بعين شمس حاليا) لسد المنفذ بين العباسية ومنطقة المعسكرات .

رجال المدفعية فى كل مكان

قبل منتصف الليل توجه الرائد كمال الدين حسين ومعه بعض ضباط المدفعية الاحرار فى عربة جيب الى مدرسة المدفعية التى كان قد سيطر عليهـا النقباء على فوزى يونس ومبارك رفاعى وأحمد كامل والملازم محمد المكاوى وأخرج ضباط المدفعية المضادة للطائرات مدافع البوفرز على طريق السويس حيث منعوا المرور الا لمن يعرف كلمـة السر . بينما عاد أحمـد كامل ومصطفى عبد المحسن ورجاله الى أول طريق الماظة حيث احتلوا نقطة البوليس الحربى وقطعوا أسلاك التليفون وأغلقوا طريق السويس تماما .

وفى نفس الوقت احتل النقيب فؤاد صالح بقوته موقعا عند الكيلو ٥ر٤ على طريق السويس بجوار معسكر للحدود كان يستعد قائده ليحرك قواته للقيام بحركة مضادة للثورة فبادر فؤاد صالح بقطع أسلاك التليفون الموصلة للمعسكر وأنذر قائده باطلاق النيران اذا ما بدرت منه اية بادرة للتحرك .

وتمكن المقدم مصطفى راغب مع ضباطه الاحرار من السيطرة على مركز تدريب المدفعية وأثناء وجود كمال الدين حسين داخل المركز وصل اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة الذى كلفه الفريق حسين فريد بالمرور على الوحدات وبرفقته المقدم يوسف العجرودى أركان حرب القسم (الحاكم الادارى العام لقطاع غزة فيما بعد) وأحدث وصول على نجيب نوعا من الارتباك بين الضباط الاصاغر الموجودين ولكن سرعان ما وصل كمال الدين حسين فشهر مسدسه على اللواء على نجيب قائلا « باسم اللواء محمد نجيب انت معتقل » وهنا ارتسمت على وجه على نجيب امارات الغضب وصاح « أنتم عاوزين تودوا البلد فى داهية ؟ منتوش عارفين ان الانجليز على طريق السويس عاورين ترجعوا أيام عرابى ؟ » .

ودارت مناقشة طويلة استمرت نحو عشرين دقيقة بين على نجيب وضباط المدفعية الموجودين جرى فيها النقاش عما هو متوقع من الملك والانجليز من عمل مضاد للقضاء على الحركة واثناء هذه المناقشة الطريفة وصل المقدم عبد المنعم امين واشترك فى الحوار الدائر بين الضباط وقائد قسم القاهرة وأراد عبد المنعم أمين انهاء هذا

قائد الحركة شقيقه اللواء محمد نجيب فركب معهم السيارة حيث قادوه الى أحد المكاتب هو وأركان حربه وعندما أحس أنهم سيضعونه فى الاعتقال وانه لن يقابل محمد نجيب صاح بهم ثائرا « أهم حاجة فى الضابط كلمة الشرف بتاعته » ورد عليه المقدم عبد المنعم امين قائلا : « الحرب خدعة يا سيادة اللواء » .

وعند تقاطع رئيسى للطرق بالقرب من مصر الجديدة كانت تسيطر عليه وقتئذ وحدة مضادة للدبابات بقيادة النقيب خالد فوزى وقع الصيد الثمين الثانى وكان قائد المدفعية اللواء حافظ بكرى وبرفقته المقدم عبد الفتاح كاظم اركان حربه حيث تولى كمال الدبن حسين ورجاله عملية القبض عليهما وتجريدهما من سلاحهما بعد أن أبدى حافظ بكرى تعجبه من اشتراك كمال الدين حسين فى هذا التمرد ضد قيادته واقتيد الاسرى الى نفس المكتب الذى كان بداخله على نجيب والعجرودى وفى نفس المنطقة أيضا تم القبض على العقيد طيار محمد فرج وبعض ضباط الجيش والطيران حتى تحولت المكاتب الى شبه معتقل . وتولى النقيب مصطفى كامل مراد مهمة حراسة القادة المعتقلين وتولى ترحيلهم تحت الحراسة الى معتقل الكلية الحربية . وفى ساعة الصفر خرجت وحدات مدفعية الفرقة المدرعة للاشتراك فى فرض نطاق الحصار حول المنطقة العسكرية بالماظة وكانت تتكون من وحدات النقباء جمال نظيم وحمدى محمود وعزت عبد الغنى وربيع عبد الغنى وصلاح عبده .. وفى منطقة هاكستيب صادفت وحدات المدفعية المضادة للدبابات بعض المتاعب

عندما حرك ضابط عظيم المحطة الرائد المعتز بالله الكامل قوات البوليس الحربى لاحتلال كشك التفتيش عند بوابة معسكر هاكستيب الرئيسية لمنع خروج أية وحـدة من المعسكر بناء على تعليمات من الفريق حسين فريد ولكن مجموعة المدفعية التى تحركت تحت قيادة النقباء فتح الله رفعت ومحسن عبد الخالق وعيسى سراج الدين وعلى الشريف وعبد الســتار أمين امكنهم اعتقــال الرائد المعتز بالله وعندما وصلوا الى كشك البولبس الحربى عند بوابة المعسكر اطلقوا نيران بعض الرشاشات فى الهواء واقتحموا البوابة المغلقة بجرار أحد المدافع فحطموها وانطلقوا بقوتهم على طريقى جسر السويس وشارع سليم الاول ، واشتركوا فى نطاق الحصار المضروب فى ميدان روكسى وكوبرى القبة وميدان العباسية الذى وضعت فيه وحدة مدفعية مضادة للدبابات بقيادة الملازم يوسف زين الذى أمكنه بفضل التهديد بالضرب ايقاف مجموعة من رجال البوليس الحربى فى عرباتها وكانت فى طريقها من العباسية الى كوبرى القبة لتعزيز الحراسة على مبنى رئاسة الجيش . وبعد منتصف الليل اتصل من الاسكندرية الفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة وطلب الاتصــال باللواء حافظ بكرى قائد المدفعية ورد عليــه النقيب أبو الفضل الجيزاوى منتحــلا شخصية حافظ بكرى ودار بينهما الحديث التالى :

حيدر : ايه الموقف عندكم يا حافظ بيقولوا فيه دوشه وفيه ضباط عاملين ثورة .

الجيزاوى : ابدا يا معالى الباشا انا جيت هنا والموقف

كويس فى الماظة وحنعلن حالة الطوارىء ممكن معاليك تطمئن .

حيدر : انا متشكر على الهمة دى يا حافظ وحبلغ مولانا وخليك على اتصال بنا .

وهنا قال المقدم عبد الفتاح كاظم الذى كان يستمع الى الحديث مع القادة المعتقلين « ايه اللى انت بتعمله ده » وقال الجيزاوى لقائد المدفعية معتذرا : « انا متأسف انى استغل شخصيتك لكن تعلمنا هذه الحيل من اليهود عام ٤٨ فقد كان اليهود يأسرون بعض عساكر الاشارة ويطلبون منهم ارسال اشارات لاسلكية بالانسحاب » ولم يجب حافظ بكرى وارتسم الهم على وجهه بينما انفرجت أسارير على نجيب وقال للجيزاوى « هات لنا يا ابنى شاى وقهوة وكازوزة » .

وفى الساعة الواحـدة صباحا اتصل الفريق حيدر مرة ثانية طالبـا الافـادة عن الموقف وأجابه الجيزاوى محتفظا بشخصية حافظ بكرى :

ـ الموقف مطمئن وقادة الوحدات والضباط وصلوا .

وقال حيدر : انا سامع انه فيه دوشة عند القيادة .

وأبلغه الجيزاوى ان هـذه المعلومات عنـده وانه سيرسل قوة لضرب هـذا التجمع فشـكره وابلغه انه سيداوم الاتصال ولم تمض سـاعة حتى عاود حيـدر الاتصال وقال له الجيزاوى انه أرسل قوات الى العباسية وان الموقف مسيطر عليه فى الماظة والعباسية وان هناك بعض الضـباط متجمعون أمام القيـــادة وسيجرى اعتقالهم .

وفى الرابعة صباحا تلقى الجيزاوى من حيدر مكالمة

[illegible] عن الموقف
وأجابه الجيزاوى بأن الموقف عال صاح غاضبا :

ـ عال ايه دول بيقولوا خدوا كوبرى القبة انت لازم مش حافظ بكرى .

ـ أبدا معالى الباشا أنا حافظ بكرى .

ـ طيب ادينى علامة .

ـ علامة ايه يا معالى الباشا .

ـ ادينى علامة بخصوص العيد .

ـ بعد العيد ما ينفتلش كعك .

وقال حيدر غاضبا وهو يقفل التليفون بشدة « مش عيب يابنى كده » . ولكن كان كل شىء قد انتهى .

أين كان أعضاء لجنة القيادة ليلة ٢٣ يوليو؟

لم يشترك من أعضاء لجنة القيادة فى الخطة الفعلية للتحركات سوى كمال الدين حسين الذى تحرك مع وحدات سلاح المدفعية وأشرف بنفسه على تنفيذ وحداتها للخطة وكذا خالد محيى الدين الذى تولى قيادة الكتيبة الميكانيكية التابعة لسلاح الفرسان واشترك بقوته ضمن نطاق الحصار الممتد من ميدان روكسى الى العباسية .

ولم يكن لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر دور معين فى الخطة لعدم ارتباطهما بوحدات فى خطة التحرك فقد كان عبد الناصر مدرسا بكلية أركان الحرب وكان عبد الحكيم عامر من رئاسة الفرقة الاولى برفح وكان موجودا فى القاهرة فى أجازة ميدان . ولكن عبد الناصر توجه الى منزل عبد الحكيم بالعباسية بعد الحادية عشرة والنصف مساء على اثر علمه بانكشاف الحركة واجتماع حسين فريد بالقادة فى مكتبه بمبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة وخرج الاثنان كما ذكرنا من قبل بعربة عبد الناصر وهما يهدفان الى احضار قوة من الجنود للانقضاض على القادة واعتقالهم أثناء تجمعهم فى مكتب حسين فريد . وعندما فشلا فى دخول معسكر

العباسية لوجود قوة من البوليس الحربى عند بوابته الرئيسية انطلقا شمالا فى اتجاه الماظة لمحاولة الحصول على قوة من المدفعية من كمال الدين حسين ولكنهما التقيا صدفة بقوة مدافع الماكينة التى كان يقودها يوسف صديق وتم تعديل الخطة على الفور والاستفادة من تحرك يوسف بقوته مبكرا ساعة عن الموعد المحدد كى يقوم فى الحال باقتحام مبنى رئاسة الجيش واعتقال القادة الموجودين بمكتب حسين فريد .

وفى الوقت الذى قام فيه يوسف صديق على رأس قوته بمعاونة تروب من السيارات المدرعة بعملية اقتحام مبنى رئاسة الجيش كان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرقبان العملية وهما يقفان قرب الكوبرى المجاور للأرض الفضاء المقام عليها حاليا مسجد عبد الناصر — وقد كان لوقفتهما فى هذا المكان دون الاشتراك فى عملية اقتحام رئاسة الجيش مجال لتوجيه النقد اليهما لتقاعسهما عن الاشتراك فى المعركة .

وعلى الرغم مما فى هذا النقد من وجاهة الا انه ثبت أن وجودهما خارج العملية قد حقق فوائد عديدة فهو الذى اتاح الفرصة للنقيب عمر محمود قائد السرية الرابعة من الكتيبة ١٣ لسرعة الاندفاع الى مبنى رئاسة الجيش بعرباته بمجرد وصوله الى الكوبرى قادما من الطريق المجاور للمستشفى العسكرى عندما تصدت لايقافه فصيلة مدافع الماكينة التى وضعها يوسف صديق لسد الطريق على القادمين من مصر الجديدة الى كوبرى القبة فقد كان لتدخل عبد الحكيم عامر بين القوتين الفضل فى عدم حدوث اشتباك بينهما وفى سرعة وصول سرية

الكتيبة ١٣ الى مبنى رئاسة الجيش فى الوقت المناسب مما أتاح الفرصـــة لفصيلة منها بقيـــادة الملازم فـؤاد عبد الحى فى الاشتراك مع يوسف صـــديق وقــوته فى الصعود الى الطابق الثانى وأسر الفريق حسن فريد والذين كانوا معه بالمكتب .

وبمجرد أن تم الاســتيلاء على مبنى رئاسة الجيش صعد جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى مكتب الفريق حسين فريد وارسل عبـد الناصر فى استدعاء اللواء محمد نجيب قائد الحركة وعندما وصل وجلس على مكتب الفريق حسين فريد جلس حوله عبد الناصر وعامر ومجموعة من الضباط الاحرار واخذوا فى التشاور بخصوص الخطوات القـــادمة واشتركوا فى جميع الاتصالات التليفونية التى كانت تدور بين الحكومة فى الاسكندرية وقيادة الحـــركة فى القاهرة والتى انتهت بتكليف على ماهر بتشــكيل الحكومة الجـديدة . وعلى الرغم من أن عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم ذكرا أن الخطة كانت تقضى بوصولهما الى مبنى القيـــادة العسكرية بكوبرى القبة فى ســـاعة الصفر للالتقــاء بعبد النـــاصر وعبد الحكيم عامر للاشتراك فى عملية اقتحام مبنى القيادة العسكرية والاستيلاء عليه بمساعدة احدى وحدات الجيش الا أنهما أوضحا بأن انكشاف الخطة وتبكير يوسف صديق فى عملية اقتحام القيادة غير ما كان مقررا من قبل ولذا لم يتمكنا من الاشتراك فى العملية وفقا لما كان مرسوما فى الخطة .

والأمر الذى جرى فعــلا انهمـــا حضرا بعد الواحدة صباحا بسيارة البغدادى الخاصة بعد ان مرا على بيوت بعض زملائهما الطيارين لاخطارهم بموعد الحركة ولكى

يقوموا بتأمين المطارات فى الصباح ـ وعندما وصلا الى مبنى رئاسة الجيش وقعا فى أسر بعض الجنود الذين كانوا يتولون حراسة المبنى وعندما استمعا الى صوت عبد الحكيم أخذا يصيحان باسمه حتى حضر اليهمـــا وأطلق سراحهمـــا وانضما بعـــد ذلك الى عبد النـــاصر وعبد الحكيم وباقى زملائهمـــا الذين كانوا فى رئاسة الجيش .. أما جمال سالم وصلاح سالم فقد كان الاثنان بعيدين فى تلك الليلة عن مسرح الاحداث اذ كان جمال فى العريش بينما كان صلاح فى رفح وكان موكولا اليهما مهمة السيطرة على قوات رفح والعريش بمجرد وصول اشارة النجاح .

وحوالى الثانية صباحا وصل أنور السادات الى مبنى رئاسة الجيش بعد أن تعثر طويلا بين نطاقات الحصار فى العباسية وكوبرى القبة وأخيرا استطاع الوصول الى الكوبرى الذى يواجه المستشفى العسكرى وكاد يفشل فى المرور من الكردون الموضوع فوق الكوبرى لولا سماعه من بعيد صوت عبد الحكيم عامر فناداه بصوت عال وأتاح له عامر فرصة المرور فوق الكوبرى والانضمام الى زملائه الضباط الاحرار الموجودبن بمبنى رئاسة الجيش . وكان السادات قد وصل الى القاهرة فى الرابعة بعد ظهـــر الثلاثاء ٢٢ يوليو فى القطار القادم من غزة بعد أن استقل القطـــار من رفح حيث كان يعمل بالاى اشارة الفرقة الاولى . وكان عبد الناصر قد أرسل اليه حسن ابراهيم بالطائرة يوم ٢١ يوليو والتقى به فى مطار العريش حيث أبلغه رسالة عبد الناصر بالنزول الى القاهرة للاشتراك فى الحركة ليلة ٢٢/٢٣ يولية والقيـــام بالدور الموكول

اليه فى الخطة وهو تعطيل شبكات التليفونات وقد أكد حسن ابراهيم انه أخطر جمال سالم وأنور السادات فى مطار العريش بأن موعد الثورة هو ليلة ٢٣/٢٢ يوليو ولكن السادات روى رواية أخرى وذلك فى الصفحة ١١٩ من « البحث عن الذات » عن واقعة لقائه مع حسن ابراهيم فى مطار العريش ونزوله الى القاهرة اذ قال : « فى يوم ٢١ يوليو أرسل عبد الناصر رسالة لى مع حسن ابراهيم تسلمتها فى مطار العريش يطلب منى فيها أن أنزل الى القاهرة يوم ٢٢ يوليو لان الثورة قد تحدد لقيامها ما بين ٢٢ يوليو و ٥ اغسطس .. وفعلا وصلت القاهرة يوم ٢٢ يوليو .. ولكنى لم اجد عبد الناصر فى انتظارى على محطة السكة الحديد كعادته فقلت فى نفسى لابد ان الوقت لم يحن بعد .. ولذلك توجهت الى بيتى واصطحبت زوجتى الى السينما ولكنى عندما عدت الى البيت فى منتصف الليل وجدت بطاقة من عبد الناصر يطلب منى فيها أن أقابله فى منزل عبد الحكيم عامر الساعة ١١ مساء وعلمت من البواب الذى سلمنى هذه البطاقة ان عبد الناصر قبل أن يترك البطاقة أتى الى بيتى مرتين » .

كيف تصرفت الجبهة المعادية للثورة ؟

لم يستغرق وصول نبأ سقوط مبنى رئاسة الجيش فى أيدى الثوار واعتقال جميع القادة الموجودين بها الى اللواء أحمد طلعت حكمدار القاهرة الا بضع دقائق فقد كان الحكمدار قد أرسل الرائد حسين الريحانى من البوليس السياسى الى حى العباسية وكوبرى القبة حيث

منطقة معسكرات الجيش لمراقبة الحال ولم يستطع حسين الريحاني الاقتراب من كردونات الجيش التى ضربت الحصار حول المنطقة العسكرية بأكملها خشية وقوعه في الاسر فاكتفى بالمراقبة من بعيد ـ وعندما استمع الى صوت الطلقات النارية وتحركات السيارات والمدرعات ادرك ان مبنى رئاسة الجيش قد سقط فى يد الضباط الثائرين وان الفريق حسين فريد وجميع من معه من القادة قد تم اعتقالهم ، واسرع حسين الريحانى الى أقرب تليفون وكان فى محطة البنزين التى تقع أمام المستشفى العسكرى من الناحية الاخرى من شريط المترو ـ وما كاد حسين ينقل النبأ الى اللواء احمد طلعت حتى أحس بأن رئيسه يكاد يطير من الفرحة ليس تضامنا مع الثوار وانما ليثبت صحة النبأ الذى أبلغه الى المسئولين فلم يصدقوه فى بادىء الامر وقبلوه فى النهاية على مضض وها هى ذى الفرصة قد سنحت له ليظهر شماتته فيهم حتى يصدقوا أخباره فى المستقبل وكم كان تفكيره سقيما فى تلك اللحظة وأفقه ضيقا فانى لهم بعد ما حدث أن يحدثوه أو يصدقوه بعد أن هوت الكراسى من تحته وتحتهم ؟ المهم أن اللواء طلعت أمر الريحانى وقد بدا فى صوته الانفعال أن يستمر فى عملية الملاحظة وأن ينقل اليه أولا بأول كل ما يقع تحت سمعه وبصره من احداث .

وكان فاروق وأسرته لا يزالون فى الحفل الساهر الذى أقيم بقصر المنتزه ابتهاجا بتقلد اسماعيل شيرين زوج الاميرة فوزية وزارة الحربية ولكن رغم تظاهر فاروق بالشجاعة وعدم الاكتراث كانت نفسه من الداخل نهبا

للخوف والفزع فقد توالت الانباء التى تؤكد خروج بعض وحدات من الجيش من معسكراتها بالقاهرة .

وامر فاروق باستدعاء اللواء عبد الله النجومى وعندما حضر أمره بالاتصال فورا بالفريق حسين فريد بالقاهرة ليسأله عن حقيقة الموقف . وأخذ الوجوم يسيطر على ناريمان وفوزية وفايزة واسماعيل شيرين ومحمد على رءوف وضاعت بهجة الحفل الساهر لكثرة ما استمعوا اليه من الانباء السيئة التى كان ينقلها اليهم محمد حسن السليمانى وتوقفت الموسيقى وخيم صـــمت حزين على الاسرة المالكة وأخيرا انصرفوا جميعا مهمومين .

وفى الثانية صباحا جاء النجومى يحمل أنباء سارة الى الملك فقد اتصل برئاسة الجيش فى القاهرة وقال له الضابط المنوب ان الفريق حسين فريد نجح فى معالجة الحال وان كل شىء هادىء الآن .

كما نقل حيدر الى الملك تليفونيا نتيجة اتصالاته مع اللواء حافظ بكرى قائد المدفعية فقد اكد له سلامة الموقف وان حالة الطوارىء قد أعلنت وان قوات المدفعية كلهـا رهن اشارة القائد الاعلى . ودب بعض الاطمئنان الى نفس فاروق واستسلم قليلا للرقاد ولو كان قد عرف ان الذى رد على النجومى كان جمال عبد الناصر وان الفريق حيدر كان بسلامة نيته ضحية لخدعة من النقيب الجيزاوى لما عرف النوم سبيلا الى عينيه . وكان مرتضى المراغى وزير الداخلية من ناحية أخرى على اتصال دائم باللواء احمد طلعت حكمدار القاهرة الذى كان اول من ابلغه أنباء حركة الجيش فنقل الخبر فى حوالى العاشرة مساء الى رئيس الوزراء نجيب الهلالى وفى الثانية صباحا وصلت الانباء الى مرتضى المراغى من حكمدار القاهرة بأن رئاسة

الجيش قد سقطت وان حسين فريد وبعض القادة قد اعتقلوا وان تحركات قوات الجيش قد ازدادت فى المنطقة العسكرية بشكل خطير .

وبادر مرتضى المراغى بالاتصال تليفونيا من الاسكندرية بمحمد نجيب فى منزله بالقاهرة وقال له « ان بعض أولادك قائمون باضطراب فى كوبرى القبة ورجاؤنا أن تمنعهم حرصا على مصلحة الوطن » .

ورد نجيب قائلا « أنا معنديش أولاد ولا حاجة » .

قال المراغى « فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشه » .

قال نجيب « اعرف منين الكلام ده يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم » فرد المراغى بأنه سيحضر نجيب الهلالى ليتحدث اليه بنفسه ويعطيه الضمان الذى يريده ـ وبعد قليل دق التليفون من جديد وتكلم رئيس الوزراء بنفسه قائلا « أنا أستاذك يا نجيب ومستقبل الوطن متوقف عليك فارجوك تعمل على تهدئة الموقف لان الانجليز سيحتلون القاهرة وتبقى مسألة خطيرة » فطمأنه محمد نجيب قائلا « انى ذاهب لأرى الحالة بنفسى » .

واستيقظ فاروق مبكرا على نبأ استيلاء الضباط الاحرار على مبنى رئاسة الجيش واعتقال الفريق حسين فريد وكبار قادة الجيش والاستيلاء على محطة الاذاعة كما علم ان بيانا سيذاع منها فى السابعة صباحا باسم قيادة الثورة فاتصل فاروق بكريم ثابت وطلب منه بحكم صلاته السابقة بالاذاعة كمستشار لها منع اذاعة البيان بأية وسيلة وبادر كريم بالاتصال بمحطة الارسال فى « أبو زعبل » وطلب من المهندس الجارحى القشلان

المسئول عن ادارة المحطة فى هذه الليلة فك المحطة قائلا له انه سيرسل له ثلاثة لوارى وثلاثة تاكسيات لاخذ المحطة . وقد ذكر المهندس الجارحي القشلان ان الفرض من ارسال اللوارى كان هو تحميلها بقطع التشغيل الرئيسية والاحتياطية للمحطة حتى لا يمكن ادارتها اما الفرض من ارسال التاكسيات فكان هو نقل المهندسين وعددهم سبعة ومثلهم من الفنيين من منازلهم لابعادهم عن « أبو زعبل » وبذا يضمن تماما عدم تشغيل المحطة . وفى نفس الوقت وبناء على تعليمات مرتضى المراغى وزير الداخلية اصدر رئيس البوليس السياسى اللواء محمد ابراهيم امام أمره الى المختصين فى محطة كهرباء « أبو زعبل » بقطع التيار الكهربائى فلما أجابوه بأن معنى ذلك حرمان مستشفى الجزام ومستشفى العمال وشركة ماركونى من الكهرباء قال لهم - « كل ده مش مهم فاهمين ؟ » .

وفى أول ضوء يوم ٢٣ يوليو وبناء على تعليمات الملك طار حسن عاكف طيار الملك الخاص بطائرة داكوتا من مطار النزهة بالاسكندرية وهبط فى مطار الماظة الحربى قرب حظيرة السرب الملكى وكان الفرض من حضوره كما ذكر قائد الاسراب حسن ابراهيم فى حديثه المنشور بمجلة المصور فى ٨ أغسطس ١٩٥٨ هو معرفة حقيقة ما يحدث بالقاهرة وليستعين بطائرات السرب الملكى فى القضاء على الثورة حيث يطير به الى انشاص ومن هناك توضع خطة لاحباط عمليات وتحركات الضباط الثائرين .. وقد ذكر حسن عاكف انه بمجرد وصوله الى الماظة حوالى الفجر يوم ٢٣ يوليو اتصل بضباط السرب الملكى

للحضور الى مطـار الماظة على وجه السرعة فأبلغوه ان كردونات الجيش تقبض على الضباط فى العباسية ومصر الجديدة فطلب منهم تفادى هذه الكردونات أو الحضور بتاكسيات الى مطار امبابة ليطير اليهم بالطائرة الداكوتا لاخذهم رغم صغر حجم المطار . وفشلت محاولات معظم ضـباط السرب الملـكى فى الوصــول الى حسن عاكف بحظيرة السرب الملكى بمطـار المـاظة . وقد ذكر قائد الجناح مدكور ابو العز قائد السرب الملكى عند قيـام الثورة انه توجه صباح ٢٣ يوليو الى مطـار الماظة فى عربته الخاصة وكان برفقته قائد الاسراب فوزى الجبالى وقائد السرب مهنـدس عبـد الحميد محمود والنقيب عبد المجيد نعمان والملازم مالك متو شالح وعندما حاولوا الدخول من الباب الرئيسى للمطار اعترضهم قائد الاسراب حسن ابراهيم تعززه قوة من الدبابات والمشاة وطلب منهم العودة الى منازلهم ورفض مدكور أبو العز تنفيذ هـذا الطلب ودارت مناقشة حادة بينه وبين حسن ابراهيم انتهت باصطحاب حسن ابراهيم لمدكور أبو العز ورفاقه الى مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة حيث صدر أمر القيادة بوضعهم فى المعتقل بالـكلية الحربية مع باقى القادة والضباط الذين تم اعتقالهم من قبل من الجيش والطيران .

ولكن بعض الضباط تمكنوا من الوصول وبدأوا مع حسن عاكف فى تجهيز طائرات السرب الملكى للاقلاع بها الى الاسكندرية ـ ولكن انباء وصول حسن عاكف وتجهيز طائرات السرب الملكى للاقلاع لم تلبث ان وصلت الى أسماع قيادة الثورة فأرسلوا لوريا محمـلا بجنـود من

الجيش بقيادة ملازم للقبض على حسن عاكف ومنع الطائرات من السفر ، وبمجرد وصول جنود الجيش انتشروا بأمر قائدهم وبدأوا فى اطلاق النار من أسلحتهم على الطائرات فأصابوا الطائرة الملكية ببعض الطلقات وكان بها قائد الاسراب سعد الدين الشريف ولكنه لم يصب بأذى وازاء ذلك بادر حسن عاكف بالقفز الى طائرة هليوكوبتر من طراز سيكورسكى « ٥١ » وحلق بها على ارتفاع بضعة أمتار من سطح الارض ولمقاومة النيران المنهالة على الطائرة اكتسح حسن عاكف بالهليوكوبتر الجنود بهجومه عليهم قريبا جدا من الارض مما اضطرهم الى الانبطاح والزحف الى داخل الحظيرة . ونظرا لاصابة الهليوكوبتر ببعض الطلقات فى غطاء الماكينة اضطر حسن عاكف الى الطيران على ارتفاع منخفض حتى تمكن من النزول سالما فى مطار انشاص .

وكانت بالمطار طائرة قديمة من طراز « سى ٤٦ » تركها الامريكان بعد الحرب فأدار عاكف الطائرة بعد عناء شديد لكبرها اذ تحتاج لاكثر من شخص لادارتها وقبل اقلاعه اتصل تليفونيا بقصر عابدين من تليفون سرى تحت الارض متصل راسا بعابدين طالبا ايصاله بالسرب الملكى بألماظة باعتبار انه يتكلم من مطار فاروق (القاهرة الدولى حاليا) وليس من انشاص للتضليل وبالفعل ارسلت قوة من الجيش الى مطار فاروق لاعتقاله ولكنها لم تعثر له بالطبع على أثر ... وحلق بعد ذلك حسن عاكف بطائرته فى اتجاه الصحراء الغربية خشية مطاردته بالطائرات المقاتلة ودار دورة كبيرة نزل على اثرها الى مطار الدخيلة حيث التقى بقائد المطار قائد الاسراب عدلى الشافعى لاعب

التنس الدولى المعروف وطلب منه الاتصال بقيادة الثورة مع ابداء استعداده للنزول بالهليوكبتر قرب مبنى رئاسة الجيش لمعرفة طلبات الضباط الثائرين لابلاغها الى الملك على شرط اعطاء الضمان له بعدم اعتقاله . وبادر عدلى الشافعي بالاتصال بقائد الجناح عبد اللطيف البغدادى ولكنه رفض طلب حسن عاكف . وخشى حسن عاكف من القبض عليه بعد ان علمت القيادة بأنه فى مطار الدخيلة فاستقل عربة جيب من المطار وأسرع بها الى قصر المنتزه وفوجىء الملك بدخول حسن عاكف عليه ببنطلون وقميص مفتوح وهو طويل الذقن منكوش الشعر وأخذ فى ذهول يستمع اليه وهو يروى له مغامرته المثيرة .

عملية الاستيلاء على المطارات

كان الضباط الطيارون قد وصلوا فى ساعة مبكرة صباح ٢٣ يوليو الى المطارات الحربية الثلاثة (الماظة ـ مصر الجديدة ـ غرب القاهرة) وفقا لتعليمات عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم اللذين كانا قد قاما بالمرور قبل منتصف الليل على عدد كبير منهم فى بيوتهم لابلاغهم بموعد الحركة كى يبادروا فى الصباح الباكر بالقيام بعملية الاستيلاء على المطارات الحربية الثلاثة بالقاهرة وتولى قيادتها وتأمينها بفرض الحراسة المشددة عليها وعدم تنفيذ اية اوامر تأتيهم من قياداتهم القديمة .

وقام الضباط الطيارون وعلى راسهم المقدمون وجيه اباظة وعمر الجمال ومحمد شوكت والرائد محمد صادق القرموطى بتنفيذ الواجب المحدد لهم وتمكنوا من السيطرة

على المطارات وتأمينهـا فى وقت مبـكر من الصباح .. وسرعان ما اتصل بهم البغدادى وحسن ابراهيم لابلاغهم بنجاح الحركة ولكى يقوموا بتعزيز قوات الثورة بطائراتهم فى الجو ـ واستبدت الفرحة بنسور مصر فانطلقوا يشقون الفضاء بطائراتهم فى مختلف انحاء البلاد مما ترك أثرا عميقا فى رفع معنويات الجيش والشعب وعلى العـكس اصاب الملك واعوانه بخيبـة الامل واليأس ومنعه من التفكير فى الهروب .

الاستيلاء على محطـة الارسـال ومحطة الكهرباء فى « ابو زعبل »

أثار وجود معسكر الحـدود بالجبل الاصفر المجاور لمحطة الارسال الخاصة بالاذاعة فى أبى زعبل مخاوف الرائد مجدى حسنين خشية أن تصدر اوامر من حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود من الاسكندرية الى قوة الحدود بالجبل الاصفر بالاستيلاء على محطـة الارسال مما يتيح لهم فرصة التحكم فى الاذاعة وتعطيلها لمنع اذاعة البيان الاول للثـورة ـ وبادر مجـدى حسنين بمقابلة جمال عبد الناصر فى الثالثة صباحا أمام مبنى رئاسة الجيش وشرح له مخاوفه فكلفه بالاستيلاء على المحطة وأن يأخذ معه تروب من السيارات المدرعة وقاد مجدى حسنين العملية بمعـاونة تروب من السيارات المدرعة بقيادة النقيب عبد الفتاح على أحمد الذى كان يرافقه النقيب مهندس احمد جمال علام . وحينما وصل مجدى حسنين الى محطة الارسال وجدها مضاءة ومغلقة

ووجد بها اثنين من المهندسين كان أحدهما الجارحى القشلان فأبديا تجاوبا معه واستعدادا لمعاونته . ولكن التيار الكهربائى لم يلبث ان انقطع عن المحطة فأسرع مجدى حسنين الى محطة الكهرباء فوجد المسئول عن ادارتها يتحدث بالتليفون فهدده بمسدسه فأدار المحطة على الفور .

ومن الطريف انه بعد استيلاء قوة الجيش على محطة الارسال فى حوالى السادسة صباحا وصلت اللوارى والتاكسيات التى كان كريم ثابت قد سبق اتفاقه مع الجارحى القشلان على ارسالها لنقل المحطة بعد فك اجزائها ولما توجه المسئول عن العملية الى الجارحى وسأله عن الامانة قال له « مفيش » ولما طلب منه أجر التاكسيات أجابه الجارحى أيضا « مفيش » .

مجموعة اعتقالات قادة الجيش

كانت مجموعة الاعتقالات تقوم بواجبها طبقا لتطور الخطة وكانت تتكون من الرائد كمال رفعت والرائد محمد البلتاجى ووضع تحت قيادتهما تروب من السيارات المدرعة بقيادة الملازم أول آمال المرصفى ... وفى الطريق الى مصر الجديدة توقفت المجموعة أمام مبنى رئاسة الجيش بعد انتهاء عملية اقتحامها فاستلموا كبار القادة المعتقلين وتوجهوا بهم الى مبنى الكلية الحربية المواجه لرئاسة الجيش حيث سلموهم الى المجموعة التى تعينت لادارة المعتقل الجديد بالكلية الحربية وكانت تتكون من الرواد حمدى عاشور وعبد الحليم عبد العال وحسين حمودة وكمال الحناوى .

وتوجهت مجموعة الاعتقالات بعد ذلك الى مصر الجديدة حيث تم اعتقـال اللواء سـعد الدين صبور مدير هيئة التدريب الحربى فى منزله والعميد طيـار حقى هارون الذى حاول أن يقاوم وأن يستخدم سدسه مما اضطر كمال رفعت الى استخدام القوة معه وتم اعتقاله بعد أن كسرت ترقوته وتم للمجموعة كذلك اعتقال قادة الجيش والطيران الآخرين ونقلهم الى المعتقل بالكلية الحربية .

كتابة البيان الاول للثورة

نظرا لأن هذا الموضوع قد أحيط بكثير من الاقوال والروايات المتناقضة الى درجة يخشى معها من ضياع الحقيقة لذلك قررت الاعتماد فى السرد التاريخى على الحقائق الاسـاسية التى وردت فى البحث القيم الذى اعده العميـد أ . ح مصطفى ماهر رئيس مركز التاريخ العسكرى السابق عن «الجيش المصرى وثورة ٢٣ يوليو» والذى ألقـاه فى ندوة الـكلية الحربية فى يوليو ١٩٨١ ويعتبر خلاصة لشهادات الضـباط الاحرار أمام لجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو . فى حوالى الرابعة صباحا كان مكتب اللواء محمد نجيب بمبنى رئاسة الجيش الذى تم الاستيلاء عليه أشبه بخلية النحل فقد جلس حـول المـكتب عدد من قادة الضباط الاحرار وكانت المناقشات تدور بينهم بشأن الموقف بأصوات مرتفعة فى الوقت الذى كانت فيه التليفونات الموجودة على المـكتب لا تكف لحظة عن الرنين فقد كان الجميع فى القـاهرة والاسـكندرية يريدون الاتصال بقيادة الضابط الثائرين لمعرفة مطالبهم واكتشاف أهدافهم ومراميهم .

وكان عدد من مندوبى الصحف والمصورين قد سمح لهم بدخول الغرفة حيث إلتقطوا بكاميراتهم عشرات من الصور لقائد الثورة وضباطه .

وفى هذا الجو المليء بالضجيج انسحب ضابطان من وسط المجموعة التى كانت فى مكتب محمد نجيب همـا عبد الحكيم عامر وجمال حماد ودخلا غرفة المؤتمرات التى كانت تواجه مباشرة مكتب اللواء محمد نجيب وأغلقا باب الغـرفة عليهما من الداخل وجلسا على مقعـدين متجاورين على ما ئدة المؤتمرات الخشبية الفخمة يلتقطان انفاسهما ويستعيدان الهدوء الذى افتقداه خلال وجودهما بمكتب اللواء محمد نجيب .

وكان الغرض من هذه الجلسة المغلقة هو كتابة البيان الاول للثورة الذى سيوجه من اللواء محمد نجيب الى الشعب المصرى من دار الاذاعة فى السابعة صباحا ... واتفق الزميلان على النقاط الاساسية التى ينبغى أن يضـمها البيان ودوناها فى ورقـة صغيرة ثم لم يلبث عبد الحكيم أن ترك زميله وحده بالغرفة ليتيح له فرصة صياغة البيان الاول للثورة فى هدوء .

وعكف جمال حماد على صياغة البيان وفقا للنقاط التى تم الاتفاق عليها مع عبد الحكيم وبعد عدة مسودات استقر رايه على الصيغة النهائية التى كتبها على ورقـة فولسكاب بيضاء بقلمه الحبر ولم يستغرق ذلك أكثر من نصف ساعة عاد بعدها عبد الحكيم الى الغرفة حيث قرا البيان فى اهتمام وأبدى رضاءه التام ... وعندما عرض البيان على اللواء محمد نجيب وافق على الصيغة ولكنه

رأى اضافة بعض الكلمات الى البيان فأخرج قلمه وكتب هذه الكلمات حشرا بين السطور المكتوبة ثم وقع البيان بامضائه ـ وانحصر التعديل فى عبارة واحدة كانت فى الاصل « وانى أؤكد أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن مجردا من أية غاية » فأصبحت بعد التعديل « وانى أؤكد (للشعب المصرى) أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن (فى ظل الدستور) مجردا من أية غاية » .

وكان المتفق عليه بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أن يتولى جمال حماد اذاعة البيان بنفسه باعتباره كاتبه ولثقتهما التامة فى اجادته النطق السليم باللغة العربية بصفته أديبا وشاعرا وأخبره عبد الحكيم أن سيارة ستكون فى انتظاره الساعة السادسة صباحا لنقله الى دار الاذاعة ـ ولكن الظروف تدخلت لتغيير الامر الذى كان متفقا عليه فقد طلب زكريا محيى الدين من جمال حماد أن يكون متأهبا فى أية لحظة للتحرك الى معسكر اللواء السابع المشاة بالعباسية اذ أن نجيب الهلالى خلال اتصالاته التليفونية من الاسكندرية حذر من الانباء التى وصلته عن تحركات تقوم بها القوات البريطانية على طريق السويس فى اتجاه القاهرة ـ واكد زكريا انه فى حالة التحقق من صحة هذه الانباء عن طريق طلعات الاستطلاع الجوى فى الصباح الباكر فانه من المنتظر تحريك اللواء السابع الذى أصبح الاحتياطى العام للحركة الى طريق السويس لاحتلال مواقع دفاعية على عجل لصد الهجوم الانجليزى المحتمل بالاشتراك مع الدبابات السنتوريون من سلاح الفرسان ووحدات المدفعية وان عليه اعطاء أمر انذارى لكتائب

اللواء السابع المشاة بالاستعداد للتحرك ـ ولما أبلغه جمال حماد بأنه قد عين لاذاعة البيان من دار الاذاعة رفض ذلك بشدة وأخبر زميله بأنه سيتفق مع عبد الناصر لتكليف ضابط آخر للقيام بمهمة اذاعة البيان .. وبعد قليل تسلم أنور السادات البيان لاذاعته .

اذاعة البيان الاول للثورة

فى حوالى السادسة والربع صباحا يوم ٢٣ يوليو وصل أنور السادات الى استديوهات الاذاعة بشارع علوى مكلفا من عبد الناصر وعبد الحكيم وعندما حضر مذيع الفترة الصباحية فهمى عمر قال له السادات انه سيجرى بعض التغييرات فى برامج الاذاعة لان هناك بيانا مطلوب اذاعته فلم يستطع فهمى عمر فى ظل الحراسة العسكرية المشددة التى كانت تحيط به من كل جانب سوى أن يجيب « الاذاعة تحت أمرك » ودخل السادات الاستديو وكان يعتزم اذاعة البيان بعد المارش العسكرى الذى يعقب افتتاح المحطة والذى كان ينتهى فى السادسة واثنتين وثلاثين دقيقة ـ ولكن فهمى عمر علم من المهندسين تليفونيا أثناء اذاعة المارش العسكرى ان الارسال قد قطع من محطة (أبو زعبل) ولما علم السادات خرج من الاستديو حيث أبلغ الموقف للقيادة واستمر فهمى عمر فى تقديم فترات البرنامج وفقا لمواعيدها رغم علمه بانقطاع الارسال .وبعد حوالى اربعين دقيقة من انقطاع الارسال أشار المهندسون لفهمى عمر انه على الهواء وكان ذلك فى حوالى السابعة وثلاث عشرة دقيقة

فبادر فهمى عمر بابلاغ السادات بعودة الارسال فسأله هل يمكن القاء بيانه فقال فهمى عمر انه بعد دقيقتين ستنهى اذاعة القرآن الكريم وسوف يتلوه حديث دينى لمدة عشر دقائق فقال السادات « لا أحاديثكم هى التى خدرت الناس وانا سأذيع البيان بعد القرآن مباشرة » وفى السابعة والربع تماما تأهب فهمى عمر لتقديم السادات لاذاعة البيان واذا بالمهندسين يبلغونه مرة اخرى ان الارسال قد قطع ثانية ولكن فى هذه المرة من مصلحة التليفونات وليس من (أبو زعبل) ـ وثار السادات غاضبا وقال « ايه ده تانى » واسرع الى التليفون حيث عاود اتصاله بالقيادة .

وفى الساعة السابعة وسبع وعشرين دقيقة عاد الارسال مرة أخرى وكان ذلك من المصادفات الحسنة لان نشرة الاخبار كان موعدها فى السابعة والنصف صباحا وهو أفضل موعد يستمع فيه الناس الى نشرة الاذاعة ـ وعندما كانت تدق ساعة القاهرة وقتها معلنة النصف بعد السابعة تأهب فهمى عمر لتقديم أنور السادات بالصفة التى طلبها منه وهى انه مندوب القيادة فقد رفض أن يقدمه باسمه ـ وبعد اجراء التقديم قرأ السادات البيان الاول للثورة فى مستهل نشرة الاخبار واستغرقت تلاوته دقيقتين ونصفا واختتم القراءة بذكر اسم موقع البيان اللواء أركان الحرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة . واستمر فهمى عمر فى قراءة نشرة الاخبار التى كان معظمها خاصا بمراسم تشكيل وزارة نجيب الهلالى ومقابلات الملك مع رئيس الوزراء والوزراء وكان المذيع قد سأل السادات قبل قراءة النشرة هل

يحذف منها شيئا فقال له : « اقراها كلها كما هى » ـ وما كاد السادات ينتهى من قراءة البيان حتى تركه لاحد الضباط القائمين على حراسة الاذاعة وقفل راجعا الى مبنى رئاسة الجيش . هذا ولم يتم تسجيل البيان عند القائه فى المرة الاولى بصوت أنور السادات لانه لم يكن معروفا لدى الاذاعة وقتئذ نظام التسجيل بالاشرطة البلاستيك بل كان التسجيل يتم بأشرطة صلب بماكينات كبيرة وصغيرة بعد وصول المهندس المختص بعد الساعة التاسعة صباحا يوميا .

والآن ما هى القصة الحقيقية للرائد محيى عبد الرحمن الذى ذكر اللواء محمد نجيب أنه أول من أذاع البيان ؟ لقد كان الرائد محيى الدين عبد الرحمن هو قائد السرية المشاة من اللواء السابع التى أرسلها الرائد جمال حماد قبل الفجر الى دار الاذاعة لتعزيز القوة التى سبق تحركها لاحتلال هذه الدار بقيادة النقيب جمال القاضى والمكونة من فصيلة مشاة من الكتيبة ١٣ وتروب سيارات مدرعة من سلاح الفرسان .

وعلى أثر مغادرة المقدم السادات دار الاذاعة بعد القائه البيان الاول كثرت الاتصالات مع الاذاعة لاعادة اذاعة البيان نظرا لان فئات عديدة من الشعب لم تتح لهـا فرصة الاستماع اليه ـ وعندما استأنفت الاذاعة ارسالها فى فترة الضحى التى تبدأ فى العاشرة صباحا وتنتهى فى الحادية عشرة والنصف كان المهندس احمد عواد المختص بالتسجيل قد وصل وطلب المذيعون من أحد الضباط القائمين بالحراسة القاء البيان بصوته ليسمعه أولئك الذين فاتهم الاستماع اليه فى الفترة الصباحية . وتقدم

الرائد محيى الدين عبد الرحمن حيث القى البيان على الهواء مباشرة فى العاشرة صباحا وتمكن المهندس أحمد عواد من تسجيله وبدأت محطة الاذاعة تذيعه على فترات ليسمعه أكبر عدد من المواطنين . ولكن قراءة الرائد محيى الدين عبد الرحمن كانت مليئة بالاخطاء اللغوية الى الحد الذى أثار ثائرة الكثيرين وجعلهم يتصلون بالقيادة لتدارك الموقف وبالفعل تم اتصال الرائد جمال حماد بالرائد محيى الدين عبد الرحمن بالاذاعة وطلب منه وقف تلاوة البيان بصوته فورا وتكليف واحد من المذيعين بتلاوة البيان بطريقة صحيحة . وكان أول مذيع يقرأ البيان بصوته هو المذيع صلاح زكى كما أذاعه المذيع جلال معوض بصوته فى نشرة أخبار الثامنة والنصف مساء . هذا ولم يسجل البيان بصوت أنور السادات كما ذكر فهمي عمر الا خلال الاحتفال الذى أقيم بمناسبة مرور ستة أشهر على قيام الثورة أى فى يوم ٢٣ يناير ١٩٥٣ .

الاتصال بالمناطق الخارجية

لم تعرف معظم المناطق الخارجية أنباء نجاح الحركة الا متأخرا فان منطقة العريش ومنطقة القنال لم يعرفا بنجاحها الا من محادثة تليفونية تمت فى الثالثة صباحا وفيها أبلغ العقيد أحمد شوقى الرائد توفيق عبد الفتاح فى منطقة القناة بنجاح العملية ثم طلب منه عبد الناصر ابلاغ الرائد صلاح سالم فى رفح لتعذر الاتصال به تليفونيا ولم ينجح توفيق عبد الفتاح فى ذلك الا فى أول ضوء يوم ٢٣ يوليو . وبمجرد ان علم صلاح سالم بنجاح

الحركة بادر بالاتصال بالمقيد رشاد مهنا وبقائد الجناح جمال سالم فى العريش وأبلغهما بذلك . وكان رشاد مهنا يعمل قائدا لمدفعية الفرقة الاولى بالنيابة لوجود القائد فى فرقة ضباط عظام بالقاهرة . ونظرا لان قائد الجناح جمال سالم كان ضابطا طيارا ولم يكن فى امكانه السيطرة على وحدات الجيش بالعريش لعدم وجود صلات وثيقة بينه وبين الضباط لذلك تم الاتفاق بين صلاح سالم ورشاد مهنا على أن يتولى صلاح مسئولية السيطرة على وحدات الجيش فى رفح بينما يتولى رشاد مهنا مسئولية السيطرة على وحدات الجيش بالعريش . وبادر رشاد مهنا بابلاغ نبأ نجاح الحركة الى جميع آلايات المدفعية وكتائب المشاة المرابطة فى منطقة العريش بمعاونة النقيب محمد أحمد غنيم أركان حرب مدفعية الفرقة .

وقام رشاد مهنا باعتقال العميد مجدى الزارع قائد لواء المشاة بالعريش ووضعه تحت الحراسة حتى تم ترحيله بالقطار الى القاهرة .

وفى رفح قام الرائد صلاح سالم بالتعاون مع العقيد عبد الفتاح فؤاد بالسيطرة على وحدات منطقة رفح وتم ابلاغ اللواء ا . ح محمد ابراهيم سيف الدين قائد الفرقة الاولى بنبأ قيام الحركة ونظرا لانه كان يتمتع بشخصية قوية ومحبوبة ولذا لم يحاول أحد المساس به وبادر اللواء سيف الدين بارسال برقية تأييد الى اللواء محمد نجيب باسم وحدات الفرقة الاولى فى سيناء . واقتنع قائد الفرقة بضرورة تركه قيادة الفرقة بسلام فقد كان الوضع شديد الحساسية والخطورة نظرا لوجود القوات الاسرائيلية على الحدود . . وسافر اللواء سيف الدين الى القاهرة وحضر الى مقر القيادة بكوبرى القبة وفوجىء

جميع الضباط الموجودين فيها بحرس القيادة يخرج تحت السلاح وبالبروجي يضرب نوبة سلام اللواء وأسرعوا الى الشرفة ليروا اللواء الوحيد منذ ٢٣ يوليو الذى يدخل الى مقر القيادة بسيارته وتجرى له مراسم التحية فقد كان جميع زملائه ما زالوا فى المعتقل بالكلية الحربية .
وكانت الاسكندرية تعتبر أخطر المناطق بالنسبة لوضعها الفريد اذ ان فيها الملك والحكومة وقوات الحرس الملكى والقائد العام للقوات المسلحة وقوات السلاح البحرى وخفر السواحل بخلاف وحدات الجيش المرابطة بها ولذا كانت فى الواقع أشد المناطق حساسية ـ وكان عبد الناصر قد أرسل أحد أشقائه الى النقيب أحمد حمروش الضابط بالآلاى المضادة للطائرات بالاسكندرية لمقابلته بالقاهرة ـ وقد ذكر حمروش انه التقى بجمال عبد الناصر فى حوالى الخامسة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو أمام منزله بكوبرى القبة وكانت مفاجأة له عندما أخطره بأن الجيش سيتحرك فى نفس الليلة وكلفه بالاتصال بالضباط الاحرار فى الاسكندرية واستفسر منه حمروش عن طبيعة الدور الذى يمكن أن تقوم به قوات الاسكندرية فأجابه بأن المطلوب هو تأمين المنطقة والسيطرة عليها دون تحريك للقوات أو حدوث تناقضات بين حامية الاسكندرية وحامية القاهرة . وكان عبد الناصر يتوقع بالطبع أن يبادر أحمد حمروش بعد أن حمله الرسالة بالسفر فورا الى الاسكندرية للاتصال بالضباط الاحرار هناك والعمل على تنفيذ توجيهاته ولكن أحمد حمروش أضاع الوقت الثمين فى مقابلات بالقاهرة مع بعض زملائه من أعضاء منظمة حدتو فى بيوتهم وهم أحمد فؤاد وخالد محيى الدين ويوسف صديق

وسيد سليمان رفاعي مما جعله لا يصل الى الاسكندرية الا بعد منتصف الليل .

ونتيجة لتصرف أحمد حمروش البعيد عن روح المسئولية لم يعرف ضباط الاسكندرية بقيام الحركة الابعد استماعهم الى البيان الاول للثورة من الراديو فى السابعة والنصف صباح يوم ٢٣ يوليو ـ وتم عقد مؤتمر لضباط الاسكندرية فى آلاى الانوار الكاشفة استقر فيه الرأى على تعيين المقدم عاطف نصار قائدا للمنطقة الشمالية والرائد عبد الحليم الاعسر أركان حرب للمنطقة . وبدأت القيادة الجديدة تمارس مسئوليتها من رئاسة المنطقة بمعسكر مصطفى باشا بعد أن قاموا بابعاد جميع القيادات القديمة بمن فيهم الفريق محمد حيدر باشا وتم لها السيطرة على مصلحة التليفونات وشبكاتها والميناء البحرى ومطارى الدخيلة والنزهة وجميع المرافق الحيوية بالمدينة . وتم توجيه المدافع الساحلية على قصرى رأس التين والمنتزه لمنع فاروق من الهرب كما وجهت بعض قطع من المدفعية الى عدة قطع بحرية كان الاعتقاد أنها ستساند الملك ولكن ضباط البحرية سرعان ما أعلنوا جميعا تأييدهم للثورة وتم عزل اللواء محمود بدر قائد البحرية وتعيين العقيد بحرى حمدى ناشد قائدا بالنيابة وانضمت قوات الاسكندرية بأكملها الى الحركة .

كلمة ختامية :

ان ثورة ٢٣ يوليو كانت بداية مرحلة مجيدة فى نضال الشعب المصرى ذلك النضال المتواصل على مر الاجيال .

ان هذا الشعب فى ذلك اليوم الخـالد بدا تجربة ثورية فى جميع المجالات وسط ظروف صعبة وخطيرة فتمكن هذا الشعب بصدقه وايمانه وبارادته الثورية أن يغير حيـاته تغييرا أساسيا وعميقا فى سبيل تحقيق آماله الانسانية الواسعة . ان فجر ٢٣ يوليو كان حدثا بارزا لا فى تاريخ مصر فحسب بل وفى تاريخ الامة العربية ... كانت ثورة قـائمة على أسس متينة شملت كافة نواحى الوجود الانســانى كانت تغييرا أساسيا وجذريا فى حياة المجتمع المصرى ولم تكن مجرد انقلاب لتغيير وجوه الطبقة الحاكمة ـ كانت ثورة استهدفت احداث التغيير فى المجتمع فى كافة نواحى نشــاطه وانظمته ومنظماته وطبقاته .

واذا كان لنا أن نضع تقييما عاما لهذه الثورة فانه يمكننا أن نلخص هذا التقييم فى السطور التالية :

لقد كان لهذه الثورة أب روحى .. وهو الفريق عزيز على المصرى .

وكان لهذه الثورة قائد .. وهو اللواء أ . ح محمد نجيب .

وكان لهذه الثورة صانع .. وهو المقدم أ . ح جمـال عبد الناصر .

وكان لهـذه الثورة جنود مجهولون .. وهم ضباط الصف والجنـود الذين خرجوا تحت قيـادة الضباط الاحرار ليلة ٢٣/٢٢ يوليـو وحققوا لهذه الثورة النصر ولكن لم تسجل لهم اسماء ولم تسمع عنهم انباء .

بيان

من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة الى الشعب المصرى -

اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار
الحكم. وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون
فى هزيمتنا فى حرب فلسطين
وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش
وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها
وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق
فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر
الخبر بالابتهاج والترحيب.
أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر
وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب. فى ظل الدستور
وانى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن مجردا من أية غاية
وانتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ
لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس فى صالح مصر -
وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى
فاعله جزاء الخائن فى الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس.
وانى أطمئن اخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم
ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق

لواء أ.ح محمد نجيب
٢٣/٧/٥٢

النسخة الاصلية لمسودة البيان الاول لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والموجه من اللواء أ. ح. محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة الى الشعب المصرى .

« البيان من صياغة وبخط الصاغ أ. ح. جمال الدين حماد والاضافة بخط اللواء أ. ح. محمد نجيب » .

ملحوظة : جميع الصور التى نشرت من قبل نقلت عن هذه المسودة

فهرس



هـذا الكـتـاب

ان ثورة ٢٣ يوليو بدون جدال او نقاش ـ ومهما اختلفت نظرة الناس اليها ـ هى أهم حدث فى ملحمة الكفاح الوطنى للشعب المصرى فى تاريخه الحديث • لقد صدرت فى الماضى عشرات من الكتب عن هذه الثورة ولكن الكثير منها تنقصه روح التجرد والحياد والبعد عن التحليل الموضوعى وكان جانب من ذلك يرجع الى تأثر بعض الكتاب بميولهم وأهوائهم الشخصية كما يرجع جانب آخر منه الى عدم قدرة الكثيرين منهم عن ادراك العديد من الحقائق والاسرار بسبب الظروف والاوضاع السياسية فى مصر ـ وقتئذ ـ التى لم تكن تسمح بنشر حقيقة كل ما جرى • واليوم وبعد مرور ثلاثين عاما على قيام هذه الثورة يقدم لنا المؤرخ المعروف جمال حماد فى هذا الكتاب ادق الحقائق والاسرار التى لم ينشر معظمها من قبل عن احداث تلك الليلة الخالدة « ٢٣ يوليو » وذلك فى اسلوب شيق وبتحليل ... فذ للوقائع والاحداث •

ولا يقدم لنا جمال حماد دراسته المتعمقة الشاملة ككا... او باحث بقدر ما هو احد الذين شاركوا فى صن... الكبير واحد الذين كان لهم دور هام فى نجاح الجيش ... فى تلك الليلة •

